الإنذار

بذكر ما في القرآن من آيات النار

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

الإِنْذَار

بِذِكْرِ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ آيَاتِ النَّارِ

الإنذار

بذكر ما في القرآن من آيات النار

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

الإنذار

بذكر ما في القرآن من آيات النار

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل:

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه اللّه تعالى:

https://alzokory.com

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://chat.watsapp.com/FglUKZ٠nwzr٥EYaguQttsz

https://t.me/A_lzokory

https://www.facebook.com/٦٤٩٩١٨٠٢٨٣٥٢٣٦٧

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهار الذي قهر عباده المتمردين بالنار وبئس القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الغفار للمؤمنين الأبرار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائل: «**أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ**» صلى الله عليه وسلم، ومن اقتفى أثره من الصالحين الأخيار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإن أعظم ما خوف الله عَزَّوَجَلَّ به لهو النار؛ لشدة حرها، وعظيم خطرها، وشدة ضررها، ماذا نقول في وصفها، حرها شديد، وبردها في منتهاه أكيد، وقعرها بعيد، طعامها عذاب، وشرابها غساق، ولباسها حريق، وقد بلغ أهلها منتهى الضيق، وقودها الناس والحجارة، لا رحمة لمستغيث، ولا مجورة لمستجير، ولا شفاعة لمستشفع.

طعامها من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، ويضرب أهلها بمقامع من حديد.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التبصرة": قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ يَوْمٌ تُذَلُّ فِيهِ الأَعْنَاقُ لِهَيْبَةِ الْخلاقِ، وَيَخْسَرُ أهل الشقاق بِالرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ، وَتَشْهَدُ الصُّحُفُ وَالأَوْرَاقُ بِالأَعْمَالِ وَالأَخْلاقِ، وَتَسِيلُ دُمُوعُ الآمَاقِ مِنَ الأَحْدَاقِ عَلَى تَفْرِيطِ الأَبَاقِ، وَيَضِيقُ عَلَى الْعُصَاةِ الْخنَاقُ إِذَا عَزَّ الإِعْتَاقُ، وَتَبْرُزُ الْجَحِيمُ فِيهَا الْحَمِيمُ وَالْغَسَّاقُ مُعَدٌّ لِلْفُجَّارِ وَالْفُسَّاقِ، لَفَحَتْهُمْ فَأَحَالَتْ جَمَالَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ، وَاطَّلَعَتْ عَلَى الأَفْئِدَةِ وَبَوَاطِنِ الأَعْمَاقِ يَحُلُّونَ بِهَا وَلا يُحَلُّ لَهُمْ وَثَاقٌ، حَرُّهَا شَدِيدٌ وَيَزِيدُ بإطباق الأطباق، واأسفا كَمْ يُهَدَّدُونَ وَكَمْ كَمْ إِحْدَاقٍ. اهـ

وقد جعلها الله ذكرى للبشر؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١]، وهي إحدى العظائم بل أشد العظائم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ [المدثر:٣٥].

وقد قام رسول الله ﷺ خطيبًا يقول بصوت مرتفع يُسْمِع من في السوق: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ»، **أخرجه أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومن هذا الباب أحببت أن أشارك بما يسره الله عَزَّوَجَلَّ ترهيبًا للمعرضين، وترغيبًا للمحسنين، وكان قد وفقني الله وله الحمد والمنة لمؤلف بعنوان: (تمام المنة بذكر آيات الجنة)، وها أنا أكتب بإذن الله عَزَّوَجَلَّ وأسأله القبول والإخلاص: (الإنذار بذكر ما في القرآن من وصف النار)، وبالله التوفيق.

كتبه

عبدالحميد بن يحيي الزُّعكري

٢٢/ جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ

أقسام من يدخل النار

ويدخل النار صنفان:

الأول: (أصحاب الخلود).

وهم الكفار والمنافقون، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾[فاطر:٣٦-٣٧]

وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾[النساء:١٤٥].

وهؤلاء قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾[المدثر:٤٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾[غافر:١٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾[البقرة:١٦٧].

وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾[هود:١٠٦-١٠٧]، فهذا استثناء منقطع يُحمل على من يدخلها من الموحدين ثم يخرج منها، أو يُحمل على الزمن الذي كان قبل دخول الناس فيها، إلى غير ذلك من الأوجه.

ثم إن هذه الآية تعود إلى المحكمات من الأدلة القرآنية، والأحاديث النبوية، وما أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم من خلودها على ما يأتي إن شاء الله.

القسم الثاني: (قوم من عصاة المسلمين من أصحاب الكبائر).

وهؤلاء يدخلها منهم من شاء الله عَزَّوَجَلَّ ويعفو عمن شاء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨]

ومن دخلها فإنه لا يخلد فيها بل يخرج بشفاعة الشافعين، وبكرم رب العالمين.

ففي جامع الترمذي: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». وهذا حديث ثابت خرج طرقه وصححه شيخنا الوادعي رحمه اله في كتاب الشفاعة، وعليها إجماع أهل السُنة قاطبة، وإنما خالف فيه الخوارج ومن نحا نحوهم من المعتزلة والرافضة ومن إليهم.

وأخرج مسلم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في صحيحه (١٨٥): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ : بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

وفي الصحيحين: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**».

وفي الصحيحين، زيادة: «**ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

زد على ذلك: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال عن الكافرين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر:٤٨]، **مفهومه**: أن المسلم يستشفع بشفاعة الشافعين وإلا لكان الكلام عبث؛ حيث تساوي المسلم والكافر فيه.

زد على ذلك: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ٢﴾ [الحجر:٢]، وهذا ما كان منهم في الدنيا، فإن الكافرين في شدة إعراض وبغض لدين الإسلام ولكن ذلك كما وردت به الأحاديث والآثار المستفيضة تدل على أنه يوم القيامة حين يخرج الله الموحدين من النار ولا يبقى فيها إلا من وجب عليه الخلود.

ثم إن القول بخلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار يساويهم بالكفار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

وقد قَسَّم الله عَزَّوَجَلَّ أهل الاستقامة ثلاثة أصناف فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو صاحب الكبيرة، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر:٣٢].

ثم بين أن مآلهم جميعهم إلى الجنة فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٥﴾ [فاطر:٣٣-٣٥].

وجود الجنة والنار الآن

ومن قول أهل السنة: أن الجنة والنار قد خلقتا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، وقال: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس:٢٦]، وقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦].

ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والخوارج، والأدلة على ذلك متوافرة متواترة استقصينا كثيرًا منها في كتاب الإيمان ولله الحمد منها:

قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١]، وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقوله: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٢١-٢٢]، وقوله تعالى في الجنة: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٣-١٥].

ومن السنة:

ما أخرجه في "الصحيحين"، أخرج البخاري (٥٢٢٦): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله عَزَّوَجَلَّ عَنْ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ**». قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللهِ أَوَ عَلَيْكَ أَغَارُ. أخرجه مسلم (٢٣٩٤).

وأخرج (٣٢٤٢): عن أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**». فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ. أخرجه مسلم (٢٣٩٥).

وأخرج (٣٢٤١): حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**».

وأخرج (٣٢٤٠): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**». أخرجه مسلم (٨٦٦).

وأخرج البخاري (٤٥٠): عن عُبَيْدَ اللهِ الْخَوْلَانِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّي سَمِعْتُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا -قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ- بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ**»، أخرجه مسلم (٥٣٣).

وأخرج مسلم (٢٤٥٦): عن أنس: عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ**».

وأخرج (٢٤٥٧): عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ**».

وأخرج (٢٤٥٨): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عَزَّوَجَلَّ لبلال عند صلاة الغداة: «**يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ

أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

وأخرج (٤٢٦): عن المختار بن فلفل عن أنس قال: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي**»، ثم قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**». قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**».

وأخرج البخاري (٣٥٢١): عن سَعِيد بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»، أخرجه مسلم (٢٨٥٦).

وأخرج مسلم (٢٨٤٦): عن أبي هريرة: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**»، أخرجه البخاري (٤٨٥٠).

وأخرج (١٩١٤): عن أبي هريرة: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**».

وأخرج البخاري (٣٤٨٢): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ**

أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»، أخرجه مسلم (٢٢٤٢).

وأخرج مسلم (٢٦١٩): عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا، أَوْ هِرٍّ، رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرَمْرِمُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا»**.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في "شرح الطحاوية" (٤٠٠): أما قوله: "الجنة والنار مخلوقتان"، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة كذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية وأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يعلمه الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل فيهم التجهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى. اهـ

فيا ليت شعري كيف سيتأولون حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٧٤٤): **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»**.

ومن الأدلة على وجودهما ما أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦). عن نافع عن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وعن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله قال: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**». أخرجه مالك في "الموطأ" (١/ ١٨٦) وأحمد في "المسند" (٣/ ٤٥٥) والآجري في "الشريعة" (٣٩٢) وابن ماجه (٤٢٧١).

والحديث يدل على أن أرواح المؤمنين في الجنة إلا من حبس لدين أو غيره والشاهد من الحديث قوله: «**طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»، فلو كانت غير موجودة الآن لكان هذا الكلام لغوٌ وكذب والعياذ بالله.

* فائدة:

هذا الحديث يدل على أن أرواح المؤمنين طيرٌ في الجنة، أما أرواح الشهداء فهي في أجواف طير خضر كما أخرج مسلم (١٨٨٧) في صحيحه من حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال مسروق: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**».

وعن عبد الله بن عباس أنه قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس معه، ثم ذكر الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم تكعكعت، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا**

عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

والحديث نص لا يحتمل التأويل والتحريف أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الجنة بعينيه ورأى النار بعينيه، فلا ينكر وجود الجنة والنار مع وجود هذه الأدلة الصراح الصحاح إلا من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

الجنة والنار لا تفنيان

وأهل السنة يؤمنون: بأن الجنة والنار لا تفنيان ولا يموت أهلها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]. وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩]، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]. وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان:٥٦].

قد تقدم في الباب السابق بيان أن الجنة والنار موجودتان الآن وسوق الأدلة على ذلك وبيان أن ذلك هو مذهب أهل السنة قاطبة، ولم يخالف في ذلك إلا الشواذ من أهل البدع والريب، ويلتحق بهذا الباب الكلام على أبديتهما قال شيخ الإسلام في رسالته "الرد على من قال بفناء الجنة والنار" (٤١): وللناس في ذلك ثلاثة أقوال: قوم قالوا ببقائهما جميعًا، وقوم قالوا بفناء دار الجزاء وبقاء دار الإفضال والإنعام والإكرام... وأما القول بفنائهما إنما حكوه عن الجهم. انتهى

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح الطحاوية" (٤٠٣): قوله: "لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان"، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها، وقال ببقاء الجنة وقال بفناء النار جماعة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها. وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط لا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث؛ انتهى.

والآيات البينات والأحاديث الصحيحات على هذه المسألة كثيرات وواضحات لا يعتقد خلافها إلا أهل الضلالات قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ

﴿فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٨]، أي غير مقطوع، وسيأتي الإجابة على الاستثناء إن شاء الله تعالى.

وقال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد:٣٥]، وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ [المائدة:٣٧]، وقال: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة:٣٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ مؤكدًا خلود أهل الجنة فيها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، والمراد به أنهم ماتوا في الوقت الذين لم يكونوا في الجنة.

ومن الأدلة على أبدية الجنة من السنة، ما أخرجه مسلم (٢٨٣٦) وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»**.

وفي حديث أبي سعيد: **«يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»**، متفق عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "حادي الأرواح" (٣٢٣): الباب السابع والستون في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد: وهذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول الله عَزَّوَجَلَّ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٨]، أي مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ [هود:١٠٨].

وقال (ص٣٢٨): والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة.

قال ابن القيم في "حادي الأرواح" (٣٢٩-٣٣٠): وأما أبدية النار ودوامها فقال عنها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين قال: وقلت هاهنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبدًا، بل من دخلها خلد فيها أبد الآبدين بإذن الله، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعية نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي والطائي...

الثالث: قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها أقوام آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٣-٢٤].

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقى نارًا على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام، والقرآن والسنة أيضًا يردان على هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقائه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عندهم بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول: تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادًا لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة.

السابع: قول من يقول بل يفنيها ربها، وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم. اهـ

وذكر ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٤٠٦)، هذا التقسيم وقال في آخره:

الثامن: أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئًا ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه.

التاسع: أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له.

وما عدا هذين القولين الأخيرين، ظاهر البطلان وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما. انتهى والقول الحق هو التاسع، والقول الثامن وإن كان قد قال به بعض السلف فهو قول غير صحيح، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥]، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٣٠]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣]، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]، ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

قال ابن أبي العز: وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله"، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

فائدة: ما لا يدخل في الفناء ثمانية نُضِمت في هذا البيت:

ثمـانيـة حكـم البـقـاء يعـمـهـاهـم	**من الخلق والبـاقين في حيز العـدم**
الـعـرش والـكـرســـي نـار وجـنـة	**وعـجـب وأروح كـذا اللـوح والقـلـم**

اهـ

أشهر أسماء النار في القرآن

الأول: (النار).

وهو أشهرها، وقد تكررت كثيرًا على ما يأتي إن شاء الله.

الثاني: الهاوية.

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [سورة القارعة:٨-١١]

قال العلّامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في وجه تمسيتها: "وَسُمِّيَتِ النَّارُ هَاوِيَةً، لِأَنَّهُ يُهْوَى فِيهَا مَعَ بُعْدِ قَعْرِهَا".

الثالث: (لظى).

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [سورة المعارج:١٥-١٦].

قال ابن منظور الإفريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في وجه تسميتها بقوله: "وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنها أَشد النِّيرَانِ".

الرابع: (الحطمة).

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن مرتين؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٤ - ٧].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في معناها اللغوي: "الْحَاءُ وَالطَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُو كَسْرُ الشَّيْءِ، يُقَالُ: حَطَمْتُ الشَّيْءَ حَطْمًا: كَسَرْتُهُ، وَيُقَالُ لِلْمُتَكَسِّرِ فِي نَفْسِهِ: حَطِمٌ، وَيُقَالُ لِلْفَرَسِ إِذَا تَهَدَّمَ لِطُولِ عُمْرِهِ: حَطِمٌ".

وقال أيضًا في وجه تسميتها: "وَسُمِّيَتِ النَّارُ الْحُطَمَةَ لِحَطْمِهَا مَا تَلْقَى".

الخامس: (**الجحيم**).

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر(٢٣) مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات:٣٧-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [سورة التكوير:١٢]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة المطففين:١٦-١٧].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في وجه تسمية الجحيم: "الْجِيمُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ عُظْمُهَا بِهِ الْحَرَارَةُ وَشِدَّتُهَا، فَالْجَاحِمُ الْمَكَانُ الشَّدِيدُ الْحَرِّ...، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْجَحِيمُ جَحِيمًا".

السادس: (**جهنم**).

وقد رودت هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النبأ:٢١-٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [سورة البروج:١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة:٦].

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في وجه تسمية جهنم: "جهنم: الجِهنَّامُ: القَعْرُ الْبَعِيدُ، وَبِئْرٌ جَهَنَّمٌ وجِهِنَّامٌ، بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْهَاءِ: بَعِيدَةُ القَعْر، وَبِهِ سُمِّيَتْ جَهَنَّم لبُعْدِ قَعْرِها".

السابع: (سقر).

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من أربع مرات، ومنها قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾ [سورة المدثر:٢٦-٢٩]، وأصحاب اليمين في جنات يتساءلون، قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [سورة المدثر:٤١-٤٣].

وقد بيَّن الله تعالى أنَّ سقر هي التي لا تُبقي ولا تَذر.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في وجه تسمية سقر: "السِّينُ وَالْقَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْرَاقٍ أَوْ تَلْوِيحٍ بِنَارٍ، يُقَالُ: سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ، إِذَا لَوَّحَتْهُ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ سَقَرَ، وَسَقَرَاتُ الشَّمْسِ: حَرُورُهَا".

وقال ابن منظور الإفريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "سُمِّيَتِ النَّارُ سَقَرَ؛ لأَنها تُذِيبُ الأَجسام والأَرواح".

والحق أنَّ كلًّا من هذين القولين صحيح؛ لأن سقر هي التي تحرق، وهي التي لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، والله تعالى أعلم بالصواب.

الثامن: (السعير).

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ [سورة الانشقاق:١٠-١٣] [الانشقاق: ١٠ - ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك:١١].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كلمة السعير: "السِّينُ وَالْعَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اشْتِعَالِ (الشَّيْءِ) وَاتِّقَادِهِ وَارْتِفَاعِهِ". اهـ

التاسع: (سِجِّينٌ).

وقد ورَدتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم مرتين؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [سورة المطففين:٧-٩].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كلمة سجين: "السِّينُ وَالْجِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْحَبْسُ، يُقَالُ: سَجَنْتُهُ سَجْنًا، وَالسِّجْنُ: الْمَكَانُ يُسْجَنُ فِيهِ الْإِنْسَانُ".

العاشر: **(دار البوار)**.

دار الهلاك والدمار، وتذكر مع أسماء النار الأخرى.

وقد وصفت بقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [بئس المهاد] ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾.

دركات النار

الجنة درجات بعضها فوق بعض، ومن زاد فضله فعت درجته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾،

والنار دركات بعضها أسفل من بعض، وكلما زاد كفره ونفاقه زادت دركاته.

والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لغلظ كفرهم.

وتمكنهم من أذى المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال **العباس بن عبد المطلب** - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قال: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» متفق عليه.

فصل ما جاء بذكر العذاب

معلوم أن عذاب الله عزوجل يوم القيامة بالنار وقد وردت مادة (عذاب) التي تشير إلى عذاب القيامة في القرآن فوق مائتين وخمسين موضعا لو ذكرتها لطال المقام وخرجت عن المقصود ولكن أشير إليها.

فقد جاء وصف (**العذاب**) في القرآن بأنه:

١- (**أليم**) فوق خمسين موضعًا، منها قوله تعالى في المنافقين: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٢- (**شديد**)، في نحو خمسة عشر موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

٣-(**عظيم**)، في خمسة عشر موضعًا، منها قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧].

٤- (**مهين**)، في ثمانية مواضع كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

٥- (**مقيم**)، في خمسة مواطن كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[هود:٣٩].

٦- (**من رجز أليم**) في موطنين، **والرجز**: شدة العذاب.

٧- (**عذاب السعير**) في أربعة مواطن.

٨-(**عذاب الحميم**)، في ستة مواطن.

٩- (**عذاب الهون**)، في موطن واحد.

١٠- **(عذاب الحريق)**، في خمسة مواطن.

١١- **(ويل)**، في مواطن من القرآن.

إلى غير ذلك من الأوصاف التي ستأتي إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، والله أعلم.

ملخص أوصاف النار والعياذ بالله منها

١ – شكلها:

عن عقبة بن عامر، عن رسول الله ﷺ قال: «**عُرِضَت عليَّ النار، فأقبل إليَّ منها شيءٌ حتى دنا بمكاني هذا، فخشيتُ أن تغشاكم، فقلتُ: رب! وأنا فيهم، فصَرَفَها عنكم، فأدْبَرَت قِطَعًا كأنَّها الزَّرَابيُّ**»؛ (صحيح)، أخرجه ابن حبان (٦٤٣٢).

٢ – سعتها:

عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل مِن مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزَّة فيها قدمَه، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط، بعزَّتك وكرمك**»؛ متفق عليه.

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلتُ: لا، قال: أجل والله ما تدري؛ حدَّثَتْني عائشة أنها سألت رسولَ الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ**»؛ أخرجه الترمذي (٣٢٤١)، وأصله في مسلم

٣ – قعرها:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»؛ أخرجه مسلم (٢٨٤٤).

٤ – حرُّها:

عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»، **قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»؛ أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

٥ – ظلها:

قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١﴾ [المرسلات: ٣٠ – ٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ [الواقعة: ٤٣ – ٤٤].

٦ – ريحها:

قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢﴾ [الواقعة: ٤٢].

٧ – وقودها:

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾ [البقرة: ٢٤]، قال: "حجارة من كبريت، خَلقَها الله عنده كما شاء"؛ صحيح الترغيب والترهيب.

٨ – شررها:

﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣].

٩ – صوتها:

قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧].

١٠ – خزَنتها:

قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

١١ – أبوابها:

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

١٢- مكانها:

في الأرض السفلى على ما يأتي في قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾.

١٣- مجيئها:

قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»؛ صحيح مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ينادي منادٍ فيقول: ليلحقْ كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون، قال: فيذهب أهل الصليب مع صليبهم، وأهل الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم، ويبقى مَن يعبد الله مِن برٍّ وفاجر، وغبرات مِن أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تُعرض كأنها سراب**»؛ أخرجه ابن حبان (٧٣٧٧)، وأصله في الصحيحين.

١٤- حال الناس يومئذ:

قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أُمَّة جاثية، فأول مَن يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال؛ أولئك الثلاثة أول خَلْق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة**»؛ أخرجه الترمذي (٢٣٨٢).

❖ كيفية دخول الظالمين فيها:

١ – الدفع الشديد:

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يحطِّم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار**»؛ متفق عليه واللفظ لمسلم (١٨٣).

٢ – السحب:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعة يحتجُّون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة؛ فأمَّا الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأمَّا الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئًا والصبيان يحذفونني بالبعر، وأمَّا الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأمَّا الذي مات في الفترة فيقول: ربِّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار؛ فمَن دَخَلَها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومَن لم يدخلْها سحب إليها**»؛ أخرجه ابن حبان (٧٣٥٧) وهو في "الصحيحة" (١٤٣٤).

❖ حال الظالمين وعذابهم فيها:

١ – أهونهم عذابًا:

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أهون أهل النار عذابًا: مَن له نعلان وشراكان مِن نارٍ يغلي منهما دماغُه؛ كما يغلي المرجل، ما يرى أنَّ أحدًا أشدَّ منه عذابًا، وإنه لأهونُهم عذابًا**»؛ أخرجه البخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

٢ – تفاوتهم في العذاب:

عن سمرة بن جندب، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**منهم مَن تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم مَن تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم مَن تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم مَن تأخذه النار إلى ترقوته**»؛ أخرجه مسلم (٢٨٤٥).

٣- وجوههم:

تغشاها ظُلمة وسواد، وذلّة وهوان؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ [يونس: ٢٧].

٤- أحجامهم:

يغيِّر الله خلقةَ أهلِ النار بشكلٍ يتناسب مع عذابهم؛ عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثةِ أيامٍ للراكب المسرع**»؛ أخرجه البخاري (٦٥٥١).

٥- جلودهم:

غليظة ليزداد الإحساس بالألم، كلما نضجت بُدِّلَت؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٥٦].

وعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا، وإنَّ ضرسه مثل أُحُدٍ، وإنَّ مجلسه من جهنم كما بين مكَّة والمدينة**»؛ أخرجه الترمذي (٢٥٧٧).

٦- لباسهم:

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وعن أبي مالك الأشعري، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**النائحة إذا لم تتُبْ قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ مِن قطران، ودرعٌ مِن جرب**»؛ أخرجه مسلم (٩٣٤).

٧- طعامهم وشرابهم:

يختلف باختلاف منازلهم في النار، وعلى كلِّ حال فهو كريه المذاق، وحميم لا يُطاق، شديد المرارة في غاية الحرارة، مُنتن الريح وصديد مِن الدم والقيح، ذُكِر لنا من ذلك:

١- الزقوم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟**»؛ أخرجه الترمذي (٢٥٨٥).

٢- الضريع:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٦-٧]، والضريع جنس من الشوك كبير، يقال له: الشبرق إذا كان رطبًا، والضريع إذا يبس، وهو سُم.

٣- الغِسْلين:

قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦]؛ قال البخاري: كل شيء غسلته فخرج منه شيء، فهو غسلين، فِعْلين مِن الغسل، من الجرح والدُّبُر.

٤- الحميم:

قال سبحانه: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، والحميم هو ما اشتدَّ حرُّه، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، قال ابن عباس: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]: أسود كمهل الزيت؛ صحيح البخاري.

٥- الغَسَّاق:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧-٥٨]، والغَسَّاق هو ما يسيل مِن جلود أهل النار وصديدهم، وقيل: ماء منتن بارد.

❖ **قيودهم:**

١- الأغلال:

قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ [يس: ٨]؛ قال البخاري: لا تكون الأغلال إلا في الأعناق.

٢- السلاسل:

تكون في الأيدي والأرجل؛ قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١].

❖ **يتقون النار بوجوههم:**

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤].

❖ **فراشهم وغطاؤهم:**

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

❖ **سحبهم في النار:**

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]، وقال: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

❖ **سجنهم:**

١- الحفر الضيِّقة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ [الفرقان: ١٣]، وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا**

يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»؛ أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

٢- بولس:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ مِنْ جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةَ الْخَبَالِ**»؛ أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٥٥٧).

❖ إرهاقهم:

قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

❖ تلاعنهم فيها:

يسبُّ بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم البعض؛ قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٞ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

❖ نفَسُهم:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةٌ أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنَ النَّارِ فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَ نَفَسُهُ لَاحْتَرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ**»؛ أخرجه أبو يعلى (٦٦٧٠) وهو في "الصحيحة".

❖ تسليط الحيَّات والعقارب عليهم:

عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا،**

وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً»؛ أخرجه أحمد برقم: (١٧٧١٢) وهو في "صحيح الترغيب والترهيب".

❖ تسليط الحشرات عليهم:

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الذباب كلُّه في النار، إلا النحل»؛ أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١٥٧٥).

❖ ضربهم بالمقامع:

قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ [الحديد: ٢١]، وعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "أكثروا ذِكْر النار، فإنَّ حرَّها شديد، وإنَّ قعرَها بعيد، وإنَّ مقامعَها حديد"؛ أخرجه الترمذي (٢٥٧٥). والمقامع هي: المطارق أو السياط.

❖ خُروج أمعائهم مِن موضعها:

عن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقَى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمارُ في الرَّحَى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان! ما لَك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنتُ آمُر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»؛ متفق عليه.

❖ بعض أنواع عذابهم:

عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»؛ أخرجه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

❖ تنويع العذاب عليهم:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٨].

❖ **إهانتهم:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [الحج: ٥٧].

❖ **بكاؤهم:**

قال تعالى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أهل النار ليبكون، حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لَجَرَتْ، وإنهم ليبكون الدم؛ يعني: مكان الدمع**»؛ أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٧٩١).

❖ **دوام العذاب وعدم تخفيفه عنهم:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال: ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ [إبراهيم: ١٧].

❖ **زيادة العذاب عليهم:**

قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

❖ **صراخهم:**

قال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧].

❖ **٢٨- استغاثتهم:**

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وعن عبدالله بن عمرو - موقوفًا - قال: "إنَّ أهل النار ليدعون مالكًا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف: ٧٧] فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ثم يدعون ربَّهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا

وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، قال: فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، ثم ييئس القوم، فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أوَّلُها شهيق، وآخرها زفير"؛ أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٤١٧١)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب

الآيات التي ورد فيها ذِكر النار في القرآن الكريم

سورة البقرة

١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

﴿٢٣﴾ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شكٍ ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ من القرآن ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وهذا التحدي كان بعد أن تحداهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يأتوا بمثله كما في ﴿سورة سبحان﴾، وأن يأتوا بعشر سور مثله كما في (سورة هود)، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله كما في (سورة البقرة) فهم عاجزون؛ لعدم قدرتهم، لا كما تقول المعتزلة ومن إليهم أن الله صرفهم عن إرادة هذا الأمر، فلو كانوا يستطيعون لأتوا به لكن هم عاجزون؛ فالقرآن كلام الله، ووحيه وتنزيله، وكلامه صفته، وما كان من صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ آلهتكم لتعينكم على فعلكم ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما قلتم، وهذا كالتوبيخ فالكفار عاجزون وآلهتهم أعجز، والأصنام التي يعبدونها صماء، بكماء، حجارة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦- ٦٧].

(٢٤) ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ بالإتيان بمثله فيما مضى ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ لعجزهم فيما يأتي، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ اجعلوا بينكم وبينها وقاية بالأعمال الصالحات، والتوحيد الخالص ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار، والمنافقون يعذبون فيها ﴿وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ حجارة الكبريت، ونحوها، وتتقى هذه النار بالإيمان بالله، ورسله، وما افترضه عليكم، وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، قال ابن عباس، وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت؛ لأنها أكثر التهابا، وقيل الأصنام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]،

﴿أُعِدَّتۡ﴾ جعلت، وهيئت ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

❁ وفي هذا دليل على أن النار موجودة الآن، وهي في الأرض السفلى كما صح به الحديث خلافًا للمبتدعة من المعتزلة.

٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩].

(٣٩) ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: أعرضوا عن دين الله عَزَّوَجَلَّ علمًا، وعملًا، وانقيادًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعذبون فيها، ويخلدون.

❁ وهذا دليل على أبدية النار، كما هو معتقد أهل السنة، كما أنهم يؤمنون بأن الجنة، والنار موجودتان الآن.

٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨٠-٨١].

⁽٨٠⁾ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: اليهود متمنين على الله الأماني الكاذبة، والدعاوى الباطلة ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ وهذا من الكذب على الله، لما قيل لهم أنَّ محمدا يُخبر أنكم في النار، قالوا ندخل النار ثم نمكث فيها أيامًا ثم يخلفنا المسلمون، ومن أين لهم مثل هذه العِدة ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا﴾ ميثاقًا أنكم لن تدخلوها، ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾؛ لأنه لا يخلف الميعاد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١١١]. ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وهذا هو الواقع أنهم يقولون على الله بغير علم، فلا تنفعهم هذه الدعاوى، وكما قيل: **(الدعاوى إن لم تكن عليها بينات أصحابها أدعياء)**.

⁽٨١⁾ ﴿بَلَىٰ﴾ حرف استدراك لما تقدم ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الشرك الأكبر المخرج من الملة، وهو تفسير مجاهد، وغير واحد من السلف، ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أحاط به الشرك بحيث صار كافرًا كفرًا أكبر مخرج من الملة، فيحبط جميع عمله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المشركون المنددون، ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

❁ وهذا دليل لمذهب أهل الحق أن الجنة والنار أبديتان، وأنهما لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ [فاطر:٣٦].

٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩].

١١٩ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ القرآن، والوحي المنزل ﴿بَشِيرٗا﴾ بالجنة، وما عند الله من الثواب ﴿وَنَذِيرٗا﴾ من النار، وما عند الله من العقاب ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ لعلم الله عَزَّوَجَلَّ بكفرهم، وقيل لا تُسأل عنهم لشدة ما لحقهم ﴿عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ النار، والحال كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية:٢١-٢٢]، ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾، ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨].

٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦].

١٢٦ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ عليه السلام داعيًا الله عَزَّوَجَلَّ الكريم العظيم المنان، ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ﴾ صير ﴿هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله عَزَّوَجَلَّ دعائه كما قال: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا﴾ [القصص:٥٧]. ﴿وَٱرۡزُقۡ﴾ الرزق العطاء ﴿أَهۡلَهُۥ﴾ قاطنيه، وساكنيه ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ثمار الأرض ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهذه دعوة أخرى من إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يرزق أهل هذا البلد من الثمرات، وخص الدعوة بالمؤمنين؛ لا من غير وبدل. ﴿قَالَ﴾ الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ منهم ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾ من متاع الدنيا الزائل.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا» أخرجه مسلم (٢٨٠٨)**. ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه

﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ في الآخرة ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بئس المرجع، والمآب مآبهم، وبئس الموطن موطنهم.

٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧].

بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من دلائل وحدانيته ما يستفيد ها كل ذي لبٍ وعقل، ذكر حال الناس مع هذه الدلائل، فمنهم المحب لله، المتقرب إليه بأنواع القُرب، ومنهم من جعل لله أندادًا، يدعوها، ويرجوها، ويتوكل، ويعتمد عليها، ويحبها كمحبته لله، أو كمحبة المؤمنين لله.

ثم أخبرَ عَنْ حالهم حين يرون العذاب يوم القيامة، وأن القوة لله جميعًا، إذ لا مفر من الله إلا إليه، يقول في ذلك الحال.

١٦٦ ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾ تنصّل ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ الرؤساء المبتدعون، والدعاة إلى البدع والكفريات، والمعاصي، والسيئات ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ من الذين قلدوهم، وأخذوا بدعوتهم، بغير هدى من الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ عيانًا ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ انقطعت بهم الوصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا، فالمعنى أنها انقطعت بهم أسباب السلامة؛ إذ أنه حِيْلَ بينهم وبين العمل، كما قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ [سبأ:٥٤]، ولا تنفع الشفاعة فيهم؛ بسبب كفرهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

١٦٧ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾ رَجْعَةً إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ﴾ من المتبَّوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ أي: من التابعين، وهم كاذبون في ذلك، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ

: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]، ومن أشد ذلك براءة الشيطان كما قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم:٢٢]

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أراهم شدة عذابه، وتبرؤ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ التي عملوها في الدنيا في ذلك اليوم ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف:٤٩]. ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ ندامات، فإن الحسرة أشد الندامة، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بل إنهم مخلدون فيها أبدًا.

۞ وهذا من أدلة أهل السنة والجماعة القاضية بأبدية النار، كما أن الأدلة أيضًا قاضية بأبدية الجنة.

٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة:١٧٤-١٧٦].

يخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن حال اليهود وغيرهم، ممن أوتوا الكتاب، فكتموه؛ من أجل حظٍ من الدنيا قليل، وإن كانت الآية في شأن اليهود فهي عامة في كل من أوتي علمًا فكتمه؛ من أجل الدنيا، وهذا حال كثير من أهل البدع، والأحزاب، والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة قديمًا، وحديثًا.

(١٧٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ يخفون ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من التورة في وصف محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره، وهم اليهود، ويدخل فيه من قال اخفوه فلم يبلغوه، وإذا سُئلوا لم يبينوه، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه أبو داود(٣٦٥٨).**

وزد على ذلك إذا جاءت الشبهة جاءوا بما يزينها للناس.

۞ فَضَلُّوا من ثلاثة أوجه:

١- كتم الحق. ٢- عدم بيان الحق. ٣- تحريف الحق.

﴿وَيَشۡتَرُونَ﴾ يعاوضون ﴿بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا الفانية إما منصب، أو رئاسة، أو مال، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا - أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» رواه مسلم (١١٨).**

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من تقدم ذكرهم ﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي أن ما يتلقونه من الهدايا والهبات، وما يتلقونه من العطايا، هو نار في بطونهم يوم القيامة، كقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ» متفق عليه.**

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بسبب غضبه عليهم.

۞ وفيه: إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الذاتية الفعلية، الذاتية من حيث أن الله عَزَّوَجَلَّ متكلم أزلًا وأبدًا متى شاء وكيف شاء، بحرف، وصوت، ويأتي الكلام عليها إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]، وما في بابها.

ويشكل على هذه الآية قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾ [القصص:٦٥]، وهذا عام في جميع أهل الموقف؟!

فيقال: لا يكلمهم كلام رضى، وإنما يكلمون كلام المؤاخذة، والمحاققة، أو أنه في موطن دون موطن.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يطهرهم في الدنيا بالعمل الصالح، وفي الآخرة من الذنوب ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ شَدِيدٌ موجع.

١٧٥ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يكتمون الحق ويشترون به ثمنًا ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ﴾ اعتاضوا ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ الكفر، والهلكة، ومخالفة الحق، والغي ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾ الإسلام، والسنة، والعلم، والعمل. ﴿وَٱلۡعَذَابَ﴾ بأَخْذِ السُّبُلِ المُفْضِيَةِ إليه ﴿بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ بتركهم سبلها، وهو ملازمة دين الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾. فما أصبرهم على عمل أهل النار، أي ما أدومهم عليه.

١٧٦ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي استحقوه من أكلهم النار ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ فكتموه، وحرفوه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قيل اليهود، وقيل الكفار حيث قالوا في القرآن الباطل من القول ﴿لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ خلافٍ، وضلالٍ بعيدٍ، وكان اختلافهم في الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات، وعرفوها، ولكنهم بغوا، وتكبروا.

۞ والآية عامة في حق الكفار ومن شابههم من أهل البدع، سواءً كانت البدع المكفرة، أو المفسقة.

فقد أخذ الله عَزَّوَجَلَّ الميثاق بعدم الكتم، قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران:١٨٧].

وفعلًا أن الخلاف أرداهم، وأفسد عليهم دينهم، ودنياهم، ومبدؤه الحسد، وإلا فإنهم قبل مبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كانوا يبشرون الناس بقرب خروجه، ويحثونهم على اتباعه، وربما خطب بعضهم، وذكر الجنة، والنار، والحوض، والميزان، في أمور لا يثبتها أهل الشرك، حتى قال له بعض أهل المدينة: يا فلان أهذا يكون؟! -يعني بعث، ونشور، وحوض، وصراط، وميزان، وجنة، ونار- نعم، قالوا: وما دليل ذلك؟ قال: إن يعش فيكم هذا يدرك نبي، يخبر مثل ما أخبرت.

فعاش المُخبِر، والمُخبَر، وجاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فآمن به الناس، وكفر به المبشرِون به، فلما خرج عمدوا إلى أدلة التوراة والإنجيل التي فيها صفة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فحرفوها.

فتحريف التوراة، والإنجيل عن صفة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إنما كان بعد بعثة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وإلا فإنهم كانوا يبشرون به، ومن الأدلة على ذلك ما جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي، فإنه كان من عباد النار، ثم تنصر، فجعل يوصي به قسيس إلى قسيس، حتى انتهى أمره إلى أن قال له آخرهم: إنه قد أظلك بعث نبي بين حرتين، وذكر من دلائل نبوته من أنه يقبل الهدية: ولا يأكل الصدقة، وبأن بين كتفيه مثل زر الحَجَلة، وهو خاتم النبوة، فأسلم سلمان عليه رضوان الله.

٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة:٢٠١].

(٢٠٠) ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم﴾ أديتم ﴿مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾ مناسك الحج، من الوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكرًا كثيرًا بالتكبير، والثناء في أيام التشريق ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتفاخرون بآبائهم في هذا الموطن فحث الله على ذكره تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ وذلك أن الإنسان قد ينسى ذكر أبيه، فليلازم ذكر الله في الشدة، والرخاء، وفي السراء، والضراء، قال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾.

❁ وذكر الله ينقسم إلىٰ قسمين:

١- ذكر اللسان ٢- وذكر الطاعة.

وهذا أكملها، وأتمها.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نصيبًا ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يطلب الدنيا، ويحرص عليها، ولا رغبة له في الآخرة؛ إما لعدم إيمانه بها، وإما لعدم إدراكه ما فيها من النعيم المقيم، والخير العميم فيعطى طلبه ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ من حظ، ولا نصيب.

❁ وهذا دليل علىٰ ضعف الإيمان، إن لم يكن عدمه، وعلىٰ تسلط حب الدنيا علىٰ القلوب والأبدان، والله المستعان.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾ [الشورى:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء:١٩].

(٢٠١) ﴿وَمِنۡهُم﴾ من الناس، وهم أهل الإيمان ﴿مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ نعمة، ويدخل فيها العلم، والعمل، والطاعة، وغير ذلك ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ

﴿حَسَنَةً﴾ الجنة، ويدخل فيها رؤية الله عَزَّوَجَلَّ. ﴿وَقِنَا﴾ سلمنا ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ وفي حديث أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اللهمَّ رَبَّنَا، آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» متفق عليه.

وعن أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلًا مِنَ قَدْ خَفَتَ، فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟ قال نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ اللهمَّ، مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ** رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ الله لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ اللهمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، فَدَعَا الله لَهُ فَشَفَاهُ**» أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

(٢٠٢) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين سبق ذكرهم، ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ﴾ حظ وثواب ﴿مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ مما عملوا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ حين يرجعون إليه، فيوافيهم بأعمالهم في قدر نصف نهار.

٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

(٢٠٦) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ لهذا المفسد ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ راقب الله في فعلك، ونُصح بعدم الإفساد، وخوف بذلك ﴿أَخَذَتۡهُ﴾ حملته ﴿ٱلۡعِزَّةُ﴾ الحمية، والأنفة ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ بالذنب، وتمادى في ظلمه وبغيه، بل ربما غضب إذا قيل له اتق الله، وراقب الله ﴿فَحَسۡبُهُۥ﴾ كافيه عذاب ﴿جَهَنَّمُ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ أي: بئس الفراش الذي يتوسده هذا المجرم.

١٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

(٢١٧) فأرسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سراياه في الشهر الحرام فعيره المشركون؛ بقتاله في الشهر الحرام، فقال الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ وهذا سؤال إنكار.

❁**والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر** بين جمادى وشعبان، سمي برجب مضر؛ لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] .

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿قِتَالٌ فِيهِ﴾ القِتَال فيه ﴿كَبِيرٌ﴾ كبيرة، وهذا في حال الابتداء، أما في حال الدفع، والمجازاة، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ :﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]. ﴿وَصَدٌّ﴾ المنع، والدفع ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ والكفر به ﴿وَ﴾ الصد، والمنع عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ لمن قصده للعمرة، ونحوها، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ بطردهم، والتضيق عليهم حتى خرجوا مهاجرين ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فالمعنى: أن ابتداء القتال في الشهر الحرام كبيرة، ومع ذلك ما حصل منكم يا معاشر المشركين بالصد عن سبيل الله تعالى، والكفر به، والصد عن المسجد الحرام أن يأتيه المسلمون بحج أو عمرة، وإخراج أهله منه كبرًا وعنادًا، حيث أخذت أموالهم وشردت أنفسهم أكبر عند الله .

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾ الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَكۡبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ ومن غيره من البلايا، فكونكم تعترضون على فرض القتال، ما أنتم فيه من عبادة الأصنام أكبر من القتل في الشهر، والبلد الحرام. ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ الكفار ﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أي: وعداوتهم ظاهرة للمسلمين يقاتلونهم، ويؤذونهم ﴿حَتَّىٰ﴾ إلى أن ﴿يَرُدُّوكُمۡ﴾ يفتنوكم، وتقع منكم الردة ﴿عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾، ومن هذا ينبغي للمسلم أن يثبت على دينه؛ فإن الكفار يحرصون كل الحرص على زحزحت المسلمين عن دينهم بأنواع الشبه، والأذى.

۞والردة ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعجب أن تجد أن بعض الفرق التي تدعي تحكيم الإسلام، كالإخوان المسلمين، ينكر كثير منهم حكم الردة، والله المستعان من غربة الدين، والجهل بأحكامه.

﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ﴾ يكفر ﴿مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ الإسلام بعد أن دخله ﴿فَيَمُتۡ﴾ يوافيه الأجل ﴿وَهُوَ كَافِرٞ﴾ ولم يتب من ردته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ﴾ ذهبت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فلا قيمة لها البتة كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] بينما من وقعت منه الردة ثم تاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

۞فلهذا كان القول الصحيح من أقوال أهل السنة: أن من وقعت منه الردة من صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم عاد إلى الإسلام بقي له اسم الصحبة قال الحافظ بن حجر: الصحابي من لقي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك، ولو تخللت ردة على الصحيح.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين ارتدوا وماتوا عليها ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مؤبدون.

وفي العقيدة الطحاوية: "وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ".

١١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة:٢٢١].

هذا شروعٌ في ذكر بعض آيات النكاح والطلاق، وما يلي ذلك، فيأمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن تكون المزاوجات بينهم للمؤمنين، فيجوز للمسلم الكفء أن يتزوج المسلمة الكفء له، وينبغي للإنسان أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ في مُوَلِّيَتِهِ، فلا يزوجها إلا من كفء لها، من حيث الديانة، والصيانة، وغير ذلك، حتى أن بعض أهل العلم تكلم في مسألة زواج أهل البدع، وخرج أن تزويج أهل البدع يعتبر من قطيعة الرحم، فكيف إذا كانت المزاوجة بين المسلمين والمشركين، فإن هذا من أعظم القطيعة فنهى الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن يتزوجوا المشركات، واستثنى من ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المحصنات من أهل الكتاب. حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة:٥].

وإلا فبقية المشركات لا يجوز أن تبقى مع المسلم، حتى ولو كانت تاركة صلاة لقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**» أخرجه مسلم (٨٢) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾ تتزوجوا ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ يسلمن، فإذا لم يقع منها الإيمان فليست بكفء، ولو كانت من الأقربين.

ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ محضضًا على زواج المسلمة على أي حال كانت، وإن كانت فقيرة، أو دون المشركة في الجمال، ﴿وَلَأَمَةٌ﴾ جارية مملوكة ﴿مُّؤْمِنَةٌ﴾ مع ضعف

حالها ﴿خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ﴾ تعبد الأصنام، والأوثان، وتشرك بالله، ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ المشركة بمالها، أو جمالها، أو حسبها، أو نسبها، فإن هذا ليس بشيء أمام ما هي عليه من الشرك.

فعن سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**» فَقَالَ: يَا رسول الله، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**» **أخرجه البخاري** (**٥٠٩١**).

﴿وَلَا تُنكِحُواْ﴾ تزوجوا ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الكافرين ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ﴾ يسلموا، وإن كثرت أموالهم، وحسن حسبهم، ونسبهم، ﴿وَلَعَبۡدٞ﴾ مولى مملوك ﴿مُّؤۡمِنٌ﴾ تزوجونه ﴿خَيۡرٞ﴾ لكم في دينكم، ودنياكم من الزواج ﴿مِّن مُّشۡرِكٖ﴾ كافر ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾: ماله، وحسبه؛ لأن كثيرًا من الناس نظرتهم إلى الدنيا، فعن بُرَيْدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ المَالُ**» **أخرجه النسائي** (**٣٢٢٤**).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكفار، والمشركين ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بأعمالهم الشركية، وأفعالهم الكفرية، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي: بما فرض عليكم من أمور الإيمان، والإسلام، فكلها دعوة إلى جنة عرضها السماوات والأرض ﴿وَ﴾ يدعوكم إلى ﴿ٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ ليتجاوز عنكم؛ إن رجعتم إليه ولزمتم شرعه ﴿وَيُبَيِّنُ﴾ يوضح ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ الشرعية ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، وينزجرون.

وقد ذهب بعض من لا يحسن، كالترابي، وأصحاب حزب التحرير إلى جواز تزويج الكتابي من المسلمة؛ قياسًا على تزويج المسلم من الكتابية.

وهذا قياس فاسد لأمور:

- **الأول**: أن الكتابية إذا تزوجها المسلم يرجى أن تسلم؛ لأن القوامة للرجل.
- **الثاني**: إذا بقيت على شركها، فإن أبناءها لأبيهم المسلم، أما المسلمة إذا تزوجت الكافر وكانت القوامة للرجل فيوشك أن يحرفها عن دينها.

١٢) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧].

(٢٥٧) ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ يتولى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ينصرهم، ويعينهم، ويحفظهم، ومن لوازم الولاية المحبة، فيحبهم، ويعادي من عاداهم، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**قال الله تعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» أخرجه البخاري(٦٥٠٢).

وتنال الولاية بفعل الواجبات، والاستكثار من المستحبات، للحديث السابق، وقد أحسن من قال: بالصبر واليقين تنال الولاية في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

ومن نصره، وتوفيقه لهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الشرك، والمعاصي، والبدع ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان، والتوحيد، والسنة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أعرضوا عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وجحدوا ربوبيته، وأشركوا في ألوهيته، واستكبروا عن الانقياد لأمره، وشرعه. ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ يتولاهم ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ الشياطين ومن إليهم، ممن يصرفونهم عن عبادة الله، كالأصنام، والسحرة، والمشعوذين، والكهان، والعرافين، وحالهم معهم أنهم. ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ من الفطرة الصحيحة والطريقة القويمة ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الشرك، والإلحاد، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في بيان حال المشركين

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكفار ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. كما قال تعالى : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦].

١٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة:٢٧٥].

بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ما يتعلق بالإنفاق في سبيله، حذر من الربا وما يجر إليه، من الويلات الدنيوية، والأخروية.

أما الدنيوية فعن ابن مسعود عَنِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ**» أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٩).

ومنها أنه يستحق اللعن فعن جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**لَعَنَ رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ**» أخرجه مسلم (١٥٩٨).

وتعاطيه من أسباب عذاب القبر، كما في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ؟ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا» أخرجه البخاري(٧٠٤٧).

وأما في الآخرة فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه يبعث كالمصروع الممسوس، الذي لا يستطيع القيام؛ لتسلط الشيطان عليه، فهو من أشأم أنواع المعاصي، ومن الكبائر العظيمة، وقد ذكرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السبع الموبقات.

ففي حديث أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: يا رسول الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» متفق عليه.

وذلك أن الربا من أكل أموال الناس بالباطل، وأكل أموال الناس بالباطل ظلم عظيم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه.

﴿٢٧٥﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ على الأغلب، وإلا فيطلق على كل متعامل بالربا سواء أكله، أو اشترى به لباسًا، أو مركبًا، أو بيتًا، أو على أي حال.

❖ **والربا في اللغة الزيادة، وهو منقسم إلىٰ:**

١- ربا الفضل.　　　٢- ربا النسيئة.

(**أما ربا الفضل** فصورته: أن يبيع منك ألفا بألف ومائة مثلًا، أو جرام ذهب بجرامين، فيدخل في بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، وغير ذلك من الربويات.

فعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ**» **متفق عليه.**

(**وأما ربا النسيئة** فهو طلب الزيادة على التأخير، ولا يشترط فيه التقابض، فبيع الذهب بالذهب يشترط فيه المثلية والتقابض، وبيع الذهب بالفضة يشترط فيه التقابض مع جواز التفاضل.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**» **متفق عليه.**

أي: أن الربا المشهور ما كان في النسيئة، وإلا فإن الربا يقع في الفضل والنسيئة وكان ربا الجاهلية إما أن تقضي، وإما أن تربي.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ الجنون فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين.

۞ وفي هذا دليل على مسألة المس والصرع التي ينكرها العقلانيون.

۞ **والصرع الذي يصيب الإنسان علىٰ قسمين:**

١- ما يكون جسماني. ٢- ما يكون شيطاني.

۞ فأما الجسماني فيكون بسبب تغير في بعض أجزاء الجسم لا سيما الدماغ، وغير ذلك

وأما الشيطاني فيكون بدخول الجني في الإنسي، إما بسبب عين أو سحر أو بمجموعهما، أو بدخوله في الإنسان لقصد أذيته.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العقاب الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ﴾ تلبيسا ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ﴾ الذي أحله الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وهذا كذب، وحيلة، ولا سواء، فإن البيع مباح، ومشروع، وأما الربا فمحرم، وممنوع. ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ فالبيع عن تراض، ﴿وَحَرَّمَ﴾ منع ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ونهى عن التعامل به، ﴿فَمَن جَآءَهُۥ﴾ بلغه ممن كان يتعاطى الربا ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ ذكر وزجر ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن الربا ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي، والعلم.

والمعنى: إن كان المتعامل بالربا لا يعلم حرمة الربا قبل تعامله، فإن تاب له ما كان قبل العلم ولا يلزمه التخلص منه، وأما إن كان يعلم الحرمة فمن توبته رد المظالم إلى أهلها والتخلص من الربا.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في التجاوز والعفو ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن علم صدقه، فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يا رسول الله، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قال: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ» متفق عليه.** ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى التعامل بالربا أكلًا، ومعاوضة بعد علمه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

۞ وهذا دليل على أنها كبيرة من الكبائر، وعظيمة من العظائم.

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هذا في حق المستحل، فإنه يكفر أو أن الآية خرجت مخرج الوعيد.

سورة آل عمران

١٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾ [آل عمران:١٠-١٢].

(١٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وأعرضوا عن طاعة الرب الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَن تُغْنِيَ﴾ تنفع أو تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ فلن ينتفعون بكثرة مال، ولا بكثرة ولد ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ وإن قلَّ أو كثر، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» **متفق عليه** عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإنما ينتفع الإنسان بعمله، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكفار ﴿هُمْ وَقُودُ﴾ حطب ﴿ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة.

(١١) وحالهم إن لم يتوبوا من كفرهم: ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة وشأن ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الذين أهلكوا؛ بسبب كفرهم، وشركهم، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ مثل قوم عاد، وثمود، وقوم نوح، وغير ذلك ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ كفروا، وأعرضوا ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ عاقبهم ﴿ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ شديد البطش، والأخذ، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

(١٢) ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ المشركين المتمردين على دين رب العالمين ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ تهزمون في حال حربكم مع المسلمين ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾ وبئس الفراش؛ إذ أنه فراش من نار والعياذ بالله .

١٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٦].

﴿١٥﴾ ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مرغبًا للمؤمنين فيما عنده من الخير: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ﴾ بما هو أفضل ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ من زينة الحياة الدنيا وملذاتها، وما فيها من الشهوات ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾ للذين راقبوا الله عَزَّوَجَلَّ بامتثال أمره واجتناب نهيه، وفي خلواتهم، وجلواتهم ﴿جَنَّاتٌ﴾ وجُمعت؛ لأن لكل واحد جنة يجتن بها ويتلذذ فيها، وإلا فهي كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا» أخرجه مسلم (٢٩٦) أبي عن موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي: فيها ﴿الْأَنْهَارُ﴾، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا.

۞ وهذا دليل على أبدية الجنة، وهو عقيدة أهل السنة والجماعة.

﴿وَأَزْوَاجٌ﴾ أي: ولهم فيها زوجات بعضهن من الحوريات، وبعضهن من الإنسيات، وفيهن من الجمال، والأخلاق ما الله به عليم ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ منزهات من الحيض، والبول، والقذر، ومن سيء الأقوال، والأفعال، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: يحل عليكم فوق ذلك رضوانه، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢]، وهذا أعظم نعيم الجنة.

وفي حديث أَبِي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**» متفق عليه.

۞وفيه: إثبات صفة الرضى لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، التي دل على ثبوتها الكتاب، والسنة، والإجماع.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ أي: مطلع عليهم وعلى أعمالهم وأفعالهم، لا تخفى عليه خافية.

﴿١٦﴾ وأهل الجنة هم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أقررنا وصدقنا، ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ تجاوز عن سيئاتنا، واسترها ﴿وَقِنَا﴾ أجرنا ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿١٧﴾ وهم أيضًا ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقدار الله، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أقوالهم، وأفعالهم، ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين المصلين، ﴿وَٱلۡمُنفِقِينَ﴾ من أموالهم، في ذلك الزكاة الواجبة، أو الصدقة المستحبة ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ﴾ المصلين ﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ قبل الفجر.

وقيد بالأسحار؛ لأنه وقت ينام فيه الناس، ولا يقوم فيه إلا من أراد الله والدار الآخرة، فيُقيم الليل ثم يستغفر لذنبه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

ويمتثلون قول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: **متفق عليه عن أبي هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقيل: هم الذين يصلون الصبح في جماعة.

١٦) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران:٢٣-٢٥].

﴿٢٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والمراد بهم اليهود والنصارى، ومع ذلك كانوا كافرين، مخالفين لدين رب العالمين، ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلفوا فيه من كتبهم التي غيروها وبدلوها، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يعرض ﴿فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ والسبب في إعراضهم؛ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ﴾ وهذا من سيء قولهم؛ إذ يقولون على الله عَزَّوَجَلَّ غير الحق، ويقولون الباطل، ويزعمون أنهم أهل الهدى، إلا أنهم في الجملة اعترفوا أنهم سيدخلون النار على مخالفتهم، والصحيح الذي لا غيره في شرعنا: أنهم يخلدون في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦] حين زعموا ذلك، ومن أسباب إعراضهم قوله: ﴿وَغَرَّهُمْ﴾ خدعهم، وأطمعهم ﴿فِى دِينِهِم﴾ الباطل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب على الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿٢٥﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ القيامة الذي ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، لا شك فيه، فيجازى الناس على أعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ اعطيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من أعمالها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد.

١٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

﴿١٠٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: راقبوه في السراء، والضراء، والشدة، والرخاء، والتزموا أمره، وابتعدوا عن نهيه، وزجره ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بقدر ما تستطيع، فإن الأدلة كلها في الأوامر تدل على الاستطاعة ففي الحج قال: «**من استطاع إليه سبيلًا**». وفي الأمر: «**ما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم**».

وقد ذهب بعضهم إلى أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. وقال بعضهم من الصعب أن يصل الإنسان إلى هذا المعنى إلا أن يشاء الله، لكن هذه الآية تعود إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق:٧]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ أي: اثبتوا على الإسلام، ولا يقع عليكم الموت ﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ مخلصون موحدون لرب العالمين.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ أي: تمسكوا بعهده ودينه، أو بكتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فعن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ الله عَزَّوَجَلَّ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا**» أخرجه الطبراني (٤٩١).

فمن أخذ بهذا القرآن أخذه إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**القرآنُ شافعٌ مُشفَّعٌ، وماحلٌ مُصدَّقٌ، من جعله أمامه قاده إلى الجنَّةِ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّارِ**» أخرجه الطبراني(١٠٤٥٠).

وفي حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**قَامَ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَوْمًا خَطِيبًا، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رسول رَبِّي فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ الله وَخُذُوا بِهِ. فَحَثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**» رواه مسلم (٢٤٠٨) والدارمي وهذا لفظه (٣٣٥٩).

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ من الفرقة والتحزب، كما افترقت اليهود والنصارى، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**» أخرجه مسلم (١٧١٥).

﴿وَٱذۡكُرُوا۟ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: باجتماعكم على الإسلام بعد ﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ حيث كانوا متناحرين، يقتل بعضهم بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، فألف بين قلوبهم، وهذه منة من الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى : ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣].

﴿فَأَصۡبَحۡتُم﴾ صرتم ﴿بِنِعۡمَتِهِۦٓ﴾ بنعمة الإسلام ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ متحابين، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ جاء بالإسلام لكنتم قد قربتم من الهوي إلى النار.

ونعم إن لم يتدارك الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان بالإسلام لكان من أهل هذه الحفيرة ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ أي: بمبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الشرعية البينة الواضحة ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ فيحصل لكم الهدى بعد الضلال.

١٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٧﴾ [آل عمران:١١٦-١١٧].

١١٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ سواءً كانوا من أهل الكتاب، أو غيرهم ﴿لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ في الدنيا، ولا في الآخرة ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ بسبب كفرهم ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعذبون، وحالهم كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

١١٧ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: مثل النفقات التي ينفقها الكفار في الصد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ السموم الحارة التي تقتل، وقيل التي فيها صوت، أو برد شديد.

وهذا أظهر، فإن هذه الريح إذا أصابت حرث قوم تحرقه كما يعرف ذلك من يسكن الأماكن الجبلية، فإنها إذا جاءت في الشتاء تقضي على ما يزرعه الناس من الخضروات وغيرها، ولا تكاد ترى شجرة خضراء.

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر، والمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أتلفته فهذا مثل لحسناتهم، فإنها تذهب هباءً منثورًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا

عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بهذا الصنيع، بحبوط عملهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر، والبغي، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من كافر عملا؛ إذ أن من أعظم شروط قبول العمل: الإسلام، والمتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: يَا رسول الله! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» أخرجه مسلم (٢١٤).

١٩) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣٢].

﴿١٣٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ الزيادة. ﴿أَضْعَٰفًا﴾ كثيرة. ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ على ما أعطيتم من الأموال فأمر الله المؤمنين بالبعد عن الربا، وهو الزيادة في المال في حال التفاضل بين الأصناف الربوية، وما كان من أجل التأخير على طريقتهم: إما أن تقضي، وإما أن تربي.

وقد يكون أيضًا النسيئة في الربا بحيث تصرف الأصناف الربوية بغير تقابض، والربا أمره عظيم وخطره جليل، لُعن صاحبه، كما تقدم في آخر ﴿سورة البقرة﴾، والحمدلله.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بامتثال أمره، واجتناب نهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بحصولكم على المطلوب، وبعدكم عن المرهوب.

﴿١٣١﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ أي: اجعلوا بينكم، وبينها، وقاية بالتوحيد، والأعمال الصالحة ﴿ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

۞ دليل على أنها موجودة الآن، وهو مذهب أهل الحق، فالنار في الأرض السفلى، والجنة سقفها عرش الرحمن على ما يأتي.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ بامتثال أمره، واجتناب نهيه ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وأمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أمر الله، وطاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعة لله، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء:٨٠] ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ أي: تتحصل لكم رحمات؛ بسبب امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران:١٤٦-١٤٨].

﴿١٤٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود، والنصارى، والمشركين، بما يدعونكم إليه من الباطل، ويأمرونكم به من الضلال ﴿يَرُدُّوكُمۡ﴾ يرجعوكم ﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ إلى ما كنتم إليه كفارًا ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ في الدنيا والأخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف١٠٣:١٠٤].

۞وهذا دليل على أن من أعظم أسباب الردة هي طاعة الكافرين، فإنهم يتربصون بالمؤمنين، تارة بإلقاء الشبه، وتارة بتزيين الباطل الذي هم عليه، وتارة بخلط الحق بالباطل، فعلى المسلم أن يحتاط لدينه.

(١٥٠) ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ ناصركم فالجأوا إليه، واستنصروه، فمنه النصر، ومنه العون، ومن تولاه الله عَزَّوَجَلَّ فهو المحفوظ الغالب، فإن الله يدافع عن أوليائه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]. ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ خير من نصر، وبعونه يحصل الظفر.

(١٥١) ﴿سَنُلۡقِي﴾ نقذف ﴿فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ الخوف والفزع، فلا يثبتون لقتالكم، وفي حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**» **متفق عليه**.

وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[الأنفال:٦٠]. ﴿بِمَآ﴾ بسبب أنهم ﴿أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ غيره من المعبودات ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ صفة كاشفة؛ إذ ليس هناك شرك بسلطان، فالشرك كله باطل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣].

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ﴾ مستقرهم ﴿ٱلنَّارُۖ﴾ خالدين فيها أبدًا ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأنه عذاب أليم، فبئس المقام الذي يكون فيه الكفار يوم القيامة.

(٢١) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

(١٦٢) ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ أي: لا يستوي من اتبع ﴿رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بترك الغلول، وغيره من المخالفات الشرعية ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بأخذ الغلول، وغيره من المخالفات الشرعية ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ﴾ هذا في الكافر مأواه جهنم خالدًا فيها أبدًا.

❖ والمسلم يتوعد بالنار وقد يعفو الله عَزَّوَجَلَّ عنه قبل أن يدخلها، وقد يدخلها، ويؤخذ بذنبه، ومعصيته ثم يخرج منها، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢﴾ مصيرهم، فهم في أشد العذاب، وأسوأ الخزي .

٢٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٢].

١٨١ ثم أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن حال اليهود وطعنهم بالله عَزَّوَجَلَّ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ﴾ اليهود ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ ظلمًا، وزورًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ وهذا من جرأتهم على الله، فقد قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وقيل بأن سبب مقالتهم ما أنزل الله من قوله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة:٢٤٥]، فأعقبهم الله الفقر الذاتي، ولذلك مهما كثرت أموال اليهود فإنهم يبخلون على أنفسهم، ولا يوسعون عليها.

﴿وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ قاتلهم الله، وهل غناهم إلا من الله عَزَّوَجَلَّ ثم إن ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ أي: من هذا القول القبيح الكفري، ويجازون عليه يوم القيامة ﴿وَ﴾ نكتب ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ حيث عمدوا إلى بعضهم فقتلوهم، كما قال تعالى :﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧]، ﴿وَنَقُولُ﴾ لهم يوم القيامة تكبيتًا، وإهانة ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي: عذاب النار الموجع، كما قال تعالى:﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

١٨٢ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: بما كسبتم، وعملتم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ وهذا كقوله: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾، وفي حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**».

- في هذه الآية الرد على الجبرية.

٢٣) قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥].

١٨٥ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ منفوسة كتب الله لها الموت ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ أي: مصيبها مصيبة الموت ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾ تعطون ﴿أُجُورَكُمْ﴾ ثوابكم، وجزاءكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بَعُدَ ونُحي ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ فوزًا عظيمًا، حيث نُجي من العذاب الأليم، وأكرم بالكرامة العظيمة، ومفهومه أن من دخل النار فقد خسر الخسران المبين ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ الخداع الباطل الفاني، فهي عبارة عن متعة يتمتع فيها الجميع البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وأما الآخرة فهي خاصة بأهل الإيمان.

وكم هي الآيات التي جاءت في ذم الدنيا، لتحقيرها، فأن حب الدنيا كما يقال رأس كل خطيئة، فمن أحب الدنيا، وتعلق قلبه بها زهد في غيرها، وأعظم الناس حبا للدنيا المشركون؛ لأنهم لا يؤمنون بآخرة والدنيا جنتهم، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**» **متفق عليه عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأعظم الناس رغبة عن الدنيا هم خلص المؤمنين؛ لأنهم يعلمون أن الدنيا متاع الغرور، وأن نعيمها زائل، وأن قوتها تنتهي بالضعف، وشبابها ينتهي بالشيخوخة، وحياتها تنتهي بالموت، وكثرتها تنتهي بالقلة، وهذا أمر مجرب لا يحتاج كثير نظر وتأمل، ما على الإنسان إلا أن ينظر إلى أسلافه القريبين، ويرى ذلك فيهم ظاهرًا، وكما قيل:

ثمانية لابد منها على الفتى ... ولابد أن تجرى عليه الثمانية

سـرور وبؤس واجتماع وفرقة وعسـر ويسـر ثم سقم وعافية

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الحاكم (٧٩٢٧) قالَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجُل وهوَ يعِظُه: «**اغتنِم خمسًا قبلَ خمسٍ شبابَك قبلَ هَرمِك وصحَّتَك قبلَ سَقمِك وغناكَ قبلَ فقرِك وفراغَك قبلَ شُغلِك وَحيَاتِك قبلَ موتِكَ**»، وقد أُعل بالإرسال ومعناه صحيح.

والسبب الذي جعل الناس يتعلقون بها أنهم قصروا في عمل الآخرة، وإلا لو أنهم اجتهدوا في عمل الآخرة لكانت رغبتهم في الآخرة فوق كل رغبة، وطمعهم في لقيَّ الله عَزَّ وَجَلَّ فوق كل طمع، فعن عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَحبَّ لِقَاءَ الله أَحبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ**» متفق عليه.

٢٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٢].

جاء في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةً من الليالي فقال: «**يا عائشةُ ذريني أتعبَّدُ لربي!**» قالت: قلتُ: والله إني لَأُحبُّ قُربَك وأحبُّ أن يُسرَّك قالت: فقام فتطهَّر ثم قام يصلي، فلم يزلْ يبكي حتى بلَّ حِجرَه، ثم بكى فلم يزلْ يبكي حتى بلَّ الأرضَ وجاء بلالٌ يُؤذِنه بالصلاةِ، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخَّر.

قال: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟**» لقد نزلتْ عليَّ الليلةَ آياتٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية».

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين، فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة، وهو يقول: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا**».

(١٩٠) ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: وما فيهما من الإتقان، والآيات البديعات، والأمور العظيمات، حيث فرش الأرض، ونصب فيها الجبال، وخلق السماوات بغير عمد، ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾ تعاقب ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ﴾ علامات، وحجج، ودلائل ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة.

(١٩١) وهم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من حالهم أنهم ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا﴾ في حال قيامهم في صلاتهم، وغير ذلك ﴿وَقُعُودٗا﴾ حال قعودهم سواءً في صلواتهم، وغير ذلك ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ بصلاتهم، وبأذكار النوم، ونحوه ذلك.

وفي البخاري (١١١٧) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة، فقال: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**».

هذا عند التفسير بالخصوص، وأما على قول أكثر المفسرين فالآية دالة على تعين ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في جميع الأحوال كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من السعة، والعظمة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق الواسع المتقن ﴿بَٰطِلًا﴾ عبثًا، وإنما أوجدتهما لحكمة بديعة، ولغاية عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون في ملكه، ﴿فَقِنَا﴾ جنبنا وأبعد عنا ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بتوفيقنا إلى طاعتك، والبعد عن معصيتك.

﴿١٩٢﴾ ﴿رَبَّنَآ﴾ يا ربنا ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ دخول خلود ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنته، وفضحته، وينادى بهم على رؤوس الأشهاد: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ شفعاء كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر:٤٨-٤٩].

٢٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

﴿١٩٦﴾ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ لا يخدعنك عن الحقيقة ﴿تَقَلُّبُ﴾ تصرف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾، وهذا حاصل، فإننا نرى أعداء الله من المشركين والمنافقين في ترف في شأنهم الدنيوي، فإن هذا التصرف، والتوسع.

﴿١٩٧﴾ ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ زائل فانٍ، ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ خالدين فيها أبدًا ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]

سورة النساء

٢٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ [النساء:١٠].

۝١٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ بعدم دفعها لهم حين يتعين دفعها، أو حرمانهم مما أوجب الله عليهم ﴿ظُلۡمًا﴾ أي: بغير وجه حق، فخرج منه ما تقدم في الآية السابقة، ما كان بالمعروف، وذكر الأكل دون غيره؛ لشيوعه، وإلا فمن أتلف مال اليتيم في شراء ضيعة، أو شراء لباس فإنه داخل في هذا المعنى﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ ما يكون سببًا، وهذا على المآل أي: في الآخرة، ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ﴾ وهو وجد حر جهنم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٣]، ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦].

﴿سَعِيرٗا﴾ أي: نارًا ملتهبة وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: أَنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قِيلَ: يَا رسول الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**».

٢٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝١٤﴾ [النساء:١٣-١٤].

۝١٣ ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما تقدم من آيات المواريث، وكل أوامر الله، ونواهيه تعتبر حدودًا له، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]، وقال: ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [البقرة:٢٢٩].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالتوحيد فما دونه، ومنها قسمة المواريث ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ جزاءً موفورًا عظيمًا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الواسع الذي ليس بعده فوز؛ لأن به صلاح الدنيا والآخرة.

١٤ ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالشرك فما دونه ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ في الفرائض، وغيرها ﴿يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ إذا كان مشركًا، فالآية على دلالتها، ويخلد فيها أبدًا كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ عذاب هوان شديد، ويلحقه به سوء الحال، والمآل والله المستعان.

❁ وهذا الوعيد في حق من مات على معصيته، أما من تاب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب.

كما قال الناظم:

ومن يمت ولم يتب من الخطأ ... فأمره مفوض لذي العطاء
فإن يشأ يأخذ وإن شاء انتقم ... وإن يشأ يعطي ويجزل النعم

ويوافق في ذلك الخوارج والمعتزلة على أن من تاب من الكبيرة لا يؤاخذ بها، ولكنهم خالفوا أهل الحق فيمن مات على الكبيرة، فالخوارج والمعتزلة يوجبون له النار والخلود فيها، وأهل السنة يرون أنه تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه؛ وهذا هو الحق الذي لا معدل عنه، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء:١١٦].

٢٨) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء:٢٩-٣١].

٢٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم﴾ أي: أموال بعضكم بعضًا ﴿بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: بالحرام، ويدخل في ذلك الربا، والقمار، والغصب، والسرقة، والخيانة ونحو ذلك من العقود الفاسدة، فالآية على عمومها، والقاعدة عند بعضهم: (ما أخذ بوجه الحياء فهو حرام)، وفي الحديث: «**إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**» **أخرجه أحمد(٢٠٦٩)**.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وَعَنْ أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنما البيع عن تراض**» **أخرجه ابن ماجه (٢١٨٥)**.

۞ وفي قوله: ﴿أَمۡوَٰلَكُم﴾ رد على الاشتراكية، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أضاف المال إلى أصحابه وحرم أكله بالباطل، والحمد الله أن هذه الفرقة قد ظهر عيبها، ولحقها الخسران المبين في الدنيا كما هو لاحق لأهلها في الآخرة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ التعاملات بينكم ﴿تِجَٰرَةً﴾ أي: الذي أباحه الله لكم الربح الذي يكون من أموالكم التي تتاجرون بها ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ بطيبة من أنفسكم ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ وهذه عامة، فيدخل فيها قتل الأبناء، والنفس، والغير، وسيأتي بيان ذلك في موطنه إن شاء الله تعالى .

۞ وفي قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ رد على الذين يفجرون أنفسهم بالأحزمة الناسفة وغيرها؛ بدعوى أنهم ينغمسون في العدو، فما هو إلا أنهم يقتلون أنفسهم مخالفين لأمر الله.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» **متفق عليه عن ثابت بن الضحاك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**» متفق عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ أي: بإحلال الحلال وتحريم الحرام.

٣٠ ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: القتل بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل ﴿عُدۡوَٰنٗا﴾ بغيًا ﴿وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارٗا﴾ وعيد عظيم يدل على أن فاعل ذلك من مرتكبي الكبائر، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ السلامة والعافية.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: تعذيبهم في النار، ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يعجزه شيء.

٣١ ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ إن تبتعدوا عن كبائر الذنوب، وعظيم الآثام ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ الصغائر.

۞ وهذا دليل على أن ترك الكبائر سبب لتكفير الصغائر، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

❖ **وقد اختلف الناس في حد الكبيرة:**

فقيل: سبع، وهي المذكورة في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رسول الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**» متفق عليه.

وقيل: ثلاث لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رسول الله مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِالله**» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْيَمِينُ الْغَمُوسُ**»، قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ**» متفق عليه.

وفي حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**»، ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. **أخرجه البخاري (٢٦٥٤)**.

والأحاديث تدل على أن الكبائر أكثر من سبع، بل قال ابن عباس: هي إلى السبعين أقرب، وبعضهم قال: إلى السبعمائة أقرب.

❁ **وضابطها**: أن الكبيرة ما تُوعد عليه بنار، أو حرمان من جنة، أو لعن، أو طرد من رحمة الله، أو جُعل عليه حد في الدنيا، أو في الآخرة.

❁ وعقيدة أهل السنة والجماعة أن من مات على الكبائر أنه داخل تحت المشيئة، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» **أخرجه الترمذي (٤٧٣٩)**.

﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ أي: نتجاوز عن معاصيكم، ومكفرات الذنوب كثيرة، منها ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ**

الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» أخرجه مسلم (٢٣٣). ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ أي: الجنة، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

٢٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء:٥٤-٥٦].

﴿٥٤﴾ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ﴾ أي: أن الواقع أن اليهود يحسدون المسلمين والعرب؛ على أن نقل الله عَزَّوَجَلَّ النبوة إليهم بعد أن كانت في بني إسرائيل ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهم موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ومن إليهم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ما أنزل عليهم كالتوراة، والإنجيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ واسعًا، وكان ذلك فيهم سنين مديدة وأعوام عديدة، حتى كان بعد ذلك النبوة في محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿٥٥﴾ ﴿فَمِنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعبد الله ابن سلام، وغيره ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ كفروا، وأعرضوا عن الإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم كثير: كحيي ابن أخطب، وكعب ابن الأشرف ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: يسعرون فيها، وتوقد عليهم جزاء إعراضهم، وبغيهم.

(٥٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن والسنة من اليهود والنصارى، وعباد الأوثان وغيرهم ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ﴾ ندخلهم ﴿نَارٗا﴾ ،حرها شديد، وقعرها بعيد، وشأنها عظيم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ غير محترقة؛ ليزداد عذابهم، ويُشتد نكالهم ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ الشديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يغلبه شيء ﴿حَكِيمٗا﴾ فيما يدبره، ويقضيه.

❁ ويستدل بالآية على أبدية النار، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة ١٦٧]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر:٣٦]، ويقول: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر:٤٨].

وهذا قول السلف أصحاب الحديث قاطبة، وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة، فذهبوا إلى عدم وجود الجنة والنار الآن، كما ذهبوا إلى فناء الجنة والنار، وهو مذهب محدث لم يُسبقوا إليه، وشنع عليهم العلماء؛ بسببه.

❁ وفي هذا رد على غلاة الصوفية الذين يزعمون أن العذاب من العذوبة، أي أنهم يتلذذون بما فيها، وهنا يقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ احترقت ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ الأليم نعوذ بالله من النار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ ومازال تعالى فكل كان في حق الله تعالى تفيد اللزوم والاستمرار فهو متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص أزلا وأبدا، ﴿عَزِيزًا﴾ ذو العزة الذي لا يغلب ﴿حَكِيمٗا﴾ ذو الحكمة فلم ولن يكون في فعله عبث ونحوه

٣٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

(٩٣) ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ أي: قاصدًا لذلك متربصًا به عامدًا ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هذا على الوعيد الشديد، فعن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» **متفق عليه.**

هذا إذا كان كل واحد بأخيه، أما إذا كان التربص من أحدهما فيلحقه الحكم.

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ وهذا على المكث الطويل إن أراد الله له ذلك ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

❁ فيه إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ طرده من رحمته، ومنعه فضله، ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ عذابًا موجعًا.

❁ وذهب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أن قاتل المؤمن عمدًا لا توبة له، وقد ردَّ عليه بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

فقال: (كانت هذه في الجاهلية وذلك: أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: إن الذي تدعوا إليه لحسن أو تخبرنا أن لما علمنا كفارة فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨].

وأما التي في ﴿سورة النساء﴾ فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزاؤه جهنم) **متفق عليه.**

ومع ذلك فقد أفتى ابن عباس بتوبة القاتل فقد أخرج البخاري في **"الأدب المفرد"** عَنْ عطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟.

قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لاَ.

قَالَ: تُبْ إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فقَالَ: إِنِّي لاَ أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ.

۞ والآية خرجت مخرج الوعيد، واستدل بها الخوارج على تكفير فاعل الكبيرة، واستدلت بها المعتزلة والخوارج على خلود أهل الكبائر في النار، ولا دلالة لهم في ذلك، وإنما هذا من باب الوعيد والوعيد قد يُخلف.

وقد حكي أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يُخلف الله وعده قال: لا، قال: أليس قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣].

فقال له أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أوتيت يا أبا عثمان! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفًا وذمًا، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفًا وذمًا وأنشد:

وَإِنِّي وَإِنْ وَاعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ سَأُخْلِفُ مِيعَادِي وَأُنْجِزُ مَوْعِدِي

والأدلة كثيرة على أن فاعل الكبيرة لا يخلد في النار مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» متفق عليه.

٣١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

(٩٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾ تقبضهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ والمراد بهم ملك الموت، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]. ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار، وعدم الهجرة ﴿قَالُوا۟﴾ لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ من أمر دينكم فلم تهاجروا ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مكة ﴿قَالُوٓا۟﴾ الملائكة توبيخًا لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ وتخرجون من أرض الكفار ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ﴾ منزلهم ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

٣٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(١١٥) ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ يخالفه فيما جاء به من الحق عن عمد وقصد منه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر ﴿لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ الحق، ويدخل فيه التوحيد فما دونه.

❁ وفيه: دليل لمن يقول بالعذر بالجهل فإنه اشترط البيان، ومعرفة الحق من الباطل.

﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا، وسبيلًا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الصحابة ابتداءً، ويليهم من سلك سبيلهم، واقتفى آثارهم.

وفي هذا دلالة على وجوب الأخذ بمنهج السلف الكرام والأئمة الأعلام، في الاعتقادات والعبادات والمعاملات، فهو السبيل المرضي، والطريق القوي، إذ أنهم أهل الفقه والنظر والعلم والأثر، فمن ترك سبيلهم عامدًا ضل، ومن تركه جاهلًا زل.

وما حصل الضرر العظيم من الشركيات والبدع والخرافات، إلا بسبب البعد عن

سبيلهم القويم، الذي هو الصراط المستقيم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وأول السلف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ثم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ومن نحا نحوهم وسلك سبيلهم في كل عصر ومصر، وبالله التوفيق.

❁ وقد استدل الشافعي بهذه الآية على حجية الإجماع، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا، وَيَدُ اللهِ عَلَى الجمَاعَةِ» أخرجه الحاكم (٤٠٣) عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والأدلة عند أهل السنة، الكتاب، والسنة، والإجماع، وذهب بعضهم إلى زيادة القياس.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نخلي بينه، وبين ما اختاره لنفسه من الضلالة فيكله الله إلى فعل نفسه وإلى سوء صنيعه، ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة، ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ مرجعًا.

❁ وفي هذه الآية دلالة على وجوب الأخذ بمنهج السلف الكرام والأئمة الأعلام في العبادات والمعاملات، فهو الصراط المستقيم.

٣٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٦-١٢١].

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ لأن الشرك ظلم عظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ

مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]،

والمعنى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ شيئًا فهو عام في الشرك الأكبر والأصغر، إلا أن الشرك الأكبر يخلد في النار، والشرك الأصغر يعذب بقدر شركه ثم يخرج من النار على القول الصحيح من أقوال أهل العلم كما تقدم، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من المسلمين.

وعقيدة أهل السنة: أن أصحاب الكبائر من أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وغيرهم يدخلون تحت المشيئة:

ومن يمت ولم يتب من الخطا فأمره مفوض لذي العطا
فإن يشأ يأخذ وإن شاء انتقم وإن يشأ أعطى وأجزل النعم

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ هلك مهلكًا بعيدًا؛ لأن الشرك أعظم أنواع الضلال، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: سُئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» متفق عليه، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج:٣١].

١١٧ ﴿إِن يَدۡعُونَ﴾ ما يعبدون أي: أهل الإشراك ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ وهي الآلهة التي سموها بأسماء الإناث: كـ(اللات، والعزى، ومناة، أو الملائكة الذين زعموا أنهم إناث)، ﴿وَإِن يَدۡعُونَ﴾ يعبدون ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنٗا﴾ شطَّ، وخرج عن الطاعة بعيدًا عن كل فضيلة ﴿مَّرِيدٗا﴾ المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة، وأراد به إبليس، فهو أصل شرهم، وإليه نسبهم على الصحيح.

١١٨ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ﴾ طرده من رحمته، وأبعده، وأقصاه، ﴿وَقَالَ﴾ أي: إبليس ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا﴾ حظًا ﴿مَّفۡرُوضٗا﴾ مقطوعا ومعلومًا، وهذا من الكبر، والعناد، للإفساد، فإن الله عَزَّوَجَلَّ حين طرده من رحمته كما

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ ﴾ [ص:٧٨-٨٢]، فيسعى في إغوائهم، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

۝١١٩ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ أحرفهم، وأزيغهم عن طريق الحق بالوسوسة، ونحوها ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ يلقي في قلوبهم طول الأمل كما سيأتي قوله:﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾[النساء:١٢٠]، فيحبب إليهم الدنيا، والأهواء، والمخالفات، ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ ﴾ أي: بما يخالف الشرع، ﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ ﴾ يقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ متقربين به إلى الله مبتدعين في دين الله، أو متقربين به إلى الجن مشركين في دين الله، ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ ﴾ مخالفين بذلك ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بعدم التعرض له.

📖 وَفِي سَبَبِ نُزُولِهَا: أخرج الطبري (١٠٤٤٨) عن ابن عباس: أنه كره الإخصاء وقال: فيه نزلت: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ ﴾.

وحرم الله الصور لما فيها من المضاهاة لخلق الله، وقيل بأن المراد بخلق الله دين الله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الروم:٣٠]. أي: لدين الله، ففيها النهي عن البدع، ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا ﴾ يتولاه، ويطيعه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

فمن والى الشيطان أرداه، ومن والى الرحمن حفظه واجتباه، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ

وَلِيِّـۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾؛ لأنه تمسك بما لا يستطيع له نفعًا، ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، بل يسعى في إفسادهم وإضلالهم:

فَمن جَعَلَ الغُرَابَ لَهُ دَلِيلًا ... يَمر بِهِ عَلى جِيفِ الكِلابِ

ولذلك تجد الشيطان يحرص على تتبع غفلة الإنسان وفساده فيرديه، تصور لو أن هناك من يمشي معك، وهو يريد أن يكبك على وجهك كيف يكون الاحتراز منه، فهكذا الشيطان حريص على إغوائك وإضلالك، يتربص بك في حضرك وسفرك، وليلك ونهارك، وخلوتك وجلوتك، ويزين لك الباطل، فلا سلامة منه إلا بالاعتصام بالله كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

﴿١٢٠﴾ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ الشيطان طول الأمد ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الغرور، والباطل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: باطلًا لا يستفيدون منه لا في دنيا، ولا أخرى؛ بل هو ضلال، وفساد عليهم في الدنيا والآخرة.

﴿١٢١﴾ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي: من تقدم ذكر أوصافهم ممن أطاع الشيطان ووالاه ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ مفرًا، ومعدلًا.

٣٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩].

۝١٤٠ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ في القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ يسخر ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]، وتعلم من هذا أن ﴿سورة النساء﴾ نزلت بعد ﴿سورة الأنعام﴾.

۞ وبهذه الآية، وغيرها من الآيات احتج أهل العلم على وجوب هجر أهل البدع، والنهي والنئي عنهم.

۞ وفيه: البعد عن تكثير سواد المبطلين، فإن مجالسة المبطل سبب للتأثر بباطلهم، قال أبو قلابة الجرمي: (لَاتُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَاتُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ) **أخرجه الدارمي(٤٠٥)**.

ويستمر هجركم لهم ﴿حَتَّىٰ﴾ إلى أن ﴿يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ أي: يتركون الاستهزاء بالقرآن، والسنة وبمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولازم ذلك أن يقع منهم الإيمان، والاستجابة لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إذا قعدتم معهم راضين بصنيعهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الكفر، والإثم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يوم القيامة كما اجتمعوا في الدنيا ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، وقدم المنافقين على الكافرين؛ لعظم ضررهم، وخطرهم، ولعظيم عذابهم إذ أنهم أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر، والإجرام.

٣٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء:١٤٤-١٤٧].

١٤٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يخاطب الله المؤمنين الذين هم ملتزمون لشرعه، ومنتهون عن نهيه، وزجره ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لا تتولوا الكافرين، فعندهم من البعد عن الدين ما يوجب البراءة، والبعد، والنهي عنهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة:٥١]، فالمؤمن يوالي المؤمن كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة:٧١]، والكافر يوالي الكافر، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة:٦٧] ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ بموالاة المشركين ﴿أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ حجةً بينة في عذابكم، وهذا الأمر لم يقع من المؤمنين في ذلك الزمان؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ نهاهم عن هذا الصنيع، وهم متعبدون لله عَزَّوَجَلَّ بأمره.

❖ وفي الآية خطر القرب من المخالفين لدين رب العالمين، فإنهم يصرفون الإنسان عن الخير، ويزحزحونه عن الاستقامة، وربما جعلوه يحسب أنه يحسن صنعًا بهذا الصنيع.

والمتأمل لحال المسلمين في هذا الزمان يجد ما يدمي القلوب، ويبلي العيون؛ بسبب موالاة الكافرين والركون إليهم، والرضا عن كثير من أفعالهم، والتشبه بهم، وإلى الله المشتكى، وهذا مصداق قول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رسول الله آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟** قَالَ: **«فَمَنْ»** متفق عليه عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

﴿١٤٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن المنافقين في المكان الأسفل، وفي قراءة: ﴿الدَّرَكِ الأَسْفَلِ﴾.

❁ و(**الدرك**): هو أسفل ما يكون من المكان.

ولهذا يقولون الجنة درجات والنار دركات؛ لأن الجنة يرتفع فيها المؤمنون إلى أعلى عليين، والنار ينزل فيها الكافرون بحسب كفرهم إلى أسفل سافلين، وانظر إلى هذا الوعيد الشديد للمنافقين لشدة بغضهم للإسلام وشدة ضررهم على الإسلام وأهله.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ وليًا يدفع عنهم العذاب.

﴿١٤٦﴾ ﴿إِلَّا﴾ ويستثنى من هذا الوعيد ﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ رجعوا من النفاق، وهذا يكون في حال حياتهم، وتكون توبتهم بالدخول في الإسلام أولًا، وبالانتهاء عن النفاق، وما يبطنونه ثانيًا، ثم بالإصلاح ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أي: أعمالهم، فكانوا يراؤون فيتركون الرياء، وكانوا يقومون إلى الصلاة كسالى فيقومون مستبشرين فرحين، ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وثقوا به؛ لإيمانهم به، بينما كانوا في الشأن الأول أصحاب ذبذبة، ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ أخلصوا بالقلب؛ لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب.

❁ وقد تقدم أن شروط التوبة العامة خمسة، ويضاف إليها في توبة المنافق:

١- الإصلاح. ٢- والاعتصام بالله.

حتى تكون توبتهم صحيحة نصوحة، فإن كان منهم ما تقدم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ بما يفعلونه من إصلاح شأنهم بالتوبة النصوح ﴿مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظاهرًا وباطنًا، في الدنيا وفي الآخرة، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة.

﴿١٤٧﴾ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعماءه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به.

وفيه تقديم وتأخير تقديره: ما يفعل الله بعذابكم إن آمنتم وشكرتم، فلا يريد الله

عَزَّوَجَلَّ أن يعذبكم في حال إيمانكم وشكركم لنعمه بلسان الحال والمقال، وإنما يعذب الله عَزَّوَجَلَّ على الشركيات، والبدع، والخرافات، والمعاصي والسيئات.

❁ وفيه: فضيلة الشكر؛ لاقترانها بالإيمان، وأن الشكر واجب؛ لاقترانه بالواجب.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ يرضى بالقليل من عباده، ويجازي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿عَلِيمًا﴾ لمن هو مستحق للثواب، والأجر العظيم.

٣٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ توكيد لما تقدم، كفروا بالله، وظلموا بكفرهم، وظلموا نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾، إن ماتوا على الكفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ولا ليوفقهم لدين الإسلام؛ لأنهم ليسوا أهلًا للتوفيق ولا التسديد وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

﴿إِلَّا طَرِيقَ﴾ سبيل ﴿جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وهذه هداية بخذلانهم عن طريق الحق كما قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: لا يعجزه شيء في السموات، ولا في الأرض.

سورة المائدة

٣٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾ [المائدة:١٠].

١٠ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أعرضوا، وأبَوْا الإسلام، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الشرعية، وربما الكونية حين جعلوا مع الله ظهيرًا ومعينًا ونصيرًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

٣٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٢٨-٢٩].

٢٨ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ وليس ذلك جُبْنٌ مني؛ ولكن ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

❖ ومن هنا تعلم أن من أعظم أسباب السلامة من الفتن الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ.

٢٩ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾ إثم قتلي ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل، ﴿فَتَكُونَ﴾ بقتلك لي ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

❖ وعقيدة أهل السنة والجماعة: أن فاعل الكبيرة فيما دون الشرك مستحق للنار متوعد بها وأنه تحت المشيئة.

٣٩) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة:٣٧].

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أعرضوا عن دين الله عَزَّوَجَلَّ ولم ينقادوا له ﴿لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من قصورها وحدائقها وغير ذلك، ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ كقوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ [المعارج:١٣-١٤].

﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ﴾ لأنهم لم يؤمنوا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، ولا بمحمد ﷺ نبيًا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع.

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ**» متفق عليه.

٣٧ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بالفداء وغيره، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ بل يعذبون أبد الآباد ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ مستمر دائم.

۞ وهذا دليل لمذهب أهل السنة والجماعة بخلود الجنة والنار، وأنها لا تفنى ولا تبيد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر:٣٦]، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

٤٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

٧٢ ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾ النصارىٰ ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وقد تنوعت أقوالهم فقال بعضهم: المسيح ابن الله، وقال بعضهم: المسيح هو الله، وقال بعضهم: المسيح شريك الله وهو ما يسموه بـ(الأَقانيم الثلاثة)، فكفر الله عَزَّوَجَلَّ الطائفة الأولىٰ وهم الملكانية واليعقوبية من النصارىٰ، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ﴾ اعترف لهم بأنه مخلوق مربوب ومع ذلك أبوا إلا الغلو فيه، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ الشرك الأكبر، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ تحريمًا مؤبدًا، ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ خالدًا فيها أبدًا، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ من شفعاء يدخلونهم الجنة ويخلصونهم من النار.

٤١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ٨٦﴾ [المائدة:٨٦].

٨٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله وبرسله، ﴿وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن، ﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

سورة الأنعام

٤٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

٢٧ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد، والخطاب لأمته، ﴿إِذْ وُقِفُوا۟﴾ عرض الكفار يوم القيامة، ﴿عَلَى النَّارِ﴾ التي حرها شديد وقعرها بعيد، يحطم بعضها بعضًا، فما عسىٰ المتمني أن يتمنىٰ في ذلك المكان وفي ذلك الزمان، ﴿فَقَالُوا۟﴾ مع الخوف والفزع والحسرة ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلىٰ الحياة الدنيا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من أهل الإيمان، المبادرين إلىٰ مرضات الرحمن، ولكن هيهات لا تنفع الندامات ولا الحسرات، كما قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم:٥٧]، وهو موقف شديد وصعب علىٰ المرء حين يرىٰ أنَّ الهلكة قد أحاطت به من جميع جوانبه، ولا يستطيع أن يحدث شيئًا.

٢٨ ﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾ يسرون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون من قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]، وقيل أنه ظهر لهم ما كانوا يعلمون من صدق ما جاءت به الرسل في أنفسهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ﴾ [النمل:١٤]، ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إلىٰ الدنيا كما طلبوا، ﴿لَعَادُوا۟﴾ رجعوا، ﴿لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الكفر والإجرام، وهذا من تمام علم الله إذ أنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ في دعواهم وقولهم ﴿لَكَاذِبُونَ﴾.

٤٣) قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠﴾ [الأنعام:٧٠].

٧٠ ﴿وَذَرِ﴾ اترك، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوا به ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ يلعبون بدينهم على أهوائهم ويستهزؤون بهم، بخلاف حال المسلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران:٨٣]، ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج:٣٤]، ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ خدعتهم بما فيها من المتاع الزائل، ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن، ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ﴾ تُسلم للهلكة، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ ما عملت كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠]، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ﴾ أي: ليس لتلك النفس من دون الله، ﴿وَلِيٌّ﴾ قريب يدافع عنها وينافح، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لها في الآخرة، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ﴾ تُفدىٰ كل فداء لا يقبل منها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥﴾ [المعارج:١١-١٥]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ﴾ أُسلموا للهلاك، ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، ماء بالغ نهاية الحرارة، كما قال تعالى: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان:٤٥-٤٦]، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجع، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم وإعراضهم.

١٤٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٢٨].

١٢٨ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ يجمعهم ﴿جَمِيعٗا﴾ الجن والأنس، ثم يقول: ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾ الطائفة ﴿ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ بإغوائهم ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ الذين أطاعوهم ﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ استمتع الجني بالأنسي بحيث أنه أضله وأغواه، وفتنه وأرداه، واستمتع الأنسي بالجني بحيث أطاعه في معصية الله، ﴿وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا﴾ يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾ أي: جعلته في وقت معلوم، ﴿قَالَ﴾ الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ مقامكم ومأواكم جميعًا، كفار الجن والأنس، فلا سبيل إلىٰ الخلاص، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا.

وهذا دليل علىٰ أبدية النار، وأنها لا تفنىٰ.

كما قال بعضهم:

ثَمَانِيَة حكم الْبَقَاء يعمها من ... الْخلق وَالْبَاقُونَ فِي حيّز الْعَدَم
هِيَ الْعَرْش والكرسي ونار وجنة ... وَعجب وأرواح كَذَا اللَّوْح

﴿إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ﴾ هذا الاستثناء منقطع فيمن سبق أنه يخرج منها ممن دخلها من العصاة، فإن العصاة في النار لا يُخلدون كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليم﴾ عليم بالذي استثناه بما في قلوبهم من البر والتقوىٰ، وحكيم فيما قدر من العذاب للكافرين، والرحمة للمؤمنين.

سورة الأعراف

٤٥) قَالَ تعَالَى: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

(١٨) ﴿قَالَ﴾ الله عَزَّوَجَلَّ عند ذلك لإبليس، ﴿ٱخۡرُجۡ﴾ من الجنة، ﴿مَذۡءُومٗا﴾ معيبًا حقيرًا ﴿مَدۡحُورٗا﴾ مطرودًا مع ذمه وحقارته ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ من بني آدم، ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ واللام لام القسم: والله لأملأنَّ جنهم منكم أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا يزال جهنم يلقىٰ فيها حتىٰ يضع الجبار قدمه فيها فتقول: قط قط، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾ [ق:٣٠]» متفق عليه**.

٤٦) قَالَ تعَالَى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ [الأعراف: ٤١].

(٤١) ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ فراشٌ، يضطجعون ويجلسون عليها، ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ لحف، وهي جمع غاشية ومعنىٰ ذلك: أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم من تحتهم ومن فوقهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾ [الزمر:١٦]. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

٤٧) قَالَ تعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٦].

(٣٦) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ كفروا فكذبوا بآياته الكونية والشرعية، فالتكذيب بالآيات الكونية أن جعلوا مع الله شريكًا، ومثيلًا، ونظيرًا، ومعينًا، والتكذيب

بالآيات الشرعية: أنهم ردوا القرآن والسنة، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ عن قبولها وتكذيبهم في الغالب عن كبر، فالكبر يمنع كثيرًا من الناس من الاستقامة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ومنها لا يخرجون.

٤٨) قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٨].

٣٨ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ لهم يوم القيامة ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾ جملة جماعات ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت، ﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ علىٰ كفر وشرك وعناد، ﴿فِى النَّارِ﴾ يعذبون ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ جماعة، ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ في الدين، ويلعن الأتباع القادة ونحو ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ وتلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾ واجتمعوا في النار، ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ التابعة التي اقتدت وضلت بسبب الأولىٰ، ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ المتبوعة الداعية إلىٰ الشرك والكفر، ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ حرفونا عن الهدىٰ يريدون القادة، ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضاعفًا ﴿مِّنَ النَّارِ﴾ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥]، فالمضاعفة حاصلة عليهم سواءً دُعي عليهم بهذا الدعاء أم لا، ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ عذاب مضاعف وسبب المضاعفة علىٰ المتابعين؛ أنهم دعوا من بعدهم: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق من العذاب.

٤٩) قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف:٤٤-٥١].

٤٤ ﴿وَنَادَى﴾ يوم القيامة ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أهل الجنة، ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أهل النار، فقالوا لهم ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب والجزاء، ﴿حَقًّا﴾ صدقًا، ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا﴾ صدقاَ، ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ يعني: وجدوا النار التي أعدت للكافرين، ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: نادىٰ منادٍ أسمع الفريقين، ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ أي: البعد والطرد من رحمة الله عزوجل للظالمين والمراد بهم الكفار.

٤٥ ﴿الَّذِينَ﴾ أي: من صفاتهم، ﴿يَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس، ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن التوحيد والعمل الصالح، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبونها ﴿عِوَجًا﴾ أي: طريقًا زائغًا مائلًا جائرًا عن القصد وعن الدين القويم والصراط المستقيم، ﴿وَهُم﴾ زد علىٰ صدهم

أنهم: ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝٤٥﴾ لم يؤمنوا ببعث ولا جزاء؛ ولذلك تمادوا في كفرهم وبغيهم.

۝٤٦ ﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ بين الجنة وبين النار ﴿حِجَابٌ﴾، قيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار سور وحاجز وهو سور الأعراف وهو الذي قال الله عنه: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣﴾ [الحديد:١٣]، ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ السور الذي بين الجنة والنار، جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الديك؛ لارتفاعه عما سواه، قيل: سُمي بذلك؛ لأنَّ أصحابه يعرفون الناس، ﴿رِجَالٞ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ من أهل الجنة وأهل النار ﴿بِسِيمَاهُمۡ﴾ بصفاتهم، وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأعراف هل هم من أهل الجنة أم النار والتحقيق أنهم من أهل الجنة إلا أنهم حُبسوا علىٰ الأعراف لتساوي حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتُهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم النار، فوقفوا هنالك حتىٰ يُقضي الله عَزَّوَجَلَّ أمرًا كان مفعولًا، ﴿وَنَادَوۡاْ﴾ أي: أصحاب الأعراف، ﴿أَصۡحَابَ الۡجَنَّةِ﴾ الذين قد دخلوها، ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ سلمتم وبورك مقدمكم، ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ أصحاب الأعراف ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ عندهم طمع في دخولها؛ لأنهم قد سلموا من النار، وفي المستدرك عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ قَوْمٌ تَجَاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمُ النَّارَ، وَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ، قَالُوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذِ اطَّلَعَ عَلَيْهِمِ رَبُّكَ. قَالَ: **«قُومُوا ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**

۝٤٧ ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أبصار أصحاب الأعراف ﴿تِلۡقَاءَ﴾ جهة ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين في النار.

٤٨ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ بعلاماتهم فكانوا عظماء في الدنيا، ﴿قَالُواْ مَآ﴾ نراه ﴿أَغۡنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ من الأموال والأتباع والأولاد، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ وكبركم واستهزاؤكم وعلوكم في الدنيا، فاستكبروا علىٰ أتباع الرسول ﷺ وعلىٰ أصحاب الإيمان، فجوزوا به فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال النبي ﷺ: **«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّىٰ يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الأنيَارِ» أخرجه أحمد (٦٦٧٧).**

٤٩ ومن خطاب أصحاب الأعراف للمتكبرين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ﴾ أي: أهل الاستضعاف، ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ حلفتم ﴿لَا يَنَالُهُمُ﴾ لا يصلهم ﴿ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾ أنهم لا يدخلون الجنة، ثم يُقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

❖ وهذا دليل علىٰ أنهم من أهل الإسلام حُبسوا علىٰ تلك القنطرة وذلك الموضع لتنقيتهم؛ لأنَّ الجنة لا يدخل فيها إلا من قد طهر ونُقي من الذنوب.

٥٠ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ لمن في الجنة من أرحامهم ومعاريفهم، ولو لم يكن إلا أنهم بشر مثلهم لعلهم يجدون عندهم رحمة وشفقة لما هم فيه من العذاب الأليم والخزي العظيم، وكان طلبهم ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ﴾ صبوا وألقوا ﴿عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ لشدة عطشهم.

وقد أخرج ابن أبي حاتم (٨٥٣٣) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سُئِلَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الْمَاءُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَىٰ أَهْلِ النَّارِ لَمَّا اسْتَغَاثُوا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ قَالُوا: أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ».**

﴿أَوْ﴾ أفيضوا علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓاْ﴾ أهل الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منع طعام وشراب الجنة، ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المعرضين عن دين رب العالمين.

٥١ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾؛ لأنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وهو ما زين لهم الشيطان ليتخذوه دينًا، وما جاءهم به أهل الإيمان اتخذوه لعبًا وردوه، وقيل: بأن دينهم أي: عيدهم اتخذوه لعبًا، لكن المعنىٰ الأول أليق، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فقدموها علىٰ الآخرة، مع فساد ما فيها وحالها، ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم في النار، فالنسيان في حق الله عَزَّوَجَلَّ المراد به الترك، وأما النسيان بمعنىٰ الغفلة، فالله عَزَّوَجَلَّ منزه عنه، ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ الآخرة، بتركهم العمل الصالح والجزاء من جنس العمل، ﴿وَ﴾ بسبب ﴿مَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بحججنا الشرعية ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يردون فلم يؤمنوا بها ولم ينقادوا لها، والله المستعان.

٥٠) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

١٧٩ ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ النار المتقدة التي وقودها الناس والحجارة، ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ بني الشيطان، ﴿وَالأنسِ﴾ بني آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ تنبض وتضخ الدماء، وربما تفكرت وصنعت الآلات العظيمة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم:٧]، ولكن: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لا يعقلون ولا يستفيدون بوجودها، وإنما هي كقلوب بقية الحيوانات البهيمة التي لا تعقل، ومع ذلك: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ١٢﴾ [محمد:١٢]، وقد قال

تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج:٤٦]، ﴿وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ﴾ مبصرة لكثير من المبصرات، وربما استطاعوا أن ينقشوا بها الشوكة التي لا تُرىٰ، واستخدموها مع المجاهر في رؤية ما لا يُرىٰ بالعين المجردة، ومع ذلك: ﴿لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ الهدىٰ والآيات الشرعية والحجج الدينية، قد عمت قلوبهم عن الحق وعمت أبصارهم عن نظره: ﴿وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ﴾ جارحة ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ الحق، فيسمعون بها الأغاني، ويسمعون بها الخنا، والفجور، والزور لكنها في حال سماع الآيات الشرعية: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة:١٧١]، كما قال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧﴾ [البقرة:٧]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: من تقدم وصفهم، ﴿كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ السائبة السائمة التي لا تعرف ما ينفعها ويضرها، ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ لأنَّ تلك الأنعام لا عقول لها وليست بمكلفة وهؤلاء قد جعل الله لهم من وسائل المعرفة والإدراك والعلم الشيء الكثير ومع ذلك ما انتفعوا به قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨]، فبهذا تعلم أن الكفار أشر الأشرار، وأضل الضلال، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة:٦].

❁ فليكن في مثل هذه الآية دعوة للمسلمين إلىٰ البعد عن التشبه بالكافرين في عقائدهم، وأقوالهم، وأفعالهم فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنهم أضل من الأنعام، ومن كان هذا حاله فبئس التشبه به، والسير خلفه، والاقتداء به، فلو كان من أصحاب الكرامات لكان بعيدًا عن التشبه بالحيوانات البهيمات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ عن وعد الله ووعيده، وعن خبره وحكمه فاستحقوا النار؛ لشدة غفلتهم التي أوصلتهم إلىٰ الكفر والعياذ بالله.

سورة الأنفال

٥١) قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال:١٣-١٦].

﴿١٣﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الذي أصاب المشركين، ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ﴾ خالفوا ﴿اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمر الله وأمر رسوله ﷺ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، فعقوبته الذلة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة:٢٠]، ﴿فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿١٤﴾ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ما نزل بكم يا معاشر الكفار من العذاب يوم بدر، ﴿فَذُوقُوهُ﴾ عاجلًا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ وبئس القرار.

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قام النبي ﷺ علىٰ قليب بدر فقال: **«هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وعدكم ربكم حقًّا، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا؟»**، قَالُوا: يَا رَسولَ اللهِ تُنَادِي قَوْمًا قَدْ صَارُوا جِيَفًا؟ قَالَ: **«مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أقولُ مِنْهم» متفق عليه.**

﴿١٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في معركة، ﴿زَحْفًا﴾ يزحفون لقتال المسلمين، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ ظهوركم منهزمين، فيُصابر المسلم نفسه في قتال الكفار وإن اشتد عليه الأمر.

وقد كان مبدأ الأمر: أنه إذا لقي المسلم عشرة من الكفار لا يجوز له الفرار، ثم نسخ الله عَزَّوَجَلَّ ذلك؛ إلىٰ أنه إذا لقي اثنين لا يجوز له الفرار وأما إن كانوا أكثر من ذلك فلا بأس أن يُحرز نفسه علىٰ ما يأتي في آخر السورة إن شاء الله.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ أي: حال كونه منهزمًا، فإن هذا يفت في عضد المسلمين، ويؤدي إلىٰ تقوية الكافرين، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ منعطفًا يرىٰ من نفسه الأنهزام فينسحب انسحابًا يسيرًا لإعداد نفسه وتجهيز جيشه فهذا أمر لا حرج فيه، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أو يرىٰ من نفسه قلةً وضعفًا فينضم إلىٰ غيره من المؤمنين حتىٰ يكثر الجيش ويقوىٰ ويكثر العدد والعدة، ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ إن كان فراره إنما هو خشية الموت ونحو ذلك، لا لما تقدم.

وفيه: إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ، علىٰ ما يليق بجلاله، وهذا دليل علىٰ أن الفرار من الزحف من الكبائر الموبقة.

فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ**» قيل: يا رسولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بالله، والسحرُ، وقَتْلُ النفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصنَاتِ الغافِلاتِ المؤمنات**» **متفق عليه**.

❖ وقد ذهب أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ نسخ هذه الآية، وأنها خاصة بأهل بدر.

والصحيح: بقاء حكمها للحديث الذي سبق.

﴿وَمَأْوَاهُ﴾ مثواه ومصيره ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هذا إذا أراد الله أن يجازيه وإلا فالفرار من الزحف ذنب من الذنوب يغفر الله لمن شاء ويعذب من شاء، وقد فر

الصحابة رضوان الله عليهم إلا القليل يوم أحد، ومع ذلك عفا الله عنهم، وفروا يوم حنين، حتىٰ لم يبقَ مع النبي ﷺ إلا العدد اليسير وعفا الله عنهم.

٥٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٣٧﴾ [الأنفال:٣٦-٣٧].

۝٣٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ في الدنيا، لا لقصد التقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولكن ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ وليصرفوا الناس عن دين الله القويم وصراطه المستقيم ويا لله كم يُنفق الكفار في هذا الزمان من النفقات الكثيرة؟ والمليارات العظيمة؛ لصد الناس عن دينهم وإيمانهم وهيهات، وإنما يُطيعهم من ضعف دينه، وقلت أمانته، وزاد طمعه ومع ذلك قد قال رسول الله ﷺ: **«وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»** متفق عليه عن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي حديث سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّىٰ إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: **«سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»** أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

وهذا من الله خبرٌ ووعد للمؤمنين ووعيد علىٰ الكافرين: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ أي أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ﴾ ندامة في الدنيا والآخرة، ﴿ثُمَّ يُغۡلَبُونَ﴾ يُهزمون، ولا يظفرون ولا ينتصرون، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الآخرة، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ فيعذبون فيها.

(٣٧) والحكمة من هذا الذي يحصل ﴿لِيَمِيزَ﴾ يميز ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ الكافر، ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن، ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: فوق بعض، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ يجمعه فيصير كالسحاب المركوم: وهو المجتمع الكثيف، ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة، ﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا لأموالهم التي أنفقوها للصد عن سبيل الله، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار، رد إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

٥٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)﴾ [الأنفال:٥٠-٥١].

(٥٠) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ومن معك من المؤمنين، ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ يقبض ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد أو ما شاء الله.

❁ واستدل بهذه الآية علىٰ إثبات الحياة البرزخية، وإثبات عذاب القبر إذ أنهم عُذبوا عند موتهم، ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: في النار العذاب الأليم الموجع، فيهانون في الدنيا ويُهانون في البرزخ ويهانون في الآخرة.

(٥١) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العذاب الذي لحقهم، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يا أصحاب الشرك والنفاق، ﴿وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف:٤٩]، لكمال عدله، إذ أن الصفات السلبية عند أهل السنة والجماعة يُثبت بها كمال الضد، فقوله تعالىٰ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ لكمال حياته وقيوميته، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨)﴾ [ق:٣٨]؛ لكمال قوته وقدرته، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢]؛ لكمال اطلاعه وسعة سمعه وبصره.

فالقاعدة: كل صفة منفية توجد في القرآن أو في السنة فالمراد بها: إثبات كمال الضد، أما إذا كانت الصفة المنفية لا يُثبت بها كمال ضد فليست بوصف مدح بل هي ذم؛ ولذلك قال بعض أهل العلم في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

أنه ذم قومه بعجزهم حيث لا يستطيعون ظلم الناس، بينما لو قال في الملك بأنه لا يظلم لكان مدحا؛ لقدرته على الظلم وتنزه عنه.

سورة التوبة

٥٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧].

(١٧) وقد تفاخر الكفار بعمارة البيت الحرام حسًا فرد الله عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا﴾ عمارةً معنوية بالتوحيد والطاعة ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، المسجد الحرام إذ أنهم كانوا يقومون عليه ﴿شَاهِدِينَ﴾ مقرين ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ إن قاموا بذلك، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: الكفار، ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت وذهبت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، ولا أجر لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)﴾ [سورة البقرة:٨١]، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أبد الآباد، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣)﴾ [النبأ:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)﴾ [البقرة:١٦٧].

٥٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

(٣٤) يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية حال أحبار اليهود ورهبان النصارىٰ مع الأموال، فإنهم يظهرون للناس الزهد والتزهد، وهم في واقع الحال يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وفي قصة سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ:

فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّىٰ جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَىٰ لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ» **أخرجه أحمد (٢٣٧٣٧)**.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا﴾ وليس كلهم لكن النادر لا حُكم له، ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ﴾ علماء اليهود، ﴿وَٱلرُّهۡبَانِ﴾ عباد النصارىٰ، ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ من الرشاوىٰ ونحوها، فيحرفون الكَلِم عن مواضعه ويكتبون بأيديهم ما يحلون به الحرام ويحرمون به الحلال إرضاءً لأهل الباطل، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ الكنز: هو المال الذي لا تؤدىٰ زكاته علىٰ تفسير ابن عمر وغيره، أما ما أُودي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا وإن كان مدخرًا، والذي عليه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أن المال المدخر يُعتبر من المكنوز، ولهذا كان في قوله: يا معشر قريش والله لا أسألكم دنيا ولا أستفتيكم عن دين، وما وقع بينه وبن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المصارمة بسبب هذا القول، وقد أخذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما قاله النبي ﷺ: **«إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا فِي حَقٍّ»**، لكن الصواب ما عليه بقية الصحابة رضوان الله عليهم:

من أن المال إذا أُديت زكاته فليس بكنز وما لم يؤدَ زكاته فهو كنز ويكون حاله ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إما إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإما إِلَىٰ النَّارِ»، الحديث أخرجه مسلم(٩٨٧)**، وفي الرواية الأخرىٰ: **«مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾**،الآيَةَ» أخرجه البخاري (١٤٠٣) ومسلم(٩٨٧).**

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: النفقة الواجبة من الأنفاق علىٰ أنفسهم وعلىٰ أبنائهم ومن تجب النفقة عليه، والأنفاق لنصرة دين الله إذا تعين ذلك، ولا يؤدون الزكاة المفروضة فيها، ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ موجع يوم القيامة.

(٣٥) واذكر: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ﴾ يسخن ويوقد ﴿عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وقد صُفِحت صفائح نسأل الله السلامة والعافية، ﴿فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ﴾ وذلك أن صاحب المال إذا جاء الفقير يسأله أول ما يتغير وجهه، ﴿وَجُنُوبُهُمۡ﴾ وذلك أن صاحب المال أول ما يبدأ في الإعراض عن الفقير بالالتفاف، ﴿وَظُهُورُهُمۡۖ﴾ وذلك أنه يوليه دُبره فيقع الكي في ظهره، فالجزاء من جنس العمل، ﴿هَٰذَا﴾ جزاء ﴿مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ من الأموال ولم تنفقوها في سبيل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ﴿فَذُوقُواْ﴾ هذا العذاب الشديد، ﴿مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ أي: بسبب ما كنتم تكنزون.

٥٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

(٤٩) ﴿وَمِنْهُم﴾ من أصناف المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في القعود وعدم الخروج؛ ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ﴾ ببنات بني الأصفر ويُذكر أن رجلًا من المنافقين قال: يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء وإني أخشىٰ إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن أتأذن لي في القعود، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ﴾ فتنة الشرك والكُفر، ﴿سَقَطُواْۗ﴾ وقعوا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يصلونها وبئس المصير.

٥٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣].

(٦٣) ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ أي: المنافقون الذين يخافونكم ويسعون في إرضائكم، ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ﴾ يخالف المحادة: المخالفة، ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ يوم القيامة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الفضيحة التي لا بعدها، كما قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢]، فأشد.

٥٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

(٦٨) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يصلونها فبئس المصير، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا، ﴿هِيَ حَسْبُهُمْۚ﴾ أي: يكفيهم ما فيها من العذاب الأليم والخزي المبين، ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

وهذا من الأدلة علىٰ أبدية النار.

٥٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

٧٣ ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بسيفك ولسانك، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بلسانك إذ لم يقاتلهم النبي ﷺ بسيفه، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ في الكلام؛ لشدة حالهم فلا ينفع فيهم المعروف ولا يستفيدون من رفقٍ وغيره، ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ مستقرهم في الآخرة، ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم حيث أنهم في عذاب دائم واصب وتسمى هذه الآية بآية السيف، وقد جاء مثيلها في سورة التحريم، قال عطاء: فنسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح.

٦٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

٨١ ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ المتخلفون عن غزوة تبوك، وهم المتروكون في المدينة، ﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي: بقعودهم، ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد رسول الله ﷺ وقيل: المعنىٰ مخالفة لرسول الله ﷺ، ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مع أن جهادهم خيرٌ لهم لو كانوا يفقهون، ﴿وَقَالُواْ﴾ منفرين لغيرهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ، ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾ لا تخرجوا ﴿فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ فإن غزوة تبوك كانت في شقة بعيدة وفي حر شديد، ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾ من حر الدنيا فادفع الحر الكثير بالحر القليل، ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ يعلمون ولكنهم في بُعد عن ذلك.

﴿٨٢﴾ ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا﴾ أي: في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ في الآخرة، ﴿جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ بسبب ذنوبهم ومعاصيهم.

٦١) قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥].

﴿٩٥﴾ ومن طريقهم أنهم: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ الأيمان البالغة، ﴿إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم، ﴿إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ﴾ أي: لتصفحوا وتتجاوزا عنهم، وعدم المطالبة لهم بسوء صنيعهم، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ﴾ يعني: اتركوهم وشأنهم لا تنفع معهم موعظة ولا يستجيبون لدعوة ولا ينزجرون عن باطل، ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ﴾ نجس كحال الكفار، حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يوم القيامة، ﴿جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ يعملون.

٦٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[التوبة:١٠٩].

﴿١٠٩﴾ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ﴾ في قراءة: ﴿أُسِّسَ﴾، ﴿بُنْيَانَهُ﴾ أي: المسجد الذي أُسس: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ طاعة ورضىٰ، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ وهو هائر ساقط مسجد الضرار، ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾ يريد بناء هذا المسجد كالبناء على شفير جهنم، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين والمنافقين المعرضين.

٦٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

سَبَبُ نُزُولِ قَولِه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾: نزلت في شأن أبي طالب كما في صحيح البخاري ومسلم: عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: **«يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»**، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»** فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة:١١٣]، ونزلت أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص:٥٦].

١١٣ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ﴾ أي: يطلبوا المغفرة، ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ كأبي طالب ومن في سبيله، ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ ولو كانوا من أقرب الأقربين؛ لأنهم مشركون مندون، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء:٤٨]، ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ للمؤمنين ﴿أَنَّهُمْ﴾ الأموات ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ من أصحاب النار، حيث ماتوا علىٰ الكفر.

وفي هذا بيان لمسألة العذر بالجهل فإنهم لا يؤاخذون قبل علمهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء:١٥].

سورة يونس

٦٤) قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس:٤].

﴿٤﴾ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ بعثكم ﴿جَمِيعًا﴾ يوم القيامة حين تُخرجون من قبوركم حفاةً عراةً غرلًا، ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ صدقا لا يُخلف فالله عَزَّوَجَلَّ، لا يُخلف وعده ولا يُنقض عهده، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، صدقًا في الأخبار عدلًا في الأحكام ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ فيوجده من العدم، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فيحييهم بعد إماتتهم: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ يثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل فيكرمهم ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أعرضوا عن الإيمان والإسلام، ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار يشوي الوجوه، كما قال تعالى ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة:٥٥]، ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج:٢٠]، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ شديد موجع، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، فيدخل الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين الجنة برحمته لهم، وكان سبب ذلك أعمالهم الصالحة، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢]، ويدخل الكافرين النار بسبب إعراضهم وكفرهم.

٦٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس:٨].

۝٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يؤملون ﴿لِقَاءنَا﴾ يوم القيامة والبعث والنشور من الكافرين والمنافقين، ﴿وَرَضُواْ﴾ فرحوا ﴿بِالْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ واختاروها وعملوا لها فلم يؤمنوا بالآخرة، ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنوا إليها كأنهم سيخلدون فيها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ الشرعية والكونية ﴿غَٰفِلُونَ﴾ لا يعتبرون ولا يتفكرون بل إنهم معرضون.

۝٨ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من تقدم ذكرهم، ﴿مَأْوَاهُمُ﴾ مستقرهم ﴿النَّارُ﴾ فيها يُخلدون ومنها لا يُخرجون، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ بسبب ذنوبهم وكفرهم وتكذيبهم.

٦٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧].

۝٢٧ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوا، وأشدها الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ أي: جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ هوان وقترة، ووجوههم مسودة، ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يمنع عنهم سخطه وعذابه، لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قضى وقدر أن العصمة للمؤمنين: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران:١٠١]، ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ تغطت وجوههم وألسنتهم، ﴿قِطَعًا﴾ جزءً ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ فصارت مسودة بعد أن

كانت بيضاء في الدنيا، وهذا والله شدة الهوان: أن الإنسان يكون علىٰ حالة في الدنيا أحسن منها في الآخرة، بينما المؤمن في حالة الآخرة أحسن منها في الدنيا، فقد يكون أسود اللون من خلقته ولكنه أبيض بإيمانه وعمله، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧]، ﴿أُوْلَـٰئِكَ﴾ من تقدم وصفهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾.

سورة هود

٦٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود:١٥-١٦].

﴿١٥﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله الصالح، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وما فيها من الزخارف والملهيات، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أجور أعمالهم التي عملوها من أجل الدنيا، ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا يُنْقَصُونَ من أجورهم شيئًا، واختلف في معني هذه الآية فقيل: بأنهم أهل الريا.

* **لكن معلوم أن الرياء ينقسم إلىٰ قسمين:**

- **الأول**: رياء أكبر مخرج من الملة، وهذا لا يصدر إلا من منافق، كما قال تعالىٰ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

- **الثاني**: رياء أصغر: وهو الذي تخوفه علينا رسول الله ﷺ بقوله: **«إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»**، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: **«الرِّيَاءُ» أخرجه أحمد(٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما المؤمن فإنه يعمل العمل الصالح لله، وقد يطرأ عليه المراءة، فيدفعها إما أن يكون عمله الصالح للدنيا فلا يُصلي، ولا يزكي، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يعتمر ولا يفعل شيئًا من هذه الأعمال إلا للدنيا فهذا لا يصدر إلا من منافق.

﴿١٦﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ يعملون الأعمال الصالحة لإرادة الدنيا، ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ يُخلدون فيها، ﴿وَحَبِطَ﴾ بطل وذهب ﴿مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ في الدنيا من الأعمال، ﴿وَبَاطِلٌ﴾ ذاهب ﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لأنه لم يكن لله عَزَّوَجَلَّ، **وقد قال رَبيع**

بْنِ خُثَيْمٍ: "مَا لَمْ يُرَدْ بِهِ وَجْهُ اللهِ يَضْمَحِلُّ" **أخرجه ابن أبي شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى:٢٠]، وهذه تُحمل على هذا المعنى، أما من عمل عملًا يريد الآخرة وربما رجى شيئًا من الدنيا فلا حرج؛ فعن أنس بن مالك قال النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأما الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**» **أخرجه مسلم(٢٨٠٨)**، والكافر ليس له في الآخرة من حسنة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

٦٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود:٩٦-٩٩].

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ الدالة علىٰ صدق ما جاء به كالعصا واليد ونحوها علىٰ ما تقدم في سورة الأعراف، ﴿وَسُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ﴾ واضح.

﴿٩٧﴾ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ وهم أشراف قومه من القبط الذين مالؤوه علىٰ الباطل، ﴿فَاتَّبَعُوا﴾ أخذوا، ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ الكفر والضلالة، ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ بسديد، فمن أين له السداد وهو يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

﴿٩٨﴾ ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ﴾ يتقدمهم حين حشرهم، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ﴾ وهو مقدمهم وقائدهم.

❁ وهذا ردٌّ علىٰ من زعم لسوء فهمه وعلمه: أن معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، أنه ليس معهم، وقد تداركه الله برحمته حين قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

والصحيح: أنه لم يُسلم، بل مات علىٰ الكفر، وقوله كان في حال الغرغرة ولا تنفع التوبة في تلك الحال.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ بئس المدخل الذي دخلوه.

٦٩) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٦-١٠٧].

﴿١٠٦﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ أي: بالكفر، ﴿فَفِي ٱلنَّارِ﴾ يُعذبون، ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾ الزفير: كأول نهيق الحمير، ﴿وَشَهِيقٌ﴾ كآخره أي: يخرج من أجوافهم، وقيل: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، قاله أبو العالية.

﴿١٠٧﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في هذا العذاب، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ قيل: ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، وهذا عند العرب يدل علىٰ التأبيد.

❁ **لا كما ذهبت المعتزلة ومن إليهم من أن هذه الآية دليل علىٰ فناء النار،** فإن قولهم مبتدع لا توافقه الأدلة وإنما هو مبنيٌّ علىٰ الهوىٰ والرأي الفاسد، ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ قيل: هذا الاستثناء علىٰ التبرك بذكر اسم الله، وقيل بأن الاستثناء

للفترة التي كانت قبل دخولهم النار، وقيل: هذا الاستثناء من المتشابه ويُعاد إلىٰ المحكمات في قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٥]، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء:٥٦]، وكما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر:٣٦].

وكذلك في الجنة من يدخل ينعم لا ييأس، لا تبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: **«يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا» أخرجه مسلم(٢٨٣٧)**، فلا يجوز أن يُعمد إلىٰ آية أُشكِلَ معناها علىٰ بعضهم فترد به آيات صريحات واضحات مع أن التوجيه ما ذكرناه: بأن العرب ربما يُطلقون التوقيت ولا يريدونه، كقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ [النبأ:٢٣]، فليس المراد أنهم يلبثون أحقابًا ثم يخرجون، ولكن أحقابًا متتابعة ومتتالية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ صيغة مبالغة من الفعل لا يعجزه شيء ولا يمنعه شيء.

٧٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾ لا تداهنوا بالميل والمحبة والرضا: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا وأجرموا، ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ فتصيبكم، ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ لا تسلمون.

٧١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٨- ١١٩].

﴿١١٨﴾ ﴿وَلَوۡ شاء رَبُّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ﴾ علىٰ قلبٍ واحد من الإيمان أو الكفر والإجرام فالأمر أمره والشأن شأنه، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ علىٰ أديانٍ شتىٰ بين اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وغيرهم.

﴿١١٩﴾ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ أهل الإسلام، وأهل السنة الذين حفِظوا من الاختلاف والزيغ والأنحراف، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ أي: خلقهم للاختبار والابتلاء والاختلاف، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، وإلا لو أرادهم علىٰ غير الاختلاف لكانوا، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ الكونية، أي: تم حُكم ربك الذي لا يُخلف ولا يُنقض، ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن منهم العفاريت والشياطين، ﴿وَالنَّاسِ﴾ ذرية آدم، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ولا تزال يُلقىٰ فيها حتىٰ يضع الجبار قدمه فيها فتقول: قط قط، كما يأتي عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠].

وعن أبي سعيد وأَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأما النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأما الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**» متفق عليه.

سورة الرعد

٧٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ [الرعد:٥].

٥ ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يا محمد من تكذيب هؤلاء المشركين وردهم لهذه الحجج الواضحة الجلية، ﴿فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾ فاعجب من قولهم الذي يدل علىٰ ضعف عقولهم ومداركهم، ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ بعد الموت، ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ بعث ونشور، وكان الأولىٰ أن يستدلوا بخلقتهم علىٰ بعثتهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة:٣٧-٤٠]، وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين تقدم قولهم، ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ لم يقروا به ربًا، ومالكًا، وخالقًا، ورازقًا، ومدبرًا، ومعبودًا وإن أقروا ببعضها في الجملة إلا أنهم كفروا بألوهية الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ يوم القيامة تُغل أيديهم وأرجلهم إلىٰ أعناقهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ وما هم منها بمخرجين.

٧٣) قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

⑱ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ انقادوا لدينه وشرعه في هذه الدنيا وأطاعوه بامتثال أمره واجتناب نهيه، ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ بل كفروا وأعرضوا، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة، ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ من الأموال والأمتعة، ﴿لاَفْتَدَوْاْ بِهِ﴾ يعني: شروا به أنفسهم وعاوضوا به عن أنفسهم حتىٰ لا يدخلوا النار، كما قال تعالىٰ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ⑪ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ⑫ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ⑬ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ⑭﴾ [المعارج:١١-١٤]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ سيء الحساب، فيجازون ويحاسبون علىٰ جميع أعمالهم السيئة، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مصيرهم ونزلهم، ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بئس الفراش الذي يُمهد لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ﴾ [الأعراف:٤١].

٧٤) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ㉕﴾ [الرعد:٢٥].

㉕ فلما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ شأن المؤمنين ثنىٰ بذكر الكافرين والمعرضين وهذا في القرآن كثير: ﴿وَالَّذِينَ﴾ أي: من شأنهم أنهم ﴿يَنقُضُونَ﴾ ينكثون ﴿عَهْدَ﴾ ميثاق ﴿اللهِ﴾ وهي ما أُخذت عليهم من العهود والمواثيق سواء في ذلك عهد الله الذي هو مأخوذ علىٰ ذرية آدم، أو العهد الذي أخذه الله في الكتب المنزلة أو اليمين.

قال أبو العالية: هِيَ سِتُّ خِصَالٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِذَا كَانَتْ فِيهِمُ الظَّهْرَةُ عَلَىٰ النَّاسِ أَظْهَرُوا هَذِهِ الْخِصَالَ، إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا خَانُوا، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا كَانَتِ الظَّهْرَةُ عَلَيْهِمْ

أَظْهَرُوا الْخِصَالَ الثَّلَاثَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا خَانُوا. وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ أَيْضًا، وَقَالَ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِإِسْنَادِهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ قَالَ: هُوَ مَا عَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ، فَأَقَرُّوا بِهِ ثُمَّ كَفَرُوا فَنَقَضُوهُ.

﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ المغلظ عليهم في الطاعة ولزومها، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والأوامر والنواهي، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بأنواع الفساد من الشرك والزنا، واللواط، وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ الطرد من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ سوء المنقلب وهي النار وبئس القرار نسأل الله السلامة والعافية.

ففي هذه الآيات مع ضميمها من آيات سورة البقرة وما في بابها تعلم أن المؤمن يُمدح لما هو عليه من العلم والعمل بمرضات الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الكافر يُذم بما هو عليه من سوء العلم والعمل، فإنما يُكرم الإنسان بعلمه وعمله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣]، أما الجمال فرُبَ جميل الوجه ليس بجميل الخصال والفعال، ورُبَ جميل وجه يكون يوم القيامة وجهه من أسوأ الوجوه، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران:١٠٦].

٧٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد:٣٤-٣٥].

٣٤ ﴿لَّهُمْ﴾ للكفار المعرضين ﴿عَذَابٌ﴾ شديد، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل وغيره، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾ في نار جهنم يصلونها وبئس المهاد، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ من ناصر ومعين ومُسَلِم ومانع.

٣٥ ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي: وصف الجنة، ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ وعدها الله عَزَّوَجَلَّ أن يسكنها المتقون، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ﴾ أي: تجري فيها الأنهار، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾

غير مقطوع، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٣]، ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ أي: ليس فيها شمس ولا برد، كما قال تعالىٰ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٣-١٤].

❁ وفي هذا رد علىٰ الجهمية الذين يزعمون أن الجنة تفنىٰ وتبيد، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الجنة والنار للبقاء لا للفناء.

﴿تِلْكَ﴾ أي ذلك النعيم ﴿عُقْبَى﴾ أي: عاقبة: ﴿الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ راقبوا الله بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ يعذبون فيها وبئس القرار.

سورة إبراهيم

٧٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ۝١٧﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

⑮ ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ﴾ أي: دعوا علىٰ أنفسهم، كما قال الكفار: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال:٣٢]، وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ [الأنفال:١٩]، يعني: دعوا علىٰ أنفسهم، ﴿وَخَابَ﴾ لحقته الخيبة والخسارة، ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متجبر لا يرىٰ فوقه أحدًا، ﴿عَنِيدٖ﴾ معاند للحق لا يقبل غير قوله، كقوله: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [ق: ٢٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ» أخرجه الترمذي (٢٥٧٤).**

⑯ وهذا الجبار العنيد ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أمامه كما كان ابن عباس يقرأ في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ [الكهف:٧٩]، ﴿جَهَنَّمُ﴾ يوم القيامة، ﴿وَيُسۡقَىٰ﴾ يُشرب، ﴿مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ۝١٦﴾ وهو ما يسيل من قيح الكفار ودمائهم في النار، كما قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٧- ٥٨].

⑰ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يتحساه ويشربه لا مرة واحدة بل جرعة جرعةً؛ لمرارته وحرارته،

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ يكاد لا يستطيع أن يبتلعه ويتذوقه ويتحمله؛ لشدة حرارته وكراهته ونتنه، ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾ لشدة العذاب، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ جهة وناحية ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ﴾ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة:١٦٧]، ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أمامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ شديد وهو الخلود في النار، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١].

٧٧) قال تعالىٰ: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [إبراهيم:٢٨-٣٠].

٢٨ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يا محمد، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ﴾ غيروا ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ أي: كفروا به، ﴿وَأَحَلُّواْ﴾ أنزلوا، ﴿قَوۡمَهُمۡ﴾ الذين تبعوهم في دينهم، ﴿دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ الهلاك.

٢٩ ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يوم القيامة، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ المستقر.

٣٠ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ نظراء ومثلاء، ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ يفتنوا، ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عن طريق الإسلام الصحيح، أضافه إلىٰ نفسه تشريفًا وتكريمًا وهو طريق واحد بخلاف طرق الكفر والإلحاد فهي سبل كثيرة، ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ﴾ في دنياكم بأكلكم وشربكم وتبعلكم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢]، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ﴾ مقركم ورجوعكم، ﴿إِلَى النَّارِ﴾. التي تلظىٰ، لا يصلاها إلا الأشقىٰ.

٧٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم:٤٩-٥٠].

﴿٤٩﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدود بعضهم إلىٰ بعض، الدعاة والأتباع، ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ في القيود والأغلال، وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٧١، ٧٢]، وقوله: ﴿۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات:٢٢-٢٣]، فيكون الإنسان مع قرينه.

﴿٥٠﴾ ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم واحدها: سربال، ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ الذي تُدهن به الإبل لونه سيء، ورائحته سيئة، وينزل علىٰ جلود معذبة محرقة فيزيدها عذابًا إلىٰ عذابها، وفي حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»، **أخرجه مسلم (٩٣٤).**

﴿وَتَغْشَىٰ﴾ تغطي ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ التي كانوا يزينونها في الدنيا، ﴿النَّارُ﴾ فتغطيهم وتعلوهم، فلا يبقىٰ من أجسامهم شيء سالم من النار، بخلاف المؤمن فوجهه أبيض حتىٰ وإن دخل النار لكبائر عملها فإن الله حرم علىٰ النار أن تأكل مواطن السجود.

الحجر

٧٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

۝٤٣ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ﴾ النار المحرقة ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يعني إبليس ومن تبعه.

۝٤٤ ﴿لَهَا﴾ للنار ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق. كل باب أسفل من الآخر، قال ابن جريج: النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظىٰ ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ دركة ﴿مِّنْهُمْ﴾ من الكافرين ﴿جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَّقْسُومٌ﴾ معلوم.

سورة النحل

٨٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ [النحل:٢٨- ٢٩].

٢٨ ومن حالهم أنهم ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ﴾ تقبض أرواحهم ﴿الْمَلائِكَةُ﴾ ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة ﴿يَتَوَفَاهُمْ﴾ بالياء، حال كونهم ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر فتوفتهم في حال كفرهم، ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا كذبا، ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ شركًا كما قالوا: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧]، فقال لهم الملائكة، ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فلا يفيدكم الجحود.

٢٩ ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ وهي سبعة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ مأوىٰ ومستقر ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان.

٨١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢﴾ [النحل:٦٢].

٦٢ ﴿وَيَجۡعَلُونَ﴾ يصيرون ﴿لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات، ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ﴾ أي: تقول: ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ حيث يزعمون ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ الجنة في المعاد إن كان محمد صادقا بالوعد في البعث.

ففي الصحيحين: عَنْ خبَّابٍ، قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَىٰ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: **«لاَ أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ»**، قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتَىٰ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٧-٧٨]. ﴿لا جَرَمَ﴾ حقًا، ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ في الآخرة، ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ فتح الراء وكسرها، **فبالكسر**: مسرفون أو مضيعون أمر الله، **وبالفتح**: منسيون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: مبعدون، وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجلون إلىٰ النار. قال الفراء: مقدمون علىٰ النار، ومنه قوله ﷺ: **«أنا فرطكم علىٰ الحوض» متفق عليه** أي: متقدمكم.

الإسراء

٨٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

⑧ ﴿عَسَىٰ﴾ في حق الله موجبة ﴿رَبُّكُمْ﴾ يا بني إسرائيل، ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلىٰ إفسادكم ومعاصيكم ﴿عُدْنَا﴾ إلىٰ العقوبة.

قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، ﴿وَجَعَلْنَا﴾ صيرنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ سجنًا ومحبسًا من الحصر وهو الحبس. وقال الحسن: حصيرًا أي: فراشًا، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

٨٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

⑱ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ يطلب الدنيا ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ المنقضية الزائلة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا، فَقَالَ: «**أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَىٰ صَاحِبِهَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا**» أخرجه ابن ماجه. والأدلة علىٰ حقارتها كثيرة.

﴿عَجَّلْنَا﴾ قدمنا ﴿لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ من البسط والتقتير، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ أن نفعل به ذلك، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة، ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخل نارها، ﴿مَذْمُومًا﴾ مطرودًا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعدًا.

٨٤) قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرناه، ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ الموعظة وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ شريكا لله عَزَّوَجَلَّ والخطاب للنبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فَتُلْقَىٰ﴾ تطرح ﴿فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ من نفسك ويلومك الله والخلق ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا مبعدًا من كل خير.

٨٥) قال تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣].

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ﴾ الله ﴿ٱذْهَبْ﴾ امضِ في سبيلك وشأنك ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ على طريقتك، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ أي: جزاؤك وجزاء أتباعك، ﴿جَزَآءً﴾ نصيبًا ﴿مَّوْفُورًا﴾ وافرا مكملا تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ويذوقون فيها سوء العذاب.

٨٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨].

٩٧ ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ يوفق ويسدد ﴿فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ إلىٰ الإسلام ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ يخذل ويزيغ ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ ناصرًا ومعينًا ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره يهدونهم، ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ﴾ نجمعهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الملك: ٢٢].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر علىٰ وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: **«إن الذي أمشاه علىٰ رجليه قادر علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه» أخرجه مسلم.**

﴿عُمۡيٗا﴾ لا يبصرون ﴿وَبُكۡمٗا﴾ لا يتكلمون ﴿وَصُمّٗاۖ﴾ لا يسمعون، فإن قيل كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم. وقد قال: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وقال: ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٢] فأثبت الرؤية والكلام والسمع؟ قيل: يحشرون علىٰ ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر: قال ابن عباس: عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صمًا لا يسمعون شيئًا يسرهم. وقال الحسن: هذا حين يساقون إلىٰ الموقف إلىٰ أن يدخلوا النار. وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، ﴿مَّأۡوَىٰهُمۡ﴾ مثواهم ومستقرهم ﴿جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ﴾ سكن لهيبها. وقيل: طفئت وقيل: كلما خبت أي أرادت أن تخبو، وهذا الأظهر لأنَّ حالهم كما قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا

﴿يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرٗا﴾ وقودًا، وقيل: كلما نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلىٰ ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار لتحرقهم، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

سورة الكهف

٨٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد لهذا الذي طلب منك البُعد عن مجالسة المؤمنين والميل إليهم، ﴿الْحَقُّ﴾ القرآن والإسلام، ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ خالقكم ورازقكم ﴿فَمَن شَآءَ﴾ منكم ﴿فَلْيُؤْمِن﴾ وله من الله الجزاء الأوفى، ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ وله من الله العذاب الأليم، وهذا ليس علىٰ التخيير وإنما هو علىٰ التهديد، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ أسوارها، كالحجرة التي تطوف بالفسطاط، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ يطلب الكفار الغوث وهم في النار، ﴿يُغَاثُوا۟﴾ يُجاب طلبهم، لكن: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ الحار إذ أنهم في حال شدة عطش، والمهل: عكر الزيت، فإذا قُرب إليهم سقطت وجوههم، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ شرابهم، ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ مرتفعًا، مع أنه لا رفعة في النار؛ لكن سيأتي أن الجنة وصفها الله بالمرتفق فناسب أن يجعل ذلك علىٰ هذا الحال، وقيل: المرتفق المنزلة، وقيل: المتكأ.

٨٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف:٥٣].

﴿٥٣﴾ ﴿وَرَءَا﴾ في ذلك اليوم، ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿ٱلنَّارَ﴾ قد أُزلفت وقُربت، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ**

زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» أخرجه مسلم، ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ استيقنوا، ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ واقعون وداخلون فيها، ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلًا ومهربًا؛ لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

٨٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠٦].

١٠٠ ﴿وَعَرَضْنَا﴾ أبرزنا، وقربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ يُشاهدونها، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ٩٠﴾ [الشعراء:٩٠]، قُربت، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١]، يرونها. وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». أخرجه مسلم وأعل بالوقف.**

١٠١ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أي: الكفار ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ﴾ غشاوة لا يُبصرون الحق، ﴿عَن ذِكْرِى﴾ عن طاعتي: وهو التزام الإيمان والقرآن، ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: سمع قبول الإيمان؛ لغلبة الشقاوة عليهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

(١٠٢) ﴿أَفَحَسِبَ﴾ أفظن: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بسبب جهلهم بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ ينصرونهم ويرجونهم ويتقربون إليهم، ويُريد عيسىٰ والملائكة؛ كلا، بل هم لهم أعداء يتبرؤون منهم يوم القيامة، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا وجهزنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ منزلًا ومثوًا.

وهذا دليل علىٰ وجود النار كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

(١٠٣) ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم، ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ في الدنيا والآخرة، الذين أتعبوا أنفسهم وأهلكوها بما لا فائدة فيه.

(١٠٤) فهم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ﴾ هلك وذهب وبطل، ﴿سَعْيُهُمْ﴾ عملهم الذي عملوه، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وإن كان صالحًا؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من المُشرك عملًا، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون، ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ فعلًا.

وهذا سبيل أهل البدع وسبيل الكافرين: أنهم لا يدخلون في الإسلام الحق؛ لظنهم أنهم علىٰ شيء وليسوا علىٰ شيء، فاليهود يظنون أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، ويظنون أنهم أبناء الله وأحباؤه، والواقع: أنهم أعداؤه وليسوا بأوليائه، وهكذا النصارىٰ، فحسن العمل بموافقة الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

(١٠٥) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يفعلون هذه الأفعال ويظنون هذا الظن، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كذبوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ آيات الله عَزَّوَجَلَّ الشرعية، ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ ورؤيته في البعث والنشور يوم القيامة، ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ذهبت وولت، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ ميزانًا.

❖ وقد اختلف العلماء في أعمال الكفار؟

فذهب بعضهم: إلىٰ أنها لا توزن، وذهب بعضهم: إلىٰ أنها توزن ولكن لا قيمة لها وهذا هو الحق: لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥] **متفق عليه**.

﴿١٠٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ ثوابهم، ﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ القرآن، ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ سخرية، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

سورة مريم

٩٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ
أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ
جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ
نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٦٦-٧٢].

﴿٦٦﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ متكبرًا متغطرسًا مُنكرًا للبعث والنشور، قيل: بأنه أُبيّ بن خلف، ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ ودُفنت في التراب وأكلني الدود وذهبت العظام، ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ أُبعث من قبري، وهذا تكذيب منه بالبعث والنشور.

﴿٦٧﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ يتفكر ويتذكر: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فالذي أوجده من العدم قادر علىٰ أن يُعيده بعد فنائه، فإن الإعادة أسهل من البدأة، والله لا يعجزه شيء.

﴿٦٨﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يُقسم الله بنفسه المقدسة، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ نجمعنهم يوم القيامة، ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ كذلك يُجمعون معهم فيصفدون في السلاسل، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ نأتي بهم ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ في جهنم، ﴿جِثِيًّا﴾ جماعات جاثين علىٰ الرُكب، لشدة الهول، كقول تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

﴿٦٩﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ لنُخرِجنَّ، ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أمة وأهل دين من الكفار، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ أي: وأعظم بعدًا وعتوًا وفجورًا، فيخرج الله عَزَّوَجَلَّ قادتهم وينكل بهم.

(٧٠) ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ بدخول النار، وأحق بذلك ممن كفر وعاند، ﴿صِلِيًّا﴾ يُلقىٰ فيها فتُحيط به من جميع جوانبه.

(٧١) ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي وما منكم إلا واردها، والورود هو: المرور علىٰ الصراط، وقيل: الدخول في جهنم، وقيل: الحضور، وقيل: ورود المؤمن ما يصيبه من الحمىٰ.

والصحيح الأول، ولا يُلتفت إلىٰ غير ذلك من التفاسير.

فعن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: **«إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ»**، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، قَالَ: **«أَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾» أخرجه مسلم.**

والصراط: هو الجسر الممدود علىٰ متن جنهم، قال عنه النبي ﷺ: **«مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»** متفق عليه عن **أبي سعيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ هذا الأمر، ﴿حَتْمًا﴾ واقعًا، ﴿مَّقْضِيًّا﴾ لا يتخلف.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَرَوَىٰ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ نَافِعَ بن الأزرق مارىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْوُرُودِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ الدُّخُولُ. وَقَالَ نَافِعٌ: لَيْسَ الْوُرُودُ الدُّخُولَ، تلا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، أَدْخَلَهَا

هَؤُلَاءِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ قَالَ: يا نافع أمَا والله أنا وأنت سَنرِدُهَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَنِي اللهُ مِنْهَا، وَمَا أَرَىٰ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُخْرِجكَ مِنْهَا بِتَكْذِيبِكِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: لَيسَ الْمُرَادُ مِنَ الْوُرُودِ الدُّخُولَ، وَقَالُوا: النَّارُ لَا يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ أَبَدًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢]، وَقَالُوا: كُلُّ مَنْ دَخلَهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها، الْحُضُورُ وَالرُّؤْيَةُ، لَا الدُّخولُ، كَمَا قال تعال: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ﴾ [القصص:٢٣]. أَرَادَ بِهِ الْحُضُورَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَعَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ جَمِيعًا يَدْخُلُونَ النَّارَ ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ﴾ [مريم:٧٢]، أَيِ اتَّقَوُا الشِّرْكَ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ. وَالنَّجَاةُ إِنَّمَا تَكُونُ مِمَّا دَخَلْتَ فيه لا ما وردت، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ نُنْجِي بِالتَّخْفِيفِ وَالْآخَرُونَ بِالتَّشْدِيدِ. اهـ

وكلام البغوي علىٰ أن المرور: الدخول فيها، والذي قدمناه أنه المرور عليها، وهو الأظهر، وهو اختيار الطبري، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وأبعد الأقوال من قال: هو الحمىٰ، والله أعلم.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلِجُ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»، متفق عليه**، ولا يلزم من ولوجهم وورودهم عليها أن يعذبوا، فقد يمر أحدهم كالبرق لا يصيبه من أمرها شيء، ويمر أحدهم كشد الرجال، ويمر أحدهم يمشي، ومنهم من يُخدش، ومنهم من يكردس علىٰ وجهه في نار جنهم.

﴿٧٢﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ نسلم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ أهل الإيمان، ﴿وَّنَذَرُ﴾ نترك ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ يقيمون فيها فلا يخرجون منها أبدًا، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

٩١) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٦-٨٧].

﴿٨٥﴾ واذكر: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾ نجمع: ﴿ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ يُحشرون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ كأنهم في موكب، ومعلوم أن الوفد يُرحب به ويُكرم ويُستبشر بقدومه، فدخولهم دخول الكرماء.

﴿٨٦﴾ ﴿وَنَسُوقُ﴾ ندفع، ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش.

وفي حديث الشفاعة عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ**» أخرجه مسلم.

﴿٨٧﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ عندئذ، ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ من يشفع لهم قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ التوحيد، ومن قال لا إله إلا الله. وقيل: العهد: الصلاة، ولا معارضة؛ فهي من أعظم أعمال

التوحيد؛ ففي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»**، **أخرجه مسلم**، وفي حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**. **أخرجه الترمذي.**

سورة طه

٩٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ﴾ يوم القيامة ﴿مُجۡرِمٗا﴾ كافرًا، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يعذب فيها ولا يخرج منها، ومن شأنه: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح من العذاب، ﴿وَلَا يَحۡيَى﴾ فيتنعم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧].

سورة الأنبياء

٩٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩].

٢٩ ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ﴾ من الملائكة، ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله، ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ يُعذب فيها ولا يخرج منها، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي الظَّالِمِين﴾ الكافرين، مع أنه لم يقل أحد من الملائكة بأنه رب ولا رسول؛ لكن هذا من باب التهديد والوعيد لهؤلاء المشركين المنددين.

٩٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠﴾ [الأنبياء:٣٩-٤٠].

﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ﴾ تقوم الساعة، ﴿لَا يَكُفُّونَ﴾ يدفعون: ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ المُحرقة، ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ﴾ إذ أنها تصلاهم وتحيط بهم، ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ يُمنعون من العذاب، فيستعجلون أمرًا لو نزل بهم لأهلكهم، ولو كانوا من أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة لقالوا: اللهم اهدنا ووفقنا وسددنا، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الزمر:٢٥]، قُتِلَ منهم يوم بدر سبعون، وهكذا لحقهم الأسر والهوان.

٤٠ ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ الساعة، ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة، ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ تحيرهم؛ لشدة أهوالها وعظيم شأنها، ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ دفعًا لها، ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يُمهلون ويؤخرون حتى يتوبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

٩٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠].

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا معاشر الكفار، ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان، ﴿حَصَبُ﴾ وقود: ﴿جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ داخلون وفيها خالدون.

﴿٩٩﴾ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأصنام والأوثان، ﴿ءَالِهَةً﴾ تُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ على الحقيقة، ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ ما دخلوا فيها، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ العابد والمعبود.

﴿١٠٠﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد عند جلب الهواء، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ولا يُبصرون وإنما يعذبون.

سورة الحج

٩٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ [الحج:٣-٤].

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ الكفار والمنافقون، ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾ يُخاصم ﴿فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ في صفات الله بالباطل، ويُجادل في كتاب الله تحريفًا وتعطيلاً بالباطل، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ يتابع أي: هذا المجادل في جداله: ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ المتمرد العاتي في الشر. ﴿كُتِبَ﴾ قُضِي، ﴿عَلَيۡهِ﴾ على الشيطان، ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ اتبعه وأطاعه، ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ يعني: الشيطان ﴿يُضِلُّهُۥ﴾ يحرفه عن الصراط المستقيم، والطريق القويم، ﴿وَيَهۡدِيهِ﴾ يرشده ويدلّه ويوصله ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ عذاب النار، وبئس المصير.

٩٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾ [الحج:٩-١٠].

ومن شأنه أنه ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ متبخترًا؛ لتكبره لَاوِي عُنقه مُعرِضًا عمَّا يُدعىٰ إليه، فـ(**العِطفُ**): الجانب، ﴿لِيُضِلَّ﴾ يُحرف الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطريقه القويم، وهذا الصنف ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ مهانة من قتل، وخوف، ﴿وَنُذِيقُهُۥ﴾ نصيبه، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ في النار.

ويقال له عند ذلك: ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ﴾ فعلت ﴿يَدَاكَ﴾ من الأعمال السيئات، والأفعال القبيحات، ﴿وَأَنَّ اللهَ﴾ لكمال عدله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ

﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾ كما قال: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»، أخرجه مسلم عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٩٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج:١٩-٢٢].

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره.

وَفِي أَسْبَابِ النُّزُولِ: ما في الصحيحين من حديث أبي ذر أنه كان يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج: ١٩] نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ الحَارِثِ، وَعُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يكون جزاؤهم يوم القيامة أنها: ﴿قُطِّعَتۡ﴾ فُصلت وجُهزت: ﴿لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ على أجسامهم قيل: من نحاس مُذاب، سُميت بالثياب؛ لأنها تُحيط به، ﴿يُصَبُّ﴾ يُسال ﴿مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ﴾ تنكيلًا بهم ﴿ٱلۡحَمِيمُ﴾ وهو الماء الحار التي انتهت حرارته.

ومن شأنه ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ﴾ يُذاب بالحميم، ﴿مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ من اللحم والشحم، ﴿وَٱلۡجُلُودُ﴾ يشويها ويسقطها.

﴿وَلَهُم﴾ مع ذلك عذاب آخر، وهو ﴿مَّقَٰمِعُ﴾ سياط، ﴿مِنۡ حَدِيدٖ﴾ تُضرب به الرؤوس.

وشأنهم أنهم ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ﴾ من كرب وهم، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ردوا إليها، ﴿وَ﴾ قال لهم الملائكة توبيخا: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ النار الألیم الموجع.

٩٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الحج:٥١].

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ عملوا في إبطال آياتنا الشرعية، ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مُثبِّطين الناس عن الإيمان، وقيل: معاندين شاقين ظانين أنهم يعجزون الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿أُولَئِكَ﴾ جزاؤهم أنهم ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار الموقدة.

١٠٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحج:٧٢].

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ الشرعية، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات جليات، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ تتغير وجوههم، كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥]، ﴿يَكَادُونَ﴾ لشدة غيظهم وحسدهم وحقدهم: ﴿يَسْطُونَ﴾ يبطشون، ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤون ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ من المؤمنين الموحدين، ويدخل فيه محمدٌ ﷺ ابتداءً، ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ﴾ أُخبركم، ﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ الحال الذي أنتم فيه ﴿النَّارُ﴾ تدخلونها يوم القيامة، ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ أُعدت للكافرين، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم، والمُكث مكثهم.

سورة المؤمنون

(١٠١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٣-١٠٨].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بسبب الشرك، وكثرة السيئات، وقلة الحسنات، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ فلا يخرجون منها.

﴿تَلْفَحُ﴾ تسفع وتحرق: ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ وهو أشرف ما في البدن، ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ عابسون.

فيقول الله لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معاشر الكافرين، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وتعرضون.

﴿قَالُوا۟﴾ معتذرين: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ﴾ تغلب، واستولت ﴿عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: ما كُتب عليهم من الشقاوة، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ منحرفين عن الهُدى.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار، ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ لما تكره، ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ كافرون.

﴿قَالَ﴾ لهم ربنا عَزَّوَجَلَّ عند ذلك: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟﴾ انزجروا وابعدوا: ﴿فِيهَا﴾ في النار، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في شأن أنفسكم ولا في شأن غيركم.

سورة النور

١٠٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور:٥٧].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ لا تظنن يا محمد، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وتمردوا علىٰ شرع الله، ﴿مُعْجِزِينَ﴾ فائتين هاربين في الأرض، والواقع أنهم ليسوا بمعجزين، ومع ذلك، ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾ مستقرُّ رجوعهم وسكنهم، ﴿النَّارُ﴾ التي أعدها الله للكافرين، ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مصيرهم؛ مصير عذاب لا نعمة فيه ولا رحمة؛ بسبب إعراضهم وبغيهم ومكرهم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

سورة الفرقان

١٠٣) قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان:١١-١٦].

﴿بَلْ﴾ الواقع الذي جعلهم يضطربون فيك وفي دعوتك أنهم، ﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ بالبعث والنشور والقيامة، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ جهَّزنا وأعددنا.

- وهذا من الأدلة علىٰ وجود النار الآن.

﴿لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ﴾ بالبعث والنشور، ﴿سَعِيرًا﴾ نارٌ مستعرة تُحيط بهم من جميع جوانبهم.

ومن شأنها أنها: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟﴾ قيل من مسيرة عام، وقيل من مسيرة مائة سنة، وقيل غير ذلك، والله أعلم، ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ صوتًا شديدًا، ﴿تَغَيُّظًا﴾ غليانًا كالغضبان إذا غَلِيَ صدره من الغضب، ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتًا، ولا يُمنع أن الآية علىٰ ظاهرها أنهم يسمعون ذلك.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟﴾ طرحوا، ﴿مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ حين دخولهم النار، كما قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [البلد: ٢٠]، ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مقيدين مصفدين، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]، ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ويلًا، وحسرة، وخيبة.

فيُقال لهم: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا﴾ هلاكًا، ﴿وَٰحِدٗا﴾ فأسباب هلاككم وعذابكم كثيرة، ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ هلاكًا ﴿كَثِيرٗا﴾ أكثر من أن تدعوا مرة واحدة، ولن يستجاب لهم بل يقول الله عَزَّوَجَلَّ لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الذي وعدتم به من العذاب والشدة، ﴿خَيۡرٌ﴾ مستقر، ومقام، وأهنىٰ عيشة، ﴿أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الجنة العالية التي: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة:٢٣]، يُقال لهم فيها: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤]، ﴿ٱلَّتِي وُعِدَ﴾ بها ﴿ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ المؤمنون الموحدون، ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ﴾ ثوابًا لأعمالهم الصالحة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ [النبأ:٣٦] واسعًا، ﴿وَمَصِيرٗا﴾ مرجعًا يرجعون إليه.

ومن شأن المؤمنين في ذلك: ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ مما تشتيه أنفسهم وتُلذ به أعينهم، حال كونهم: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ماكثين أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف:١٠٨]، ﴿كَانَ﴾ هذا الوعد ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ يعني: مطلوبًا طلبه المؤمنون من ربهم.

١٠٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٤].

فهم ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ﴾ يجمعون يوم القيامة يمشون، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ كما قال تعالىٰ ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الملك:٢٢]، وفي حديث أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **«أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» متفق عليه**، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ وبئس المصير، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ

﴿شَرٌّ﴾ أسوأ، ﴿مَّكَانًا﴾ حالًا ومنزلًا، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا، حيث أخطؤوا طريق الإسلام في الدنيا، وطريق الجنة في الآخرة.

١٠٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿وَ﴾ من شأنهم أنهم، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ﴾ أبعد ﴿عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ مُلازمًا دائمًا لا ينفك عن أهله الكفار، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار، ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ بئس الموضع هي وال مقام هو.

سورة الشعراء

١٠٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ
هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ
فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء:٩١-١٠٤].

﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أُظهرت، ﴿ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ للكافرين.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ للكافرين علىٰ سبيل التهكم والسخرية: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان؟، ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ يمنعونكم من العذاب؟، ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ لأنفسهم؟ فهم أعجز من ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٣]. أي: لا يُسلمون ولا ينجون، بل هي عاجزة.

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ يُلقون علىٰ وجوههم، في النار بعضهم فوق بعض، ﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ الكافرون الذين سلكوا سبيلهم، وقيل: بأن الغاوين هم كفرة الجن.

- وقيل: كبكبوا جُمِعوا.

وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ حيث أنهم طُرِحَ بعضهم علىٰ بعضٍ في النار وألقوا علىٰ رؤوسهم.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ أي طرحوا في النار وجنوده أتباعه وكل من أطاعه من الجنِّ والشياطين يناله ما نال هؤلاء.

﴿قَالُوا﴾ الكفار، ﴿وَهُمۡ فِيهَا﴾ في جهنم، ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ أي: يرد بعضهم علىٰ بعض في اللوم، كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الصافات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون ٢٧ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِين ٢٨ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِين ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِين﴾ [الصافات:٢٧-٣٠].

﴿تَاللَّهِ﴾ والله، ﴿إِن كُنَّا﴾ حين صدقناكم ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ﴾ تيهٍ وشكٍّ، ﴿مُّبِينٍ﴾ واضح.

﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم﴾ في العبادة لا في الذات والصفات، ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

❖ وفي هذا بيان أن ما يفعله عباد القبور من صرف العبادات من دعاء ونذر وذبح وخوف وغير ذلك للمقبورين المربوبين يعتبر تسويةً لمعبودهم برب العالمين تعالىٰ الله عما يشركون، فلا يلزم من التسوية المماثلة في الصفات والذات.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ حرفنا عن الهدىٰ، ودعانا إلىٰ الضلالة، ﴿إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الكافرون.

﴿فَمَا لَنَا﴾ يوم القيامة إن مُتنا علىٰ الكفر، ﴿مِن شَٰفِعِينَ﴾ يشفعون لنا عند الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَلَا﴾ لنا من ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ قريب خالص المودة يشفع لنا؛ وذلك حين يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، في المؤمنين ويبقىٰ هؤلاء لا شفاعة لهم.

﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾ رجعة إلىٰ الدنيا، ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهم كاذبون في ذلك، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ، ﴿لَآيَةً﴾ علامة بَيِّنة، وحجة ظاهرة علىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وفساد دينهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مع توارد الأدلة والحجج والبراهين.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يعجز، ولا يُغلب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته وولايته.

سورة النمل

١٠٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل:٩٠]

﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الشرك، ﴿فَكُبَّتْ﴾ طرحت، ﴿وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: منكوسة ويقال لهم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ في ذلك اليوم، ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الشرك والبواطن.

سورة القصص

١٠٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ صيرناهم، ﴿أَئِمَّةً﴾ ضلالة قادة ورؤساء، ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يدعون إلىٰ أعمالٍ تؤدي بهم إلىٰ النار؛ من الشرك فما دونه، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بل يكون حالهم أنهم من أهل النار.

سورة العنكبوت

١٠٩) قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم﴾ عبدتم، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ أصنامًا صماء بكماء لا تسمع ولا تنفع، ﴿مَّوَدَّةَ﴾ محبة تكون ﴿بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، وتنقطع في الآخرة، فلا ينفعونكم ولا يشفعون فيكم، بل كانوا لكم أعداء، ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ حين يبعثكم الله من قبوركم، ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ التابع والمتبوع، ﴿وَيَلۡعَنُ﴾ يدعو ﴿بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ بالخزي والندامةِ، وهذا من البراءة التي أخبر الله عنها: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ﴾ مثواكم ومستقركم، ﴿ٱلنَّارُ﴾ تُخَلَّدُون فيها، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يسعون في نجاتكم منها.

١١٠) قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٣ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٥﴾ [العنكبوت: ٥٣-٥٥].

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ يستعجلك أيها الرسول المشركون، ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ الهلكة التي أنذرتهم، ﴿وَلَوۡلَآ أَجَلٞ﴾ وقت ﴿مُّسَمّٗى﴾ قد أجَّلَهُ الله، ووقته لهم، ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ كما أتىٰ الذين من قبلهم، ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم﴾ العذاب، ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة علىٰ حين غرَّة، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه وفعلًا خرجوا إلىٰ بدر، وما كان عندهم ظن أن تقع المعركة، وإذا بهم يُقتلون ويؤسرون.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ كررها لشدةِ مطالبتهم بذلك، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ حين يدخلون فيها، ويكون حالهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١].

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ﴾ يغطيهم ﴿الْعَذَابُ﴾ أي: عذاب النار ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جزاء شرككم وكفركم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١].

(١١١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾ اختلق ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وادعىٰ أنه رسول من الله، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُۥٓ﴾ به الرسول ﷺ، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مستقر ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾؟ والمعنىٰ: أنه لا أظلم من إنسان يفتري علىٰ الله الكذب، أو يُكذب بالحق المنزل.

سورة لقمان

١١٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ﴾ على محمد ﷺ، ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام والأوثان، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بهذا الأمر بشبهة اتباع الآباء ﴿يَدْعُوهُمْ﴾ يرشدهم ويوصلهم ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وهو عذاب جهنم إن ماتوا على الشرك والتنديد.

سورة السجدة

١١٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ كفروا، ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾ الذي يأوون إليه يوم القيامة، ﴿ٱلنَّارُ﴾ يُخلدون فيها وبئس القرار، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ﴾ من غم، ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ تكفرون وتستبعدون.

۞ وقد يستدل بهذه الآية وأمثالها المعتزلة والخورج الذين يقولون بخلود أصحاب الكبائر في النار، ولا حجة لهم في ذلك علىٰ ما هو مبين في أصل عقيدة أهل السنة والجماعة من خروج الموحدين من النار، وقد قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»** أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من الأحاديث المتواترة.

١١٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٢-١٤].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ ولو تعلم يا محمد ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون يوم القيامة: ﴿نَاكِسُواْ﴾ مطرقي وخافضي، ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى الأرض لسوء فعلهم في الدنيا ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حياءً وندمًا مما فعلوه من الشرك وغيره، لرأيت عجبًا يقولون مع ندامتهم: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا مكذبين به، ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق ما أتت به الرُسل ولا ينفعهم

ذلك، ﴿فَأَرْجِعْنَا﴾ فارددنا إلى الأرض: ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ بما كنا به مكذبين وهم كاذبون، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ كونـًا ﴿لَأَتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ من المكلفين ﴿هُدَىٰهَا﴾ توفيقها ورشدها للإيمان، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ﴾ وجب، ﴿الْقَوْلُ﴾ القضاء والحكم: ﴿مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ الجن، ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ من الكافرين منهم، وذلك أن الله لما خلق الجنة والنار وعدهما بملئهما، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ**» متفق عليه.

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ يوم القيامة، وتركتم الإيمان به، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم من الرحمة، ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الذي لا ينقطع، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

سورة الأحزاب

١١٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ طردهم من رحمته، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ جهنم يصلونها، وبئس المصير.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يتحولون عنها إلىٰ غيرها، ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يشفع لهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم ويُدافع عنهم.

- وهذا دليلٌ علىٰ أبدية النار.

وذلك، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ يمشون عليها، وتُحيط بهم، ﴿يَقُولُونَ﴾ متحسرين علىٰ أنفسهم، ﴿يَٰلَيْتَنَا﴾ في حياتنا الدنيا، ﴿أَطَعْنَا ٱللَّهَ﴾ بتوحيده وبما أمر، ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ باتباعه في دعوته إلىٰ التوحيد، وما كان من سوىٰ ذلك.

﴿وَقَالُوا۟﴾ معتذرين عن ضلالهم، ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ رؤساءنا، ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾ عظماءنا، ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ حرفونا عن الطريق القويم، والصراط المستقيم.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: ضعفي عذاب ما نحنُ فيه، هم يعلمون أنهم ما سيخرجون من النار، فما قالوا: أخرجنا وأبقهم، ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾ اطردهم وأقصهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٨].

سورة سبأ

١١٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ:١٢].

﴿وَ﴾ اذكر إذ سخرنا، ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ يركبها، وتسير به كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾ [الأنبياء:٨١]، ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ﴾ جريها بالعشي، فيستطيع أن يذهب إلى المكان الذي يُريد ويرجع إلى مكانه غدوة وعشية، ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا، ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ﴾ النحاس أذابه الله عَزَّوَجَلَّ بحيث يستعمله كيف شاء، ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما يُريد، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ إذ سخرهم له وأمرهم بطاعته حين قال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ﴾ [ص:٣٥]، ﴿وَمَن يَزِغْ﴾ أي: يعدل ويميل: ﴿مِنْهُمْ﴾ من الجن ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناهم به من طاعة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿نُذِقْهُ﴾ نصبه، ﴿مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ عذاب جهنم في الآخرة، وفي الدنيا يُسلط الله عليهم ما شاء.

١١٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ:٣٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ﴾ السبب في عدم إيماننا: ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مكركم بنا في الليل والنهار؛ لصدنا عن الهدىٰ، والإسلام، تارة بالطعن في رسول الله، وتارة في الطعن في القرآن، وتارة في الطعن في الاتباع، وتارة بالترهيب وتارة

بالترغيب، إلىٰ غير من أوجه الصد، ولي بحمد الله رسالة مستقلة في طرق الصادين عن السنة والإسلام.

﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾ نجحده، ﴿وَنَجۡعَلَ﴾ نصير ﴿لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ مُثلاء ونُظراء من الأصنام والأوثان، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ جميعًا المستضعفون والمستكبرون، ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ عيانًا، ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾ القيود، ﴿فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾ يوم القيامة، ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ بسبب كفرهم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

١١٨) قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢﴾ [سبأ: ٤٢].

﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ يوم القيامة ﴿لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا﴾ لا القادة يملكون للمستضعفين، ولا المستضعفون يملكون للقادة، ﴿وَلَا ضَرّٗا﴾ ما أحد يستطيع يضر الآخر بالشفاعة وغيرها، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ الشديد: ﴿ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وقد تقدم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

سورة فاطر

١١٩) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [فاطر:٥-٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ الساعة، ﴿حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ لا تفتننكم وتشغلكم، ﴿الْحَيَاةُ الدُّنيَا﴾ بزخرفها وبهرجها، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾ يشغلكم ﴿بِاللهِ الْغَرُور﴾ قيل: الشيطان، وقيل الأماني، والله المستعان.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ يتربص بكم الدوائر، ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ أي: كونوا في عداوة له كما أنه معادٍ لكم فلا تركنوا إليه أبدًا، فلا يُخلص في نصح ولا في وسوسة ولا في توجيه، ومن شأنه: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ من يتولاه منهم: ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ من أصحاب جهنم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ في جنهم موجع، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ سترٌ وتجاوز، ﴿وَأَجۡرٞ﴾ ثواب، ﴿كَبِيرٌ﴾ عظيم واسع.

١٢٠) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ۝٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ خالدين فيها، ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ فيستريحون، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾، حتىٰ يومًا واحداً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩]، فما يُخفف عنهم، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ كافر يُعذب في النار ويُخلد فيها: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء:٥٦].

﴿وَهُمۡ﴾ الكفار، ﴿يَصۡطَرِخُونَ﴾ يستغيثون، ﴿فِيهَا﴾ في النار، ويقولون في صراخهم: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ منها وأرجعنا إلىٰ الأرض، ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ وهيهات: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ ألم نُطل أعماركم حتىٰ لو أراد أحدكم أن يتذكر تذكر وتاب وأناب، ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ يخوفكم بطش الله، قيل: الشيب، **والصحيح**: أنه محمد ﷺ، ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب الأليم ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ ينصرهم وينقذهم مما هم فيه، وفي حديث أبي هريرة عند البخاري: قال رسول الله ﷺ: «**أَعْذَرَ اللهُ إِلَىٰ امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّىٰ بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**»، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي قال رسول الله ﷺ: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**».

سورة يس

١٢١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١
وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ
أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ
يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾

[يس: ٦٣-٦٤].

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾ تميزوا، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ عن المسلمين بحيث يكون لهم مكان خاص، فيكون أهل الإجرام في ناحية، وأهل الإسلام في ناحية، وهذا التميز يقع في أرض المحشر، ثم بعد ذلك يتمايزون فيدخل الكفار النار وبئس القرار، ويدخل المؤمنون الجنة يتنعمون خالدين فيها أبدًا.

ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ موبخا الكافرين: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ﴾ أوصيكم وأكلفكم وآمركم وأخبركم وأعلمكم، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ تتخذوه إلهًا وتطيعونه، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ وعداوته ظاهرة، ومثل هذا ينبغي أن يُتقىٰ ويُجتنب، لكنهم مع ذلك اتبعوه.

﴿وَ﴾ كان الأمر لكم ﴿أَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾ وحدوني، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ﴾ طريق، ﴿مُّسۡتَقِيمٞ﴾ ودين قويم يوصل إلىٰ رب العالمين، وهو الحق المعظم والواجب المفخم الذي لا يقبل الله سواه.

﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ﴾ حرف الشيطان عن الحق، ﴿مِنكُمۡ جِبِلّٗا﴾ جيلًا أو خلقًا: ﴿كَثِيرًا﴾ بسبب طاعتهم له، ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ أن طاعة الشيطان سبب لضلالكم وبعدكم، وأن الشيطان لا يجوز أن يتابع؛ لأنه عدو بيّن واضح.

ثم يقال لهم تقريعا حين تقرب النار وتبرز، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١]، ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: أدخلوها، ﴿ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ علىٰ ألسنة الرُسل وتتوعدون بها.

﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾ ادخلوها، وتحيط بكم، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفركم.

ويلتمس أهل الكفر الأعذار والكذب والتلبيس كما كانوا في الدنيا، فيكون الحال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ فيصيرون خرسا، فلا يتكلمون؛ ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾ تشهد عليهم، ﴿وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ وجوارحهم، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ يعملون، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ﴾ أي: في ذلك اليوم، ﴿لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ أذهبنا نور أعينهم، ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ للدخول إليه طمعًا في الوصول إلىٰ الجنة، ولكنهم سيسقطون في النار، ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ وقد اُستِدل بالآية علىٰ شأن الدنيا من أن الله لو شاء هداهم، ولكنه أضلهم لسوء فعالهم والله أعلم.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ﴾ غيَّرنا أشكالهم قردة وخنازير أو حجارة كما قال بعض أهل العلم، ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ علىٰ طريقتهم التي هم عليها، ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا﴾ ذهابًا، ﴿وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾ بل يبقون في أماكنهم، فإن كانت الآية في شأن

الآخرة معناه: أن الله عَزَّوَجَلَّ سيدخلهم النار ويبقيهم فيها، وإن كانت الآية في شأن الدنيا معناه: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أمهلهم حتىٰ لقوا الله عَزَّوَجَلَّ بسيء أعمالهم.

سورة الصافات

١٢٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ
إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا
لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ
بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الصافات:٢٣-٣٩].

وعند ذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ للملائكة: ﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ اجمعوا، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا، ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ ممن هو على شاكلتهم، ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ من الشمس والقمر والأصنام والأوثان.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ غير الله، ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وأوصلوهم، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ والعذاب الأليم، فيوضعون في النار جميعًا العباد والمعبود، في نار: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨- ٩٩].

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أوقفوهم، ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ يُسألون عن أعمالهم، وما كانوا يفترون في الدنيا، وفي حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله طرق: **«لَنْ يَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ» أخرجه** الترمذي.

﴿مَا لَكُمۡ﴾ يا معاشر الكافرين، خاضعون منقادون ﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضًا وأنتم في الدنيا تتناصرون وتتعاونون علىٰ الباطل.

﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ لعجزهم وضعفهم لا يستطيعون رد قول ولا إحداث شيء.

﴿وَ﴾ وحين دخلوا في النار وبئس القرار كان شأنهم أن: ﴿أَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي السادة والأتباع.

﴿قَالُوٓاْ﴾ الأتباع والضعفاء، ﴿إِنَّكُمۡ﴾ يا معاشر السادة، ﴿كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ بالقوة والغلبة فتصدوننا عن الاستقامة والدين.

﴿قَالُواْ﴾ المستكبرون ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ مقرين بالحق فنضلكم بل كنتم علىٰ ما نحن عليه من الباطل.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ﴾ حجة، ولم نتخذ معكم القوة، ﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ﴾ مجاوزين لحكم الله عَزَّوَجَلَّ مخالفين لدين رب العالمين، فانظر كيف يتبرأ بعضهم من بعض، وهذا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

وتأتي البراءة العُظمىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ

﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم:٢٢]، فلن ينفعك من سعىٰ في إضلالك وإغوائك في الدنيا، ولن يتحمل عنك وزرًا، ولن يقبل منك عتابًا.

﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ﴾ وهي قوله: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ العذاب الأليم.

﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ﴾ صددناكم عن الهدىٰ وصرتم مثلنا، ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ جميعًا نحن وأنتم ﴿غَٰوِينَ﴾ في الغواية واقعين.

﴿فَإِنَّهُمۡ﴾ جميعًا الرؤساء والأتباع، ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة، ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [البقرة:٤٨]، كما اشتركوا في المعصية في الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف:٣٨-٣٩].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما فعلنا بهؤلاء ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بالكافرين.

﴿إِنَّهُمۡ﴾ كفار قريش ﴿كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ قولوا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحققوا هذه الكلمة، واستجيبوا لنداء الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ ويُعرضون عن الإيمان ويتعالون ويتعاظمون.

❖ **وهذا دليل علىٰ أن سبب كفر أكثر الناس الاستكبار**، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦].

وكانت حجتهم مع استكبارهم: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ معارضةً ورداً ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ هُبل، واللات، والعزىٰ، ومناة وغير ذلك من الحجارة والأصنام، ﴿لِشَاعِرٍ﴾ محمد، ﴿مَّجْنُونِۭ﴾ لا يدري ما يقول، وهذا من سفههم الذي صار عليه أكثر الكافرين، كما قال تعالىٰ: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣].

﴿بَلْ﴾ الواقع أن محمداً ﷺ، ﴿جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ الثابت والصدق من الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَصَدَّقَ﴾ وافق ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في دعوتهم إلىٰ عبادة رب العالمين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَۖ فَمِنْهُم﴾ [النحل:٣٦].

﴿إِنَّكُمْ﴾ يا معاشر الكفار، ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ في النار والجحيم.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة، ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الشرك والمعاصي، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ﴾ [غافر:١٧].

١٢٣) قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤﴾ [الصافات:٥٠-٧٤].

﴿فَأَقۡبَلَ﴾ أهل الجنة ﴿بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ حين شرابهم وتقابلهم في الجنة، ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ عن عظيم كرم الله لهم، وعما حل بالكافرين.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ من أهل الجنة ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾ صاحب في الدنيا.

﴿يَقُولُ﴾ مستبعدًا للبعث والنشور ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ﴾ أبلغ بك الأمر أن تصدق محمدًا ﷺ أن هنالك بعث ونشور، وأن هناك جزاء وعقاب، فكيف تصدق.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ وأكلتنا الأرض ﴿وَ﴾ وبلغ الأمر حتىٰ: ﴿كُنَّا﴾ مبعوثون مؤاخذون بأعمالنا.

﴿قَالَ﴾ المؤمن في الجنة ﴿هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ مشرفون إلىٰ لنار.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ أشرف ورأىٰ النار، ﴿فَرَءَاهُ﴾ نظر القرين السيء المشرك ﴿فِي سَوَآءِ﴾ وسط ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾ قد غشيته بنارها وعذابها.

فناداه المؤمن فـ: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ﴾ والله، ﴿إِن كِدتَّ﴾ قاربت ﴿لَتُرۡدِينِ﴾ أن تهلكني بصدك عن الإسلام وأكون مثلك.

﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ﴾ إنعام، ﴿رَبِّي﴾ عليَّ بالهداية، ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ معك في لنار، وفعلًا إن الصاحب ساحب، ومن جالس جانس، فعليك بمجالسة أهل الصلاح؛ لتدل وتُرشد إلىٰ الفلاح، وإياك ومجالسة أهل الطلاح فإنهم يجرونك إلىٰ ما ترىٰ من الخسران، والله المستعان.

ثم قال المؤمن مغبطًا نفسه بما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ﴾: ﴿إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ بعد دخولنا الجنة، مخبراً بكرم الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ وهو السلامة من العذاب ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي امتن الله عَزَّوَجَلَّ به علىٰ المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فوزًا لا خسارة بعده.

ثم قال المؤمن، وقيل هو من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ النعيم في الجنة، ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ في الدنيا، وأما في الآخرة فلا عمل إنما هو الجزاء.

﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من حال أهل الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ منزلاً لما فيه من النعيم، ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ شجرة في النار يأكلون منها فتتقطع بطونهم من شدة حرارتها فيقولون: كنا نتزقم في الدنيا أي: نشرب الماء حتىٰ تذهب الحرارة فيؤتون بالحميم: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٥]، فهم في عذاب في حال أكلهم وشربهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ أي: شجرة الزقوم، ﴿فِتْنَةً﴾ محنة، ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ لكفار مكة وذلك: أن النبي ﷺ حين توعدهم بها، قالوا: انظروا إلىٰ محمد يقول: بأن في النار شجرة والنار تأكل الشجر، فلا يمكن أن تنبت فيها، وهذا من تكذيبهم.

ثم قال الله في شأنها: ﴿إِنَّهَا﴾ أي: شجرة الزقوم، ﴿شَجَرَةٌ﴾ عظيمة كبيرة، ﴿تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ﴾ قعر وقرار ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ النار.

ومن شأنها أن: ﴿طَلْعُهَا﴾ ثمرها المشبه بطلع النخل، ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ في قباحته وسوء منظره، ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وشبهها برؤوس الشياطين، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في نفوسهم أن الشياطين قبيحة المنظر، وقيل الشياطين الحيات، **والأول أظهر**.

ومع ذلك: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار في الجحيم ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ ولا يستطيعون التخلص من ذلك؛ لجوعهم الشديد، حتىٰ يأكلوا الزقوم، والضريع، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية:٦-٧]، ثم يتسلط عليهم عطش شديد حتىٰ يشربوا المهل وغير ذلك من الشراب القبيح المنظر والمخبر، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ الخاوية الجائعة.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ بعد أكلهم، وعطشهم ﴿لَشَوْبًا﴾ مزجًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ غاية الحرارة، وقيل: الرصاص المذاب ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٥].

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد شربهم ومع هذا العذاب كله، ﴿لَإِلَى﴾ عذاب، ﴿الْجَحِيمِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، فلا يخرجون منها ولا يجاوزونها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

والسبب في هذا: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ كافرين فقلدوهم.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ طريقهم في الكفر ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون، فلم يستجيبوا لدعوة رسول الله ﷺ، وإلا لسلموا من هذا العذاب والنكال.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾ انحرف عن الإسلام ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل كفار قريش، ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم السالفة في الأيام الخوالي، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بعثنا ﴿فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ رسلًا وأنبياء يخوفونهم وينذرونهم العذاب الأليم، ويبشرونهم بما أعد الله للمؤمنين من النعيم.

﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ومن معك من المؤمنين: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ نهاية ومآل ﴿الْمُنذَرِينَ﴾ الذين أنذرتهم رسلهم دمر الله عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

﴿إِلَّا﴾ لكن، ﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ سلموا من ذلك، فإنهم أصحاب النجاة في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أخلصوا العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وبادروا إلىٰ مرضاته، وتابعوا محمدًا ﷺ.

١٢٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات:١٦٣].

﴿وَ﴾ ومن عجيب فسادهم أنهم: ﴿جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ حيث زعموا: أن الملائكة بنات الله وأمهاتهن سروات الجن، وهذا قول قبيح يستحي الإنسان أن يذكره في حق الله عَزَّوَجَلَّ، تعالىٰ الله عن قولهم علواً كبيراً: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾ [المنافقون:٤]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ عَلِمَ الجن: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يوم القيامة بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يصفه به هؤلاء المشركون المندون، فهذا أقبح السب: أن يُجعل لله عَزَّوَجَلَّ الولد، وفي حديث أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه**، وإنما يحتاج إلىٰ الولد المخلوق الذي يضعف، ويموت ويحتاج إلىٰ الصاحبة من يحتاج إلىٰ من يقوم بشأنه، والله عَزَّوَجَلَّ الغني الحميد.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ من أنهم لا يحضرون للعذاب، لصلاح أعمالهم، أو أنهم وصفوا الله عَزَّوَجَلَّ كما يليق بجلال وجه وعظيم سلطانه، فيصفونه بأحسن الوصف من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بخلاف هؤلاء المشركين الممثلين.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يا معاشر الكفار، ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام والآلهة والأوثان.

﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ علىٰ ما تعبدون ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ ما تستطيعون إضلال أحد ولا هداية أحد.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ﴾ بإضلال الله عَزَّوَجَلَّ له، يُضله بعلمه أنه ليس أهلًا للهداية، ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فيدخل النار فتكون محيطة به.

سورة ص

١٢٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ﴾ المرتفعة، ﴿وَالأَرْضَ﴾ الواسعة، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ عبثًا، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، ﴿ذَلِكَ﴾ الظن أننا خلقناهما عبثًا لغير حكمة ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حيث ظنوا بالله ما لا يليق به من أنها وجدت لغير حكمة، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ يوم القيامة.

١٢٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾ [ص: ٥٥-٦٤].

﴿هَذَا﴾ الذي ذكرناه للمسلمين، ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ للكافرين، ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ شر مرجع وحال.

﴿جَهَنَّمَ﴾ نار تلظى، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلون فيها فتحيط بهم، ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ فبئس الفراش، كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ﴾ [الأعراف:٤١].

و ﴿هَذَا﴾ أي العذاب المذكور ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ ليتذوقوا شدة العذاب، ومنه: ﴿حَمِيمٌ﴾ شراب شديد الحرارة، ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ شديد البرودة، فيعذبون بشدة الحر

وشدة البرد، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ:٢٤-٢٥].

وقيل (الغساق) شديد النتن، وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قوله: غسقت عينه إذا انصبت.

﴿وَ﴾ ينالهم عذاب ﴿ءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ من نوعه مثل الحميم والغساق ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أصناف، قريبة إلىٰ الحرارة، وإلىٰ شدة البرودة، فيعذبهم الله عَزَّوَجَلَّ بسبب كفرهم وإعراضهم.

ويقال لهم عند دخول النار: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ موكب، ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ إلىٰ النار، ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ لا سعة لهم، ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ سيدخلونها ويُعذبون فيها.

وعند ذلك ﴿قَالُوا۟﴾ الأتباع للسادة ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ يعني: كلٌ يتبرأ من الآخرة، ﴿أَنتُمْ﴾ يا معشر القادة والسادة ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ قربتم ﴿لَنَا﴾ هذا الضلال والكفر الذي أوصلنا إلىٰ هذا الحال، ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ جهنم.

﴿قَالُوا۟﴾ الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ شرعه وسنه ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ كلٌ يدعو علىٰ صاحبه، والجواب: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٨]، كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧- ٦٨].

﴿وَقَالُوا۟﴾ الكفار وهم في النار يُعذبون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ نظنهم في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ ويريدون بهم أهل الإسلام.

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ كنا نسخر منهم ونستهزئ بهم وهم على الحق، ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ مالت ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ لم نرهم في النار؛ لأنهم في مكان غير المكان الذي نحن فيه، والواقع أنهم في الجنة، أبدلهم الله خيرًا كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾ [المطففين:٢٩-٣٦].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي تقدم: ﴿لَحَقّٞ﴾ ثابت وهو: ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ سيتخاصمون في النار بهذا الذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ.

١٢٧) قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص:٨٤- ٨٥].

﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿فَٱلۡحَقُّ﴾ وصفي، وقيل الحق مني، ﴿وَ﴾ أنا ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ أقوله.

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ النار الموقدة، ﴿مِنكَ﴾ يا إبليس وذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ سواءً من كفار الجن أو كفار الإنس، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ**» **متفق عليه**، ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق:٣٠].

وقد وعد الله الجنة بملئها والنار بملئها: أما النار فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ فَيَقُولُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَضَعُ**

قَدَمَهُ فِيهَا، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: بِعِزَّتِكَ قَطْ قَطْ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللهُ خَلْقًا آخَرَ» متفق عليه.

وما جاء أن الله يُنشئ للنار خلقًا لا يستقيم، لعدم ثبوتها، ولمخالفتها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

سورة الزمر

١٢٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ [الزمر: ٨].

﴿وَ﴾ اذكر، ﴿إِذَا﴾ أصاب ﴿الإِنسَانَ﴾ الكافر المعرض ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ومرض وحاجة، ﴿دَعَا رَبَّهُۥ﴾ الكريم العظيم، ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا، ﴿إِلَيۡهِ﴾ مستغيثا به بينما إذا كان في نعمة دعا الأصنام والأوثان، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أعطاه، ﴿نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ﴾ خيرًا ومكرمة، ﴿نَسِيَ﴾ ترك، ﴿مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: نسي أن الله عَزَّوَجَلَّ أعطاه ما كان يحتاج إليه ولم تستطع الأصنام والأوثان أن يعطوه، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ نظراء ومثلاء من الأصنام والأوثان، ﴿لِّيُضِلَّ﴾ ليصرف الناس، ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عن طريقه الحق وهو الإسلام، وهذا كقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهذا الصنف: ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ﴾ الذي أنت عليه من أكلك وشربك، كما قال تعالىٰ: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢]، ﴿قَلِيلاً﴾ ثم تموت، ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ حين البعث والنشور، كما قال: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

١٢٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ⁽١٥⁾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ⁽١٦⁾﴾ [الزمر: ١٥-١٦].

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الخسارة العظيمة التي لا بعدها، ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ فقدوا، ﴿أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فصار من أهل النار في الذل والهوان، ﴿أَلَا ذَٰلِكَ﴾ الخسران ﴿هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الواضح الذي لا نجاة بعده.

ومن خسرانهم لأنفسهم أن: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ أغطية ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ [الأعراف:٤١]، ﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾ مهاد وفرش من النار، ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب والحال المذكور ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ الذين يقبلون وعده ووعيده فينزجرون عن معصيته، ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ بفعل أمره وترك نهيه وزجره.

١٣٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ⁽١٩⁾﴾ [الزمر: ١٩].

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ﴾ وجب وثبت ﴿عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ وهي قوله تعال: ﴿لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين﴾ [هود:١١٩]، أنه يعذب في النار ويخلد فيها، ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ تخلص، ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ ما كان ولا يكون، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ⁽٤٨⁾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ⁽٤٩⁾﴾ [المدثر:٤٨-٤٩]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، حتىٰ أبو طالب مع أنه أحاط النبي ﷺ، وغضب له ورباه لم يخرج من النار، إنما هو في ضحضاح من النار، بشفاعة النبي ﷺ أن يخفف عنه العذاب. ض

١٣١) قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزمر: ٢٤-٢٦].

﴿أَفَمَن﴾ فهل يستوي هذا الصنف مع الكفار الذين أحدهم ﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾ وهو أشرف أعضائه ﴿سُوٓءَ﴾ شدة ﴿ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وذلك أن الكافر يُرمىٰ علىٰ وجهه في النار، فأول ما تصيب النار أشرف الأعضاء لديه؛ وهذا لإذلاله، ﴿وَقِيلَ﴾ تقول الخزنة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للكافرين، ﴿ذُوقُوا۟﴾ هذا العذاب، جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من الأعمال السيئة.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط ومن إليهم، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ في الدنيا: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حيث دمدم الله عليهم هذا بصاعقة، وهذا بصيحة، وهذا بطوفان.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بذلك العذاب ﴿ٱلْخِزْىَ﴾ الفضيحة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾ وأنكىٰ وأشد، إذ أنه في النار، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لكنهم لا يعلمون؛ لجهلهم بدين رب العالمين؛ ولإعراضهم عن تعلمه وتعليمه.

١٣٢) قال تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: ٣٢].

﴿فَمَنْ﴾ فلا ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن له صاحبة أو ولداً، أو أن الملائكة بنات الله، أو أن له شريكًا في ملكه أو معينًا أو ظهيرًا من خلقه، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ﴾ القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ منزل ومقام ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بلىٰ وسيكون سوء الجحيم.

١٣٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦٠-٦١].

﴿وَ﴾ يكون الشأن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حيث ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وكفروا وقالوا في الله وفي أسمائه وصفاته ما لم يأذن به الله، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ كالحة كاسفة، كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ﴾ [يونس:٢٧]، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مستقر ومأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بلى إنها مأواهم، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ: **«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ» أخرجه أحمد.**

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ يسلم في ذلك اليوم، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفوزهم وظفرهم بسبب أعمالهم الصالحات، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾ يصيبهم ﴿ٱلسُّوٓءُ﴾ العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يجمع على عبد حزنين أو فرحين، فمن كان من أهل الأشر والبطر والفرح في الدنيا حزن يوم القيامة، ومن كان من أهل الحزن في الدنيا فرح يوم القيامة، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ»** قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ. قَالَ: **«هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ مِنْ غَيْرِ**

أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِنْ حَزِنَ النَّاسُ»، أخرجه أبو يعلىٰ.

١٣٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧١].

﴿وَسِيقَ﴾ دُفِعَ، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ سوقًا شديدًا تنهرهم الملائكة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ [مريم:٨٦]، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ إلىٰ النار جماعات، وأفواجًا بعضهم علىٰ إثر بعض ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ ووصلوا إلىٰ أبوابها، ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ فجأة عليهم أي: بغير تدرج وهو من أشد أنواع العذاب.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم.**

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ حراسها عند ذلك مبكتين لهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ من أنفسكم، ﴿يَتۡلُونَ﴾ يقرؤون، ﴿عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ القرآن والسنة، ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ﴾ يخوفونكم، ﴿لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: جاءتنا الرسل وبلغونا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ﴾ وجبت، ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فلا سبيل لهم إلىٰ الخلاص.

ثم ﴿قِيلَ﴾ للكفار عند ذلك: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ بئس القرار وبئس المكان المسكون مكان المتكبرين، طعامهم الزقوم، وشرابهم الضريع، ولباسهم النار، وفرشهم نار، ومع ذلك يسلسلون

ويُغلون، كما قال تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]، ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١]، ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ [الحج:١٩-٢١].

سورة غافر

١٣٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر: ٦-٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما عذبت هؤلاء ودمدمت عليهم بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، ﴿حَقَّتْ﴾ وجبت، ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ الكونية، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ لا يخرجون منها ولا يتنعمون، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

ثم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من لطفه بعباده المؤمنين أن سخر لهم من يستغفرون لهم وهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ العرش السرير.

۞ وهو سقف المخلوقات، وأكبرها، وأولها على الصحيح استوى عليه الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وذكر أهل العلم: أن حملته أربعة ويستدلون ببيت أمية بن أبي الصلت، وقد سمعه النبي ﷺ وأقره:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ... وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

وذهب بعضهم: إلى أنهم ثمانية ويستدلون بحديث العباس المسمى بحديث الأوعال؛ وهو حديث ضعيف من طريق عبد الله بن عميرة الكوفي مجهول، ولبعضه شواهد.

ولفظه: قَالَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: **«مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟»** قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: **«وَالْمُزْنَ»** قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: **«وَالْعَنَانَ»** قَالُوا: وَالْعَنَانَ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ: **«لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا»** قَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟»** قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: **«إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ»** حَتَّىٰ عَدَّ سَبعَ سَمَاوَاتٍ **«ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»** **أخرجه أبو داود.**

وأما يوم القيامة: فهم ثمانية بنص القرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧]، وهم ملائكة عِظام شداد يحملون العرش العظيم الكبير الذي ما الكرسي فيه إلا كحلقة في فلاة، وما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة، والله عَزَّوَجَلَّ فوق ذلك، وفي حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وعُنُقُهُ مُنْثَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهو يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»** **أخرجه أبو داود.**

﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ من الملائكة الكروبيين الطائعون لله، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ ينزهونه ويقدسونه، ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ يقرون له بالتوحيد، وقد جعلهم الله علىٰ ذلك: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، ﴿وَ﴾ من شأنهم أنهم

﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ يطلبون المغفرة والرحمة والتجاوز والعفو والصفح: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وهذا من كرم الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أمر الله النبي ﷺ أن يستغفر للمؤمنين فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد:١٩]، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَأَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ» متفق عليه.**

يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ﴾ يتوسلون إلىٰ الله برحمته الواسعة، ﴿وَعِلۡمٗا﴾ بكل شيء لا تخفىٰ عليه خافية، ﴿فَٱغۡفِرۡ﴾ تجاوز ﴿لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ رجعوا وأنابوا، ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ طريقك، ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ النار.

ومن تمام دعائهم، ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ المقامة ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ علىٰ ألسنة رُسلك، ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ ألحقه بهم.

وقد ذهب كثير من أهل العلم: إلىٰ أن بنات النبي ﷺ وزوجاته مع النبي ﷺ في درجته، ويلتحق ببناته أزواجهن، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور:٢١]، فلا ينزل الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، ولكن يرفع الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، وهذا من كرم الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في فعله وأمره.

ومن دعائهم: ﴿وَقِهِمُ﴾ سلمهم وجنبهم ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المعاصي، وما يقع بسبب المعاصي من العقوبات، ﴿وَمَن تَقِ﴾ تسلمه من، ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العقوبات، ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ القيامة، ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ رحمة واسعة، ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ﴾ الربح

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ الوافر الذي لا بعده، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١٣٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر: ٤١-٥٢].

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ إلىٰ السلامة، بلزوم توحيد الله وطاعته ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلىٰ الشرك وإلىٰ سبل الهلكة، فهم لا يقولون: ادخل معنا النار؛ لأنهم لا يؤمنون بهذا أصلًا، ولكن يدعونه إلىٰ أعمال تؤدي به إلىٰ النار.

﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾ لأشرك بالله، فالكفر والشرك قد يكون معناها واحد، وقد يكون الكفر بغير شرك كسب الله عَزَّوَجَلَّ وسب رسوله، وامتهان القرآن ونحو ذلك، ﴿وَأُشۡرِكَ بِهِۦ﴾ أجعل له شريكًا، ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ ما ليس لي به حجة ولا

سلطان ولا برهان، ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ﴾ أرشدكم وأدلكم، ﴿إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي لا يُغلب، ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ الذي يغفر لعباده ويتجاوز عنهم.

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا وقيل لا كذب، ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ من الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ حقيقة، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لأنه دين باطل لا حقيقة له إنما هو من الشيطان، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا، ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة، ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المتجاوزين علىٰ أنفسهم بالشرك، ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ يُخلدون فيها فبئس القرار.

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ﴾ تتذكرون، ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ من هذا الوعظ والدلالة والإرشاد، لكن حين لا ينفعكم التذكر، بعد أن يقع الفأس في الرأس، ﴿وَأُفَوِّضُ﴾ أُرجع، ﴿أَمۡرِيٓ﴾ حالي، ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهذا من عظيم التوكل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة والقدرة النافذة.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ سلمه الله من، ﴿سَيِّـَٔاتِ﴾ خطايا ﴿مَا مَكَرُواْۖ﴾ من إرادة قتله، ﴿وَحَاقَ﴾ لحق ونزل، ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ فرعون وقومه، ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ شدة العذاب.

وهو ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ تعرض أرواحهم عليها، ﴿غُدُوّٗا﴾ صبحًا، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ مساءً، ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ والبعث والنشور، ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ وهو معهم، ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ النار وبئس القرار.

❁ وهذه الآية من أدلة عذاب القبر بل هي من أصرح الأدلة القرآنية في هذه المسألة، فقد ذكر الله تعالىٰ ما يتعلق بها في برزخها، ثم عقب بما يقع عليها يوم القيامة.

❖ وَقَدِ ٱسْتَشْكَلَ بَعْضُهُمْ: **فقال: هذه الآية مكية**، ولما كان النبي ﷺ في المدينة وأخبرت تلك اليهودية بعذاب القبر أنكر ذلك عليها، ثم كان بعد ذلك تعوذه من عذاب القبر، وفي رواية أنه قال: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».

قال العلماء: أخبره الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية بعرض الأرواح ولم يخبره بعذاب الأجسام، أو أن هذه الآية في حق الكفار وكان يظن أن العذاب متعلق بالكافر، حتى أوحى الله إليه أن عصاة المسلمين إن أراد الله أن يعذبهم عذبهم.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ يتخاصمون ويتجادلون، أي: أهل النار، ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ التابعون: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ المتبوعون الذين دعوهم إلىٰ الباطل: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ نطيعكم ونسير بسيركم، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ تدفعون: ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنَ﴾ عذاب ﴿ٱلنَّارِ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ السادة المُتَّبوعون، ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ في النار نحن وأنتم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ﴾ قضىٰ، ﴿بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ بالحكم الصادق العادل، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ **[فصلت:٤٦]**، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٣٩﴾ **[الأعراف: ٣٨- ٣٩]**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ حين أيقنوا الهلكة ودعوا الله عَزَّوَجَلَّ فلم يستجب لهم، ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ حراس النار، ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ سبحان الله، لم يوفقوا أن يقولوا: ادعوا ربنا؛ لأنهم كانوا يشركون به ويندّدون: ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا﴾ لم يقولوا: يخرجنا من النار؛ لأنهم قد علموا أنهم لن يخرجوا منها، ﴿يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ لشدة ما نزل بهم.

﴿قَالُوٓا﴾ خزنة النار وحراسها: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحات والدلائل الظاهرات، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ كانوا يأتوننا بذلك، ﴿قَالُوا﴾ الملائكة ﴿فَادْعُوا﴾ أنتم ربكم، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ذهاب وهلاك فلا يستجاب لهم ولا ينتفعون به.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على أعدائهم، بالغلبة والقهر ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بقتل عدوهم وسبيهم، وبعد موتهم بالانتقام من عدوهم ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ينصرهم بالحجج الواضحة البينة، ويدخلهم الجنة، والأشهاد: الرسل يشهدون على أممهم وتشهد الأمم على رسلهم، ويشهد الملائكة على الناس كل بعمله، وتشهد كذلك أعضاء الإنسان عليه، وتشهد الأرض بما عمل عليها، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤]، والله فوق ذلك لا تخفى عليه خافية.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ اعتذارهم واستعتابهم، ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ الطرد من رحمة الله، ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ النار وبئس القرار.

١٣٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ ممتنًا علىٰ عباده ودالًا لهم علىٰ أحسن طريق يوصلهم إليه: ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾ دعاء مسألة ودعاء عبادة، فدعاء العبادة مثل: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، ودعاء المسألة كقولك: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ دعاؤكم، وأحقق لكم طلبكم ورجاءكم فلا أنفع من الدعاء، فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر:٦٠] **أخرجه أبو داود (١٤٧٩)**.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون، ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ طاعتي، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ يُحشرون إليها ذليلين صاغرين.

١٣٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ٧١ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ٧٥ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾ **[غافر: ٧٠-٧٦]**.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ التوحيد، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ يوم القيامة ويستيقنون صدق الرسل؛ ولكن حيث لا ينفعهم العلم.

وذلك ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ تُغل الأيادي والأرجل إلىٰ العنق، ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: يقيدون ويُربطون بها و ﴿يُسْحَبُونَ﴾ بها علىٰ وجوههم.

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ في النار المحرقة، ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ يسجنون، وهذا من شديد عذاب الله، ومن أسوأ الأحوال التي تلحق الكفار، كما قال تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]، ما السبب: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة:٣٣-٣٧].

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ﴾ معاتبة لهم ليزدادوا عذابًا إلى عذابهم: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ من الأصنام والأوثان وتنددون وتجعلونها مثيلة لله عَزَّوَجَلَّ فتنصركم.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ غير الله، ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ ذهبوا وولوا عنا، ثم يستدركون كذبًا وزورًا: ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ﴾ نعبد، ﴿مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾ من الأصنام والأوثان يكذبون على الله المطلع على السرائر والظواهر، كما قالوا: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ۝٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢٣-٢٤]، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما فعل الله عَزَّوَجَلَّ بهؤلاء وصُرفوا عن الهداية: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يزيغهم؛ لعلمه أن قلوبهم ليست أهلًا للهداية

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الشديد، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ تبطرون وتأشرون وتفسدون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالشرك وغيره، ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ تفرحون وتختالون، حيث كانوا يتبخترون في مشيهم وفي جميع حالهم.

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾ يا معاشر الكفار، ﴿أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ وهي سبعة أبواب كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا تخرجون منها أبدًا، ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ مستقر ومأوى ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ الكافرين.

سورة فصلت

١٣٩) قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا
شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ
لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم
مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ١٩-٢٩].

﴿وَ﴾ اذكر يا محمد: ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ يُجمع، ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ الكفار ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾ تسوقهم الملائكة، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يجمعونهم ثم يلقونهم في النار كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ أي: النار، ﴿شَهِدَ﴾ أخبر ﴿عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ بذنوبهم التي كانوا يتعاطونها بسمعهم من سماع الأغاني والزور، ﴿وَأَبْصَٰرُهُمْ﴾ بالذنوب التي كانوا يتعاطونها بأبصارهم، ﴿وَجُلُودُهُم﴾ التي هي عليهم: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **«هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟»** قَالُوا: لَا، قَالَ: **«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»** قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ

فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ" أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

﴿وَقَالُوا﴾ أهل النار ﴿لِجُلُودِهِمْ﴾ معاتبين لها: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ﴾ أخبرتم ﴿عَلَيْنَا﴾ بما كنا نعمل يعني: ونحن نسعىٰ في خلاصكم وسلامتكم من النار؟ ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ فهو الذي جعلنا نتكلم، وهو ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ممن يتكلم، ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلا يعجزه أن يجعل الكلام علىٰ جوارحهم، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تحشرون.

﴿وَمَا كُنتُمْ﴾ يا معاشر الكفار، ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾ تظنون، ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ استيقنتم، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا لجهلهم بربهم فإن الله بكل شيء عليم، ولو تأملت السبب الذي أوصل الكفار إلىٰ عبادة غير الله لوجدت أنه ظن السوء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢]، فظنوا أن لله شريكاً، ومثيلاً، ونظيراً.

قَالَ مَعْمَرٌ: وَتَلَا الْحَسَنُ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قال الله تعالىٰ أَنَا مَعَ عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»** ثُمَّ افْتَرَّ الْحَسَنُ يَنْظُرُ فِي هَذَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّمَا عَمَلُ النَّاسِ عَلَىٰ قَدْرِ ظُنُونِهِمْ بِرَبِّهِمْ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَأَسَاءَا الظَّنَّ بِاللهِ فَأَسَاءَا الْعَمَلَ.

﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ الذي أفسدكم، ﴿ظَنُّكُمُ﴾ السيء، ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أركسكم ودمدم عليكم به، وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: **«لَا يَمُوتَنَّ**

أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ» أخرجه مسلم، ﴿فَأَصۡبَحۡتُم﴾ صرتم ﴿مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الخسران المبين، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥].

﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ﴾ علىٰ النار، ﴿فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى﴾ مأوىٰ ومستقر ﴿لَّهُمۡ﴾ يعذبون فيها في كل الأوقات واللحظات، ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾ يطلبون العتبىٰ والرجوع، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ ما كان لهم أن يرجعوا إلىٰ هذه الدنيا، بل يقال لهم: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨]

﴿وَقَيَّضۡنَا﴾ جعلنا، ﴿لَهُمۡ قُرَنَآءَ﴾ من الجن، ﴿فَزَيَّنُواْ﴾ جمَّلوا وحسنوا، ﴿لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من الباطل وعبادة غير الله، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»** قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»** متفق عليه.

قيل: فَأسلَمَ أي: أن الجني أسلم، وقيل: فَأسلَمُ أي: أنا أسلم من مكره، والمعنىٰ الأول أظهر، ومع ذلك هؤلاء القرناء ليس لهم قدرة علىٰ سوق الإنسان إلىٰ المعصية إنما يوسوسون ويزينون الباطل، فإذا أطاعهم وقع في حبالهم.

﴿وَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ في أنهم من أهل النار، ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ مع أمم، ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ ولت وذهبت ﴿مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ لدنياهم وأخراهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ محذرين من سماع القرآن والأخذ بسنة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ﴾ لا تستمعوا: ﴿لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ وذكروا أنهم كانوا يجعلون في آذانهم القطن وما في بابه؛ حتىٰ لا يسمعوا كلام محمد ﷺ، بل كانوا يحذرون الناس من سماعه.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَىٰ يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَىٰ يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ**

فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَعَلَىٰ قَوْمِكَ»**، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي. أخرجه مسلم.

﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ من اللغو: وهو الكلام الباطل، حذروا منه، وسفهوه، وقيل جحدوه وأنكروه ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾؛ محمداً وتنتصرون عليه بالحجة.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جزاء هذا القول، ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالنار، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ نجازيهم: ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني: يجزون سوء العذاب على أسوأ أعمالهم السيئة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب المذكور، ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ يوم القيامة، ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ لا يزحزحون عنها ولا تخفف عنهم، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم القيامة، ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ حرفنا عن الاستقامة، ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ لأن أكثر الناس يضل بفعل جليسه وأنيسه إما الجني وإما الإنسي، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أسفل منا في العذاب من باب الانتقام، ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ في الدرك الأسفل من النار، ومع ذلك لكل ضعف، وعذاب على عمله.

> ١٤٠) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون، ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ الشرعية عن المعنى الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك الكونية بإضافتها إلى غير الله، فالإلحاد في الآيات الشرعية: بتحريفها وتغييرها وتبديلها، والإلحاد في الآيات الكونية: أن يعتقد أن لله شريكًا

وظهيراً ومعينـًا، ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ بل نحن مطلعون عليهم، وعلىٰ أعمالهم وأقوالهم.

❁ ففي هذه الآية تهديد شديد للمعطلة والممثلة والمفوضة الذين ألحدوا في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته وآياته الشرعية، فحرفوها عن دلالتها وغيروها عما أراد الله منها، فزعموا أن الله ليس له صفات، فشبهوه بالمعدومات والممتنعات، تعالىٰ الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ كأبي جهل، وأمية بن خلف ومن إليهم، ﴿خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ومن إليهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ فستلقون جزاء أفعالكم السيئة يوم القيامة، وهذا الأمر علىٰ التهديد والوعيد، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يبصر بعينين حقيقيتين لا تخفىٰ عليه خافية ويعلم ما تفعلون، فيجازيكم علىٰ أعمالكم.

سورة الشورى

١٤١) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أوحينا إلىٰ من تقدم، بكتب يقرؤونها ويعملون بها، ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ فيه من العلوم ما جعله أفضل الكتب، والمهيمن عليها، المحفوظ من عبث العابثين، وهو كما قال تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٥]، سمعه جبريل من الله، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، والحكمة من ذلك الإيحاء: ﴿لِّتُنذِرَ﴾ تخوف من بطش الله وعذابه، ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ مكة؛ لأنها كانت أكبر القرىٰ، وهي معظمة في كل ملة، ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ من القبائل والبلدان، ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوف، ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ يوم القيامة، سُمي بيوم الجمع؛ لأن الله يجمع فيه بين العباد ويقضي بينهم، ﴿لَا رَيۡبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ لعلهم يستجيبون لك، فإن كفروا وأعرضوا ضروا أنفسهم، فيكون الناس فيه علىٰ حالين لا ثالث لهما: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ ينعمون، ﴿وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ يعذبون، وهذا أمر مفروغ منه في علم الله عَزَّوَجَلَّ.

ففي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟**» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ**

أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «**فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**» **أخرجه أحمد.**

سورة الزخرف

١٤٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ
٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ
٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨].

ولما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ حال أهل الجنة أتىٰ بعدهم بحال أهل النار: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين، ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ ساعة ولا يومًا ولا يرفع عنهم مرة، ﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ ذليلون حقيرون، يائسون من الرحمة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال لهم: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨].

﴿وَمَا ظَلَمۡنَاهُمۡ﴾ بهذا العذاب، ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بكفرهم وشركهم وعنادهم فجوزوا علىٰ ذلك.

﴿وَ﴾ حين اشتد بهم العذاب الأليم: ﴿نَادُواْ﴾ بصوت مرتفع: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾ خازن النار، وجاء في قراءة: يَا مَال، قال ابن عباس: ما كان أغنىٰ أهل النار عن الترخيم، ﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ يهلكنا بالموت، ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ في النار، في عذاب أليم.

﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم﴾ أتيناكم ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الوحي المبين والصراط المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ كافرون ورادون.

١٤٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان:٤٧].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة سُميَّ بـ(يوم الفصل)؛ لأنه يُفصل بين العباد في أعمالهم وأقوالهم وجميع شأنهم، فريق في الجنة وفريق في السعير، ﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾ موعدهم قد وِقْتَ لهم يجتمعون فيه: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ لا يتخلف أحد لا من المتقدمين ولا من المتأخرين.

وهو ﴿يَوْمَ﴾ مهول ﴿لَا يُغْنِى مَوْلًى﴾ قريب، ﴿عَن مَّوْلًى﴾ عن قريب، ﴿شَيْـًٔا﴾ وإن قل، بل الحال كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس:٣٤-٣٧]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمنعون من الله عَزَّوَجَلَّ، وبطشه.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ تجاوز عنهم، وهم أهل الإيمان والإسلام، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، كما قال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فاقترنت عزته برحمته دليل علىٰ أنه لا يُعاجل بالعقوبة، وأنه يعفو ويصفح إلا من استحق العذاب الأليم.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ في النار.

شأنها أنها: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ الكافر إذا طعمها أشعلت بطنه.

وحاله معها أنها ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ عكر الزيت، ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ لشدة حرارته وفورانه.

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ الماء المتناهي في حرارته.

ويقول الله لزبانية النار: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ ادفعوه من ظهره واسحبوه علىٰ وجهه، ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلىٰ وسط النار.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ قيل: بأنهم يضربون رأسه بمطرقة من حديد حتىٰ إذا هُشِمَ صبوا عليه الحميم، فينزل من رأسه حتىٰ يأتي علىٰ جوفه، ويصل إلىٰ أقدامه، نسأل الله السلامة والعافية.

ويقال له تهكمًا ﴿ذُقْ﴾ أيها الكافر هذا العذاب الأليم، ﴿إِنَّكَ﴾ كنت تزعم أنك ﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ قيل: ما أنت بعزيز ولا كريم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب الواقع يوم القيامة، ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ تجادلون وتكذبون وتردون.

١٤٤) قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥٦].

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ بل ولا النوم؛ لأن النوم أخو الموت، فعن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه يؤتىٰ بالموت علىٰ صورة كبش فيُذبح الموت بين الجنة والنار، ثم يقال: **«يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ» متفق عليه**

﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: موت الدنيا، ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ سلمهم ربهم: ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الموجع المحرق.

سورة الدخان

١٤٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ [الدخان:٤٣-٥٠].

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ في النار.

شأنها أنها: ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ الكافر إذا طعمها أشعلت بطنه.

وحاله معها أنها ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ عكر الزيت، ﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ لشدة حرارته وفورانه.

﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ الماء المتناهي في حرارته.

ويقول الله لزبانية النار: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾ ادفعوه من ظهره واسحبوه على وجهه، ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ إلى وسط النار.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ قيل: بأنهم يضربون رأسه بمطرقة من حديد حتى إذا هُشِمَ صبوا عليه الحميم، فينزل من رأسه حتى يأتي على جوفه، ويصل إلى أقدامه، نسأل الله السلامة والعافية.

ويقال له تهكمًا ﴿ذُقۡ﴾ أيها الكافر هذا العذاب الأليم، ﴿إِنَّكَ﴾ كنت تزعم أنك ﴿أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ قيل: ما أنت بعزيز ولا كريم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب الواقع يوم القيامة، ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ تجادلون وتكذبون وترددون.

١٤٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦﴾ [الدخان:٥٦].

ومع هذا النعيم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ بل ولا النوم؛ لأن النوم أخو الموت، فعن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه يؤتى بالموت على صورة كبش فيُذبح الموت بين الجنة والنار، ثم يقال: «**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ**» متفق عليه ﴿إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ يعني: موت الدنيا، ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ سلمهم ربهم: ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الموجع المحرق.

سورة الجاثية

١٤٧) قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾ [الجاثية: ٧-١١].

﴿وَيۡلٞ﴾ إخبار عن عذاب أليم، وقيل: وادٍ في جهنم، ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب في قوله، ﴿أَثِيمٖ﴾ في فعله متعاطي للإثم والبغي، قيل: نزلت في النضر بن الحارث والله أعلم.

ومن شأن هذا الكذاب أنه: ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن، ﴿تُتۡلَىٰ﴾ تُقرأ، ﴿عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يثبت على كفره وعناده وعمله الذي فعله، بينما صفات المؤمنين: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وصفات المعرضين: **«وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»، أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حال كونه في فعله ذلك ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ متعاليًا عن سماع الحق، ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾ كأنه لم يسمع تلك الآيات المقروءة، ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ يا محمد وأخبره: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ موجع في الآخرة.

﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ حفظ ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا﴾ من القرآن وأحكامه كفر به و ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ لعبًا وسخرية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ يُسحبون في النار على وجوههم، ويقيدون ويُكبلون، ويفضحون على رؤوس الأشهاد.

﴿مِن وَرَآئِهِمۡ﴾ أمامهم، ﴿جَهَنَّمُۖ﴾ النار، ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ يدفع ﴿عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ من الأموال وما عملوا من الأفعال، ﴿شَيۡـًٔا﴾ وإن كثُر، حتىٰ ولو كانت من الأعمال الصالحة مع كفرهم لا تنفعهم.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، وإن كانت من الأعمال السيئة تزيدهم نكالًا ووبالًا.

﴿وَلَا﴾ يغني عنهم: ﴿مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ﴾ أصنامًا وأوثانًا يعبدونها من دون الله، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالقتل والسبي، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

١٤٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ **[الجاثية: ٣٤]**.

﴿وَقِيلَ﴾ لهم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ نترككم، ﴿كَمَا نَسِيتُمۡ﴾ أعرضتم عن الإيمان بالبعث والنشور، ﴿لِقَاءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ يوم القيامة، ﴿وَمَأۡوَاكُمُ النَّارُ﴾ خالدين فيها وبئس القرار، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ينصرونكم فيسلمونكم من هذه النار والعذاب المهين.

وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **«هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟»** قَالُوا: لَا، قَالَ: **«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»** قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ،

وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي".

سورة الأحقاف

١٤٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

﴿وَ﴾ اذكر يا محمد: ﴿يَوۡمَ﴾ القيامة حين يبعثون وتزلف لهم النار وتُقرب، وتأتي ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، ثم يقال لهم توبيخًا وتقريعًا: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ أبطلتم ﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ أجوركم، ﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بسبب كفركم وإعراضكم فجُزيتم عليها في الدنيا، ﴿وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ وهذا حظكم منها، وهذا كقول النبي ﷺ: **«إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ»** **أخرجه مسلم عن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الصحيحين عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَىٰ قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمَ أُخْرَىٰ، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَىٰ أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: **«أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي».

﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ يوم القيامة، ﴿تُجۡزَوۡنَ﴾ تعطون على أعمالكم: ﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ الذل والخسران، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ تطاولون وتترفعون، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ في تعاطيكم الحرام، وارتكاب الآثام.

١٥٠) قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤﴾ [الأحقاف: ٣٤].

﴿وَ﴾ اذكر يا محمد: ﴿يَوۡمَ﴾ يذل المشركون، ﴿يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ وبئس القرار تُعرض ذواتهم وأعمالهم وما في قلوبهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾ [الطارق: ٩-١٠]، يقال لهم: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: أليست هذه النار التي ترونها الآن حق؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقروا واعترفوا أنه الحق، ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ في النار، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ بسبب كفركم بربكم.

سورة محمد

١٥١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٢-١٥].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يوم القيامة، ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين عظيمات جميلات ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ اعرضوا وجحدوا ولم يستجيبوا لنداء الله ورسوله ﷺ: ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ يتنعمون في الدنيا، ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ الدواب، ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مقراً ﴿لَّهُمْ﴾ فهذه غاية أعمالهم في الدنيا: أنهم يأكلون ويتمتعون، وفي الآخرة يُعذبون.

﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أهلكناها، ﴿هِيَ أَشَدُّ﴾ أعظم، ﴿قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكة، ﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ في الهجرة، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ دمرناهم، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ولا معين؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو القوي الذي لا يُعجزه شيء.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة وسلطان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فكان مُسلمًا موحدًا منقادًا لرسول الله ﷺ، ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فصار مشركًا مندداً كافرًا، يحسب أنه علىٰ شيء، وليس كذلك كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ تابع هواه واتخذه إلهًا فلا يكون هذا كهذا أبدًا، فإن المؤمن درجته رفيعة ومكانه سامي في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ وما فيها من النعيم، ﴿الَّتِي وُعِدَ﴾ وُعِدَهَا، ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ المؤمنون الطائعون، من ربهم تعالىٰ ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ غير متغير الريح، أو الطعم، أو اللون، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ في غاية الصفاء والطزاجة، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لذيذ في شربه ولا يُسكر، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ عسل صافي لم يتكدر بعمل الأيادي والأرجل، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ زيادة علىٰ ذلك مأكولات ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الفواكه اليانعات.

﴿وَ﴾ مع ذلك لهم: ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ يغفر ذنوبهم، ويستر عيوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، ويرفع درجاتهم فهل يستوي هذا الصنف مع، ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ وهو الكافر لا يخرج منها ولا يخفف عنه من عذابها، ﴿وَسُقُواْ﴾ اشربوا في النار ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ شديد الحرارة، إذا قرب وجهه منه تساقط لحم وجهه، فإذا شرب منه تساقط لحم جسمه، ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ أجوافهم، و(الأمعاء): هي الطريق التي يخرج منه البول والطعام، فعند أن يشرب الكافر تتقطع أمعاؤه؛ لأن طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم.

سورة الفتح

١٥٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ الذين خالفوا أمر الله وشرعه، أما المنافقون فخالفوه باطنًا وإن أقروا به ظاهرًا.

وأما المشركون فخالفوه ظاهرًا وباطنًا، ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ﴾ الظن السيء بالله فجعلوا له شركاء؛ واتهموه في حكمه فزعموا أنه لا ينصر أولياءه ولا ينصر محمدًا ﷺ، فبسبب ظنهم السيء أشركوا ونددوا ووقعوا في الفساد العريض، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يعني: إن دخلوا في حرب أو نحوه دائمًا تكون الدبرة عليهم فيستأصلون ويؤسرون ويؤدبون، زد علىٰ ذلك: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لسوء أفعالهم، ومن غضب الله عَزَّوَجَلَّ عليه انتقم منه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف:٥٥].

❁ **وفيه إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية.**

﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ طردهم من رحمته، ﴿وَأَعَدَّ﴾ جهز، ﴿لَهُمْ﴾ ليوم القيامة: ﴿جَهَنَّمَ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [الليل:١٤-١٦]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

❁ **وفيها دلالة علىٰ وجود النار الآن**، خلافًا للمعتزلة والجهمية، الذين ذهبوا إلىٰ أن وجودها الآن عبث تعالىٰ الله عن قولهم: ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ لهم،

حتىٰ أنهم من شدة عذابها يطلبون الموت فلا يجدونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

١٥٣) قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح:١٣-١٤].

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ظاهراً باطناً ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا وجهزنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ جهنم، هذا على التهديد والتحضيض للإيمان بالله ورسوله، والتحذير الأكيد من الشرك والكفر.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرف فيهما كيف شاء، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ممن تاب وأناب، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ممن أعرض ولج في باطله.

وهذا العذب، والمشيئة هما في حق المسلم إذا كان فعله دون الشرك تحت المشيئة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وأما الكافر فلا يدخل تحت المشيئة، والآية لها معنى آخر: وهي أنها متعلقة بالدنيا، يغفر لمن يشاء، ويمن عليهم بمزيد النعم والمنن، ويعذب من يشاء ويسلط عليهم السيف والمحن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ متجاوزًا، ﴿رَّحِيمًا﴾ موفقًا لعباده على الخير.

سورة ق

١٥٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٢٣-٣٠].

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: الملك الموكل به، ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ﴾ ما عندي من عمله، ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر بلا زيادة ولا نقصان، حيث يؤتى بكتابه وفيه كل أعماله فيقول المعرض: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ [الكهف:٤٩].

﴿٢٤﴾ ويقول الله للملكين: ﴿أَلْقِيَا﴾ اطرحا: ﴿فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ كل كافر معاند لدين الله وشرعه.

﴿٢٥﴾ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ ومن صفات هذا الكافر أنه مناع للخير، يمنع الزكاة وما أوجب الله عليه، ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم، ﴿مُّرِيبٍ﴾ متشكك في دينه وشأنه.

وهذا هو السبب العظيم الذي جعل الكفار يقعون فيما هم فيه، ولما كان أهل الإيمان من أبعد الناس عن الشك والريب أقروا وصدقوا بما جاء عن النبي ﷺ، وآمنوا بالقرآن الذي لا ريب فيه، فمن أعظم أمراض القلوب الشك والريب حيث يجعل الإنسان يتنكر للمعقول ويرد الثابت عن رسول الله ﷺ، لما كانت قلوبهم مليئة بالشك والريب لم ينتفعوا بموعظة ولم ينزجروا عن باطل.

﴿٢٦﴾ وهذا الكافر المعرض هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعبده ويدعوه ويرجوه وينذر له ويخاف ويرهب منه.

فصرفوا العبادات لغير الله وما أكثر هذا الصنف حتى فيمن يقول: (لا إله إلا الله) من عباد القبور من الصوفية، والرافضة، والباطنية ومن إليهم، **مثل قول بعضهم:**

هات لي منك يا ابن موسى إغاثة إغاثة في سيرها حثاثة

والآخر يقول:

يا من يفر من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

وتسمعهم حين زياراتهم، يا عيدروس، يا جبرتي، يا علي، يا حسين، يا جيلاني يدعون غير الله من الأموات، وهذا هو الشرك الذي من أجله أرسلت الرسل وأُنزلت الكتب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ اطرحاه، ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ الموجع.

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾ عند ذلك ﴿قَرِينُهُۥ﴾ شيطانه، وقيل: الملك؛ لأن الإنسان في ذلك اليوم ينكر ما سطر عليه، والذي يظهر أنه القرين الجني، ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما أضللته، أو ما أكرهته فيما وقع فيه من الشرك؛ ولكنه كان كافرًا باغيًا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الصافات:٢٧-٣٠]، ﴿وَلَٰكِن كَانَ﴾ هو نفسه ﴿فِى ضَلَٰلٍۭ﴾ هلاك وكفر ﴿بَعِيدٍ﴾ سحيق، وقد تقدم نحو هذه البراءة في سورة إبراهيم.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ﴾ الله عَزَّوَجَلَّ عند ذلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ اليوم فلا فائدة من ذلك، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ العذاب والشدة لمن كفر وأعرض.

﴿٢٩﴾ ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يغير ﴿ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ ولا يخلف وعدي، أي: أن الله إذا قضىٰ قضاءً لا يرد، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ**»، أخرجه مسلم (٢٨٨٩) عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ لكمال عدله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهذا كقوله: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ **[الكهف:٤٩]**.

وإنما يجازي المحسن بإحسانه ويضاعف له المثوبة، ويجازي الكافر بإساءته وسيئاته التي أوبقته، وفي هذا رد على الجبرية الذين يجوزون لله أن يعذب من شاء بغير ذنب حتى قال السفاريني:

وجاز للمولى يُعذِب الورى من غير ما ذنب ولا جَرَم جرى

وهذا غير صحيح، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعذب أحدًا إلا بجريرته وظلمه.

﴿٣٠﴾ **واذكر يا محمد**: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ لأن الله قد وعد بملئها، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ؟ قَالَ الله لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ الله، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ الله مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ الله يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**»، أخرجه مسلم (٣٦)، ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ من زيادة، قيل: بأنها تقوله؛ لأنها ما زالت تتسع للمزيد، وقيل: تقوله علىٰ الإنكار كأنها ملأىٰ، والمعنىٰ الأول أظهر فما زالت تتسع حتىٰ يضع الجبار عليها قدمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ،

قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»، متفق عليه.

سورة الذاريات

١٥٥) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾ [الذاريات: ١٢-١٤].

١٢ ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ أي: الكفار، ﴿أَيَّانَ﴾ متىٰ يكون؟ ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء والحساب الذي تخبرنا به يا محمد؟ وهذا منهم علىٰ سبيل الاستهزاء والتكذيب.

١٣ **فكان الجواب بأن الجزاء:** ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ يعذبون فيرونها رأي العين، ويتمنىٰ أحدهم لو يرجع إلىٰ الوراء ليعمل صالحًا وهيهات.

١٤ ﴿ذُوقُواْ﴾ يا معشر الكفار ﴿فِتۡنَتَكُمۡ﴾ حريقكم وعذابكم بسبب ما أنكرتموها من البعث والنشور، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ في الدنيا وذلك أنهم كانوا يستعلجون النبي ﷺ بالساعة كما قال تعالىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾ [النبأ:١-٥]، وقال تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾ [المعارج:١-٣]، وقال: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب:٦٣]، فكل ما هو آتٍ قريب، واستعجالهم بالعذاب ليس لحبهم له، بل كان كبرًا وتكذيبًا وبغيًا وسخريةً فأتاهم ما يوعدون.

سورة الطور

١٥٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [الطور: ١٣-١٦].

١١ ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك وحسرة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الكافرين.

١٢ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ﴾ بالباطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ولا يبالون ببعث ولا نشور ويخوضون في شأن اليوم الآخر مكذبين ورادين لخبر النبي ﷺ.

١٣ واذكر ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ يدفعون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ دفعًا شديدًا تدفعهم الملائكة، أما أهل الإيمان فإنهم يدخلون كالوفد، مكرمين معززين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم:٨٥-٨٦]، لإهانتهم وخزيهم.

١٤ وتقول لهم الملائكة حين دفعهم: ﴿هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ ولخبر رسول الله ﷺ تردون، ويقع في هذا اليوم أنواع من التكبيتات.

١٥ ويقال لهم هذا علىٰ الاستفهام الانكاري ﴿أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ﴾ الذي ترونه ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ لا تعاينونه.

١٦ ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ ادخلوها تحيط بكم من جميع جهاتكم، ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ علىٰ عذابها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ لا يتغير من حالها شيء، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ صبرتم علىٰ عذابها أو تسخطتم، كقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾ [إبراهيم:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝١٧٥﴾ [البقرة:١٧٥]، ليس بأنهم يصبرون علىٰ شدتها؛ ولكنهم يتعذبون ولا مخرج لهم منها؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول وقوله الحق: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ

﴿١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨]، ومن الذي يستطيع أن يرد أمر الله وحكمه في ذلك اليوم العظيم المشهود نسأل الله السلامة.

﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ﴾ بهذا العذاب الأليم بسبب ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ في الدنيا من الشرك والبدع وما إليها.

١٥٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ [الطور:١٧-١٨].

﴿١٧﴾ فلما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن حال الكافرين وما نالهم من الخزي العظيم أخبر عن حال المؤمنين وما لهم من الكرامة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ لله بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين، ﴿وَنَعِيمٖ﴾ يتنعمون فيها بما لذ وطاب من المآكل، والمشارب، والمناكح، والمراكب وغير ذلك: «**فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» **متفق عليه**.

﴿١٨﴾ ﴿فَٰكِهِينَ﴾ مسرورين والمعنىٰ أنهم في سرور وبهجة، ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمۡ﴾ من فضله العظيم علىٰ أعمالهم الصالحة إذ أنها: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة:٣٣]، ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ جنبهم وسلمهم من: ﴿عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ عذاب النار الموجع، ففرحهم بأمرين: كثرة النعم الدائرة عليهم، والسلامة من عذاب الله وغضبه وبطشه، و في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، **أخرجه مسلم**.

سورة القمر

١٥٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨].

۝٤٧﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين يعيشون في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ انحراف عن الصراط، ﴿وَسُعُرٖ﴾ شك في الدين وظنون فاسدة، لا يلون علىٰ عقيدة ثابتة؛ لأنهم يتبعون الظنون في جميع عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ [النجم:٢٣].

۝٤٨واذكر ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ تقريعًا وتوبيخًا بسبب كفرهم، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» أخرجه مسلم.

ويقال لهم: ﴿ذُوقُواْ﴾ تذوقوا وتعذبوا، ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ عذاب النار المحرقة التي تسمىٰ بسقر، وليس كما يقول بعض الدجاجلة: بأن سقر كوكب سيسقط من السماء ويكون به هلاك الأرض، بل هو من أسماء النار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر:٢٧-٢٨].

سورة الرحمن

١٥٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمن: ٤١-٤٥].

﴿٤٠﴾﴿٤١﴾ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يوم القيامة: ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلاماتهم التي في وجوههم، من أثر الشرك وما إليه من الذنوب كما يعرف المؤمنون بآثار السجود والوضوء، فعن أَبي هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ حَتَّىٰ كَادَ يَبْلُغُ الْمَنْكِبَيْنِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّىٰ رَفَعَ إِلَىٰ السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**»، متفق عليه، ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى﴾ أي: تأخذهم الزبانية بنواصيهم وهي مقدمة رؤوسهم، ﴿وَٱلْأَقْدَامِ﴾ فتلقيهم في النار وبئس القرار، وهذا لشدة الهوان الذي هم عليه.

﴿٤٢﴾﴿٤٣﴾ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ النار قد أزلفت لهم وقربت ورأوها رأي العين، ﴿ٱلَّتِى يُكَذِّبُ﴾ كذب ﴿بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ في الدنيا إما بعدم العذاب فيها، كما هو قول اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وإما بعدم البعث كما هو قول مشركي العرب.

﴿٤٤﴾﴿٤٥﴾ ﴿يَطُوفُونَ﴾ يترددون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ المتناهي في حرارته، فيعذبون بحريقها وتارة بشرب الماء الحميم وتارة يأكلون من شجرة الزقوم، إلىٰ غير ذلك من أنواع بلائهم وفتنتهم نسأل الله السلامة والعافية، ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

سورة الواقعة

١٦٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن
يَحْمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى
ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٖ مَّعْلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ
ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾
فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة:٤١-٥٦].

﴿٤١﴾ولما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين المقربين ثم من لحقهم من المؤمنين الموحدين ثلث بذكر أصحاب الشمال المعرضين عن دين رب العالمين الواقعين في الشرك والتنديد فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الكفار.

﴿٤٢﴾ ﴿فِي سَمُومٖ﴾ ريح حارة في جهنم تلفح وجوههم؛ فيلحقهم بسببها الأذى الشديد ﴿وَحَمِيمٖ﴾ ماء حار.

﴿٤٣﴾ ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحْمُومٖ﴾ دخان شديد السواد، **وقيل**: اليحموم من أسماء النار، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة المرسلات بقوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات:٣٠-٣١]، لا يظلون به ولا يغنيهم من اللهب وإنما تشتد حرارتهم به.

﴿٤٤﴾﴿لَّا بَارِدٖ﴾ فيتنعمون ببرودته، ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ المنظر فيتنعمون بمنظره، أي لا خير ولا بركة لهم فيه.

﴿٤٥﴾ **والسبب في عذابهم**: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ متنعمين وكانوا يتكبرون ويتبخترون.

﴿٤٦﴾ ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾ يقيمون ويلزمون، ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ﴾ الذنب ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ فهو أكبر ذنب عُصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣]، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رجل يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟

قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» متفق عليه، ولعظمته لا يغفره الله كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، بينما أهل الإيمان وإن وقع منهم شيء لا يصرون عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران:١٣٥].

وفي حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ الله لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**» أخرجه أحمد،

٤٧ ﴿وَكَانُواْ﴾ أي: الكفار، ﴿يَقُولُونَ﴾ بلسان الحال والمقال تكذيبًا بالبعث: ﴿أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ رميمة ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ من قبورنا للبعث والنشور يستبعدون ذلك.

٤٨ ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي: يبعثون كما نبعث أيضًا، وهذه دعواهم العليلة، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾ [المؤمنون:٨١ - ٨٣].

٤٩ ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ﴾ منكم يا معاشر بني الإنسان.

٥٠ ﴿لَمَجۡمُوعُونَ﴾ من إرجاء الأرض الواسعة، ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ وقت وأجل ﴿يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ يوم القيامة، فوقته معلوم وسيكون مشهودًا من جميع المخلوقين والمكلفين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ [هود: ١٠٣]، **والمعنىٰ**: والله إنكم: ﴿لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ فاللام للقسم.

٥١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ﴾ يا معاشر الكافرين، ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ المنحرفون عن دين رب العالمين، ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ للوحي المبين.

٥٢ ﴿لَأٓكِلُونَ﴾ في النار ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ وهذه الشجرة من أشد أشجار النار عذابًا ومنظرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾ [الصافات:٦٥-٦٨].

٥٣ ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ يملؤون بطونهم لشرهِهم بها وشدة جوعهم.

٥٤ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ علىٰ هذا المأكول من شجرة الزقوم ﴿مِنَ ٱلۡحَمِيمِ﴾ الماء الحار الذي انتهت حراته وبلغت إلىٰ أقصاها، والحال كما قال تعالىٰ: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦﴾ [الدخان:٤٥-٤٦].

٥٥ ﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ منه ﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ الإبل العطاش للماء حين تجده، ولا تروىٰ منه، ومع ذلك يعذبون بهذا العذاب الأليم نسأل الله السلام.

٥٦ ﴿هَٰذَا﴾ الذي ذكرناه ﴿نُزُلُهُمۡ﴾ منزلهم في الجحيم ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء والحساب.

١٦١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ [الواقعة:٨٨-٩٦].

ثم أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن حال النفس بعد خروجها من الإنسان، فإنها تخرج ويتبعها البصر، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»، أخرجه مسلم عن أم سلمة، أمر بإغلاق البصر وذلك حين يتبع بصره نفسه.

٨٨ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المحتضر ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ السابقين المسارعين إلىٰ مرضات رب العالمين والموحدين الطائعين له في سرائهم وضرائهم.

٨٩ ﴿فَرَوۡحٞ﴾ يبشر من الله ومن ملائكة الله بالراحة والرحمة، والحياة الطويلة، ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾ الرائحة الطيبة، **وقيل**: الرزق الحسن، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ يتنعم فيها.

۞ واستدل ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وغيره بهذه الآيات على إثبات عذاب القبر ونعيمه، خلاف ما ذهب إليه الرافضة والمعتزلة والخوارج من إنكار الحياة البرزخية وما في القبر من العذاب والنعيم، وقد تقدم حديث البراء وما فيه من الوصف لهذا الحال.

﴿٩٠﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المحتضر ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ وهم المرتبة الثانية من أهل التوحيد.

﴿٩١﴾ ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠].

﴿٩٢﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المحتضر، ﴿مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ الكافرين والمنافقين المعرضين عن دين رب العالمين.

﴿٩٣﴾ ﴿فَنُزُلٞ﴾ ينزله، ﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ المكان الحار.

﴿٩٤﴾ ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ تحيط به النار من جميع جهاته فتصليه وتشويه.

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الخبر الذي تقدم ذكره ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك.

﴿٩٦﴾ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ نزه ربك عن كل نقص.

سورة الحديد

١٦٢) قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الحديد: ١٥].

١٥ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿لَّا يُؤۡخَذُ﴾ لا يقبل ﴿مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ عوض يا معاشر المنافقين ولو افتدىٰ بمن في الأرض جميعًا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ [المعارج:١١-١٤]، فلا فداء في ذلك اليوم، ولا سلامة إلا من سلمه الله وكان قد تقرب إلىٰ الله بالتوحيد والبراءة من الشرك والتنديد، وفي حديث أنس: قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ**»، متفق عليه.

﴿وَلَا﴾ يقبل ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أشركوا ونددوا، عمل ولا فدية، ولا تنفعهم شفاعة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَأۡوَىٰكُمُ﴾ مصيركم ﴿ٱلنَّارُۖ﴾ تصلونها وتأكلون من زقومها وتشربون من حميمها، ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ هي مأواكم وملجأُكم، وأولىٰ بكم جزاء علىٰ كفركم وريبكم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بئس المكان الذي تصيرون إليه وتدخلونه.

١٦٣) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٩].

١٩ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ ربًا، ﴿وَرُسُلِهِۦٓ﴾ واتبعوا الرسول محمد ﷺ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ وهي مرتبة علية بعد الأنبياء قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ

مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ نالتهم الشهادة بسبب جهادهم في سبيل الله وابتغائهم لمرضاته، ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر:٥٥]، ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ ثوابهم، ﴿وَنُورُهُمۡۖ﴾ نور الإيمان في قلوبهم في الدنيا، ونور الآخرة يستضيئون به علىٰ الصراط، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أعرضوا عن دين الله، واستكبروا عن اتباع رسول الله ﷺ، وكذبوا القرآن وردوه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يخلدون فيها فتحرقهم ويَلقَوْنَ فيها سوء العذاب وبئس المصير.

سورة المجادلة

١٦٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾ [المجادلة: ٨].

۝٨ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ومن آمن معك، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ نهوا عن التناجي بالباطل من الغيبة والنميمة والمكر والكيد، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ يرجعون ﴿لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ مع أن الله قد حرمه عليهم، ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ أي: يتساورون في مجالسهم، ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ قول الزور والكلام الباطل، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ البهت ونحو ذلك، ﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ يدعون إلىٰ معصية الرسول ﷺ، ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ﴾ أتوك وأظهروا خلاف ما يبطنون، فـ: ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كانوا يقولون: راعنا، ويقصدون بها الرعونة، وكانوا يقولون: السام عليك يا محمد، ويريدون الموت، فيظن الظان أنهم يقولون: السلام عليكم دعاء بالسلامة، ولهذا لعنتهم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال لها النبي ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»، متفق عليه.

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: لبعضهم إذا التقوا، ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يعني: هل سيعذبنا الله بما نقول، فإن كان العذاب بهذا كأنهم يقولون: نحن نتحمل، بئس قولهم وبئس صنيعهم، ﴿حَسْبُهُمْ﴾ يكفيهم جزاء أعمالهم ﴿جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾ تغشاهم بنارها من جميع أجزاء أجسامهم، ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مصيرهم إذ لا راحة فيه لشراب، ولا طعام، ولا أكل، ولا لباس، ولا نوم.

١٦٥) قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾ [المجادلة: ١٤-١٧].

١٤ ﴿أَلَمۡ﴾ تر يا محمد ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ نافقوا حيث ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ والوا وأحبوا ﴿قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ وهم اليهود والكفار يعاضدونهم ويناصرونهم، مع أنهم ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ﴾ وكذلك: ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾، وإنما جمعهم علىٰ ذلك بغض الحق وأهله، ﴿وَ﴾ من الأعذار ﴿يَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ أنهم مسلمون أو أنهم أرادوا كذا وكذا مما الواقع خلافه، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم يكذبون وحالهم كما قال رسول الله ﷺ: «**كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ**»، قال تعالىٰ: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النساء:١٤٣].

١٥ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ في الآخرة، ﴿عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ موجعًا، ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ساء الفعل فعلهم، والسبيل سبيلهم.

١٦ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ وقاية، سترًا لباطنهم، والمعنىٰ: أنهم أكثروا من الأيمان من أجل أن يتقوا بها العقوبة، فالجُنَّة: هي الشيء الذي يحجز بينك وبين الآخر، قال النبي ﷺ: «**إِنمَا الإِمامُ جُنَّة**»، يعني: ولي الأمر يكفيك كثيرًا من شرور أهل المعاصي ويكفيك كثيرًا من الأمور؛ وقال النبي ﷺ: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»؛ لأن الصائم يترك كثيرًا من المعاصي، ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ﴾ عن طريق الحق ونفروا منه، ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦﴾ يهانون فيه يوم القيامة.

١٧ ﴿لَّن تُغۡنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ وإن كثرت، ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾ وإن كثروا، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنافقون ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دليل علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة في أن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان.

سورة الحشر

١٦٦) قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾ [الحشر: ٣-٤].

۝٣ ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ لكانت عقوبتهم أشد بالقتل ونحوه، ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل، ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ وبئس القرار؛ لأنهم كفار.

۝٤ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أصابهم هذا العذاب والخزي، ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟﴾ حاربوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ﷺ، وخالفوا دين الله الحق، ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ أي: يخالف ويحاد دين الله، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ في الدنيا بذهاب أموالهم وأنفسهم وضيق حالهم، وفي الآخرة بالنار.

١٦٧) قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٧﴾ [الحشر: ١٧].

۝١٦ ومثل المنافقين الذين أغروا اليهود على حرب النبي ﷺ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الرجيم عليه لعنة الله، ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ أمره بالكفر ومناه ورغبه، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾ بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ أي: الشيطان تبرأ من الإنسان، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وخوفه ليس بنافع له؛ لأنه تكبر وأبى السجود لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأمر الله، فذكر الله بهذا الموطن مثل اليهود بهزيمتهم ومثل المنافقين بكذبهم وخداعهم، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ما كان من الشيطان في بدر: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ

وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال:٤٨].

﴿١٧﴾ ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أهل النفاق واليهود، ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة، ﴿خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ﴾ عقوبة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

١٦٨) قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

﴿٢٠﴾ ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ﴾ في الحال والمآل ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وهم الكفار، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ وهم أهل الإيمان، ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد قال الله عزّوجلّ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧]، وأما في الآخرة: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

سورة التغابن

١٦٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠﴾ [التغابن: ١٠].

۝١٠ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أعرضوا عن دين الله، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ردوا آيات الله عَزَّوَجَلَّ حالهم علىٰ عكس حال المؤمنين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ يعذبون فيها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ لا يخرجون منها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة:١٦٧]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ۝٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر:٣٦-٣٧]، وقال: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف:٧٧]، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ۝١٠٦﴾ [المؤمنون:١٠٦]، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝١١١﴾ [المؤمنون:١٠٧-١١١]، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بئس الرجوع رجوعهم حيث يرجعون إلىٰ نار تلظىٰ لا يتنعمون فيها بنوم ولا شرب ولا أكل ولا بشيء مما فيها.

سورة الطلاق

١٧٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾ [الطلاق: ٨-١٠].

۝٨ ولما ذكر الله ما ذكر من الأوامر، حذر من الإعراض عنها فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ كأين من قبيلة أو قرية أو مدينة ﴿عَتَتْ﴾ تكبرت وتجبرت وعصت، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَ﴾ أمر ﴿رُسُلِهِ﴾ صلوات الله عليهم، ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ عسيرًا يوم القيامة بالمناقشة والاستقصاء، ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ منكرًا فضيعًا، **قيل**: في الدنيا، بالجوع والعطش والقتل والزلازل ونحو ذلك، والحساب الشديد في الآخرة، **وقيل**: بأن هذا كله في الآخرة.

۝٩ ﴿فَذَاقَتْ﴾ القرية المعرضة ﴿وَبَالَ﴾ عقوبة ﴿أَمْرِهَا﴾ ذنبها وعتوها، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ نالها الخسارة بسبب كفرها في الدنيا والآخرة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٧﴾ [فصلت: ١٧]، فدمدم الله على كثير من الأمم بسبب معاصيهم، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر: ٦ - ١٣].

⑩﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: للكافرين، ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في القبر والآخرة، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسله، ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ وحيًا وهو القرآن والسنة التي أوحاها إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

سورة التحريم

١٧١) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ **[التحريم: ٦]**.

Ⓣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ﴾ سلموا ﴿أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ أزواجكم وأبنائكم مروهم بالخير، وحذروهم من الشر، ﴿نَارٗا﴾ تكون يوم القيامة للمخالفين لشرع الله، ومن حالها: ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها ﴿ٱلنَّاسُ﴾ لعذابهم ﴿وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ يعذبهم بها، **قيل**: أحجار الكبريت، وقيل: الأصنام يدخلها تكبيتًا لأهلها، ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يحرسونها، ﴿غِلَاظٞ﴾ في صفاتهم، حيث وفيهم فضاضة علىٰ أهل النار، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ **[الزخرف: ٧٧]**، ﴿شِدَادٞ﴾ في قوتهم لا يفوتهم فائت ولا يرحمون مُسْتَرْحِم، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ لطاعتهم لله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ **[الأنبياء: ٢٧]**، ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ فتجد أنهم يسارعون إلىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ولا يتأخرون عن أمره طرفة عين، فيوقدون فيها الكفار ويسقون إليهم الحميم إلىٰ غير ذلك مما وكلوا به.

١٧٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾ **[التحريم: ٩]**.

Ⓣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بلسانك وسيفك ومالك، ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ وقد جاهدهم بلسانه لا بسيفه، ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ في الكلام والإنكار؛ لأنهم لا يستحقون الرفق لشدة عداوتهم وكثرة خلافهم للمسلمين، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾ مستقرهم ﴿جَهَنَّمُۖ﴾ في الآخرة، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مصيرهم، وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ

وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ [الأحزاب:٦٠]، فهذا الإغراء لم يقع.

١٧٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

﴿١٠﴾ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]، ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾ لو كان النسب أو القرب ينفع لنفع ابن نوح وامرأة نوح لكن لا ينفع، ﴿وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ نبيين كريمين وذكر امرأتيهما وكانتا لئيمتين تمالأتا مع أقوامهن علىٰ الكفر، ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ رسل وأنبياء وفي غاية من العبادة والصلاح والعلم، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ الخيانة في الدين وليست خيانة الزنا، قال ابن عباس: ما زنت امرأة نبي قط، وفي هذا رد علىٰ الرافضة الذين يتهمون عائشة بما برأها الله منه، فالله يصون نبيه وجنابه أن تكون تحته امرأة عاهر تكون مع غيره ثم تعود إليه، هذا أمر لو وقع لعوام الناس لرأوه نقيصة فكيف يظن بالأنبياء عليهم الصلوات والسلام؛ ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا﴾ يدفعا ﴿عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ لأن الكافر كما قال الله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر:٤٨]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر:١٨]، ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ من الكفار والمنافقين.

سورة الملك

١٧٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ٥-١١].

۝٥ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ حسنا وزوقنا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب والنجوم التي وضعت فيها من السيارات والثوابت، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ صيرناها ﴿رُجُومًا﴾ مرامي ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: وبعضها ترمىٰ بها الشياطين وهي الشهب، وقيل: من هذه الكواكب تخرج هذه الشهب التي يرمي الله عَزَّوَجَلَّ بها الشياطين التي تسترق السمع من السماء، وقد سلطت عليهم الشهب قبل بعثة النبي ﷺ علىٰ ما يأتي في تَفْسِيرُ سُورَةِ الجن إن شاء الله، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَجَعَلَهَا يُهْتَدَىٰ بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ فَمَنْ تَعَاطَىٰ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ: رَأْيَهُ وَأَخْطَأَ حَظَّهُ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَإِنَّ نَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللهِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً، مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلَّا يُولَدُ بِهِ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالذَّمِيمُ وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِ وَقُضَىٰ اللهُ أَنَّهُ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥﴾ وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ يَأْكُلُ فِيهَا رَغَدًا حَيْثُ

شَاءَ، وَنُهِيَ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّىٰ وَقَعَ بِمَا نُهِيَ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ يُعْلَمُ الْغَيْبُ لَعَلِمَتْهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ ﷺ فَلَبِثَتْ تَعْمَلُ لَهُ حَوْلًا فِي أَشَدِّ الْهَوَانِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَوْتِهِ ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ أَيْ تَأْكُلُ عَصَاهُ ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ وَهِيَ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ «**تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**» وَكَانَتِ الْجِنُّ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَتَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَابْتَلَاهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ مَوْتَ سُلَيْمَانَ لِلْجِنِّ عِظَةً.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أعددنا في الآخرة ﴿لَهُمْ﴾ أي: للشياطين: ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ بسبب كفرهم وعنادهم فأخزاهم الله في الدنيا وعذبهم في الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ **[الصافات: ٦ - ١٠]**.

۝٦ ﴿وَ﴾ كما أن للشياطين عذاب السعير كذلك ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ وأعرضوا عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ نار جهنم وهو عذاب موجع، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ بئس المصير مصيرهم كما أن نعم المصير مصير المؤمنين إذ ينعمون في جنة النعيم.

۝٧ ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟﴾ طرحوا ﴿فِيهَا﴾ في النار، وسبحان الله أهل الجنة يمشون إليها مشيًا وتفتح أبوابها، وأهل النار يساقون إليها سوقًا ويلقون فيها إلقاءً، ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ أي: للنار، ﴿شَهِيقًا﴾ صوتًا عظيمًا كبدء صوت نهيق الحمير، ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ من شدة غليانها.

۝٨ ﴿تَكَادُ﴾ تقرب ﴿تَمَيَّزُ﴾ تنقطع ﴿مِنَ﴾ شدة ﴿ٱلْغَيْظِ﴾ غيظها علىٰ الكفار وحنقها عليهم تتميز وينفصل بعضها عن بعض، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ﴾ طرح ﴿فِيهَا فَوْجٌ﴾ من الكفار، ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ ملائكة الله الذين وكلوا بإعدادها والقيام علىٰ من فيها، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يخوفكم عذاب الله، وهذا سؤال تكبيت وإنكار عليهم، ألم يرسل الله عَزَّوَجَلَّ إليكم رسلًا وينزل كتبًا يدعوكم إلىٰ عبادته، وطاعته، وامتثال أمره، وهذا دليل علىٰ أن

الله عَزَّوَجَلَّ لا يعذب أحدًا حتىٰ يقيم عليه الحجة الرسالية، كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]، وفي سورة الزمر: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر:٧١].

﴿٩﴾ ﴿قَالُواْ﴾ الكفار ﴿بَلَىٰ﴾ أي: نعم، ﴿قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا﴾ أي: رددنا دعوته وأعرضنا عن كلامه، ﴿وَقُلۡنَا﴾ للرسل ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ وهذا لكبرهم وعنادهم وإلا فإن الرسول ﷺ صاحب الصدق والأمانة وكانوا يلقبونه بهذا قبل مبعثه، ﴿إِنۡ﴾ بل ﴿أَنتُمۡ﴾ يا معاشر الرسل ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ هلاك ﴿كَبِيرٖ﴾ عظيم، ونعوذ بالله من الخذلان، من الذي في ضلال كبير؟ الذي يعبد الأصنام والشجر والحجر، أم الذي يعبد الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يعجزه شيء؟.

سورة القلم

١٧٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [القلم:٣٣].

٣٣ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿ٱلۡعَذَابُۖ﴾ إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ يذهب ما بين يديك في لمحة عين وبصر، حيث كانوا أصحاب جنة، وغنىٰ وخير، وإذا بهم لا يلون علىٰ شيء، وكانوا يؤملون أن تزداد أموالهم من هذه الجنة فصارت حُطامًا، والحال كما قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود:١٠٢]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ أشد لمن كفر وتمرد وتكبر، ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ أنبياءهم صلوات الله وسلامه عليهم.

سورة الحاقة

١٧٦) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة:٢٥-٣٧].

﴿٢٥﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ وهو الكافر الفاجر، يأخذ كتابه بشماله وهذا دليل على سخط الله عليه وعلى كثرة سيئاته، ﴿فَيَقُولُ﴾ بصوت مرتفع، ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ﴾ أعطى ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ لما فيه من الشرور والضرر، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

﴿٢٦﴾ ﴿وَ﴾ يا ليتني ﴿لَمْ أَدْرِ﴾ أعلم ﴿مَا حِسَابِيَهْ﴾ بهذا الجزاء وما سيكون في شأني.

﴿٢٧﴾ ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ﴾ الموتة ﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة ولم يكن بعدها بعث ولكن هيهات فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلقنا لحكمة سامية وأمر عظيم.

﴿٢٨﴾ ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنِّي﴾ العذاب ﴿مَالِيَهْ﴾ أي: لم أنتفع بمالٍ، وذلك لأنه لم يبذلها في أوجه الخير ولم يستخدمها في طاعة الله.

﴿٢٩﴾ ﴿هَلَكَ﴾ غاب وتولى ﴿عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ حجتي وما كنت أعتمد عليه من الأبناء والأزواج والأتباع كلهم لا معين ولا نصير ولا مجير فما أشدها من خسارة، هذا إذا خرج من تبعاتهم ما بالك إذا كانت تبعاتهم عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف:٦٧-٦٨].

٣٠ ثم يأتي الخطاب من الله عَزَّوَجَلَّ لملائكة العذاب، ﴿خُذُوهُ﴾ هذا المجرم، ﴿فَغُلُّوهُ﴾ ضموا رجليه إلىٰ عنقه، ولو أُلقي في النار بغير هذا الحال لكان في أشد العذاب فما بالك حين تُغل رجلاه إلىٰ عنقه.

٣١ ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: أنهم يقلبونه فيها لزيادة عذابه ونكاله.

٣٢ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ **قيل**: تُدخل من دبره وتُخرج من فمه ويعذب بها عذابًا شديدًا، فيعذب من داخله وخارجه نعوذ بالله من النار.

٣٣ وسبب ما لحقه من الذل والهوان والعذاب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ ربًا ولم يوحده ولم يستقم علىٰ دينه، ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ الكبير الواسع القوي العزيز.

٣٤ ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ يحث ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولا يُنفق عليهم بل ربما منع من ذلك، فلم يرحم مخلوقًا ولم يوحد خالقًا، وأصل سعادة الإنسان في أداء حق الخالق والإحسان إلىٰ المخلوقين.

٣٥ ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ صديق يشفع فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١٨﴾ **[غافر:١٨]**، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ٤٩﴾ **[المدثر:٤٨-٤٩]**.

٣٦ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ ما يخرج من نتن الكفار وقيحهم.

٣٧ ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ﴾ لسوئه ﴿إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ المخطئون المتلوثون بالشرك والمعاصي.

سورة المعارج

١٧٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ **[المعارج:١١-١٨].**

﴿١١﴾ ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ أي: أن كل واحد يرىٰ صاحبه في الآخرة ويعرفه، فيرىٰ أباه، وأخاه، وأمه، وعدوه، وصاحبه؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الأرض: ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه:١٠٦-١٠٧]، ومع ذلك لا يسأل أحد عن أحد بل: ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنىٰ ﴿ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ الكافر، ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي﴾ يشتري نفسه ويعتقها من سوء ما هي فيه، ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ﴾ من عذاب الله في ذلك اليوم، ﴿بِبَنِيهِ﴾ الذين هم أحب الناس إليه في الدنيا، فقد يضحي بنفسه من أجلهم ويظلم ويجور ويفجر ويقتل ويُسجن إلىٰ غير ذلك.

﴿١٢﴾ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ بزوجته، ﴿وَأَخِيهِ﴾ من صليبته ابن أبيه وأمه.

﴿١٣﴾ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ بعشيرته، ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾ تناصره وتعاضده.

﴿١٤﴾ بل: ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ يسلمه ويخلصه من هذا العذاب، والحال كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس:٣٤-٣٧]، وفي حديث عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **«لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ»** متفق عليه.

﴿١٥﴾ ﴿كَلَّآۖ﴾ لا يكون ذلك أو حقًا، ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ أي: إن هذه النار لظىٰ لشدة حرارتها وغليانها تلتهب علىٰ أهلها.

﴿١٦﴾ ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ تنزع الجلد الذي على الرأس والوجه، لشدة حرارتها وعظيم شأنها.

﴿١٧﴾ ﴿تَدْعُواْ﴾ تتبع وقيل: تدعوهم بلسان ناطق أفصح ما يكون، ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ من أعرض عن دين الله، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن العمل بسنة رسول الله ﷺ.

﴿١٨﴾ ﴿وَ﴾ كان من شأن هذا المعرض أنه: ﴿جَمَعَ﴾ المال، ﴿فَأَوْعَىٰ﴾ حصل منه الشيء الكثير؛ لكنه لم ينفقه في سبيل الله ولم يستخدمه في مرضات الله فكان عليه وبالا كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ آتَاهُ الله مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ فَاتِحًا فَاهُ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ فَيَقُولُ: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ، أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ، قَالَ: فَوَالله لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ حَتَّى يُطَوَّقَهُ فَيَتَقِيهِ بِيَدِهِ، فَيَلْقَمُهَا، فَلَا يَزَالُ يَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ، ثُمَّ يُتْبِعُهُ بِسَائِرِ جَسَدِهِ»، متفق عليه.**

سورة الليل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

[الليل: ١٤-١٦].

سورة نوح

١٧٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٤-٢٥].

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾ حرفوا بهذه الدعوة ﴿كَثِيرًا﴾ إلىٰ عبادة الأصنام والأوثان بينما كان قبل ذلك ما بين نوح وآدم عشرة قرون كلها علىٰ التوحيد حتىٰ دخل بعد ذلك الشرك والتنديد، ﴿وَلَا تَزِدِ﴾ يا رب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بظلمهم وشركهم ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ هلاكًا وإعراضًا عن دين ربهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يهدي من علمه أهلًا للهداية، ويضل من علمه أهلًا للضلال.

﴿٢٥﴾ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ بسبب خطيئتهم، وذنوبهم ومعاصيهم، ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بالطوفان في الدنيا، ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ نارًا تلظىٰ، وهذا دليل علىٰ عذاب القبر أُدخلوا نارًا بعد موتهم، وكذلك يعذبون في النار في أُخراهم، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾، يدفعون عنهم ما نزل بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣]، وقال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

سورة الجن

١٧٩) قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: ٢٢-٢٣].

﴿٢٢﴾ ﴿قُلۡ﴾ لهؤلاء الجن ولغيرهم ممن يسمع دعوتك، ﴿إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ يمنعني وينصرني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ إن تمردت علىٰ شرعه ودينه: ﴿أَحَدٞ﴾ مهما كان، ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله، ﴿مُلۡتَحَدًا﴾ مهربًا وملجأً.

﴿٢٣﴾ ولا أملك لكم ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا﴾ أبلغكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ التي أرسلني بها، كما قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة:٦٧]، وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**أَتَتْنِي رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّي فَضِقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَرَوَيْتُ أَنَّ النَّاسَ سَيُكَذِّبُونِي، فَقِيلَ لِي: لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيُفْعَلَنَّ بِكَ**»، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ﴾ أي: بالشرك، ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ محمد ﷺ، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يخرج منها، وهذا في حق المشرك شركًا أكبر مخرج من الملة وإلا فإن المؤمن مآله إلىٰ الجنة كما قال النبي ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»، أخرجه الترمذي عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال ﷺ: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ**»، أخرجه أحمد عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي الآية دليل علىٰ أبدية النار لا كما يقول المعتزلة بفنائها.

﴿٢٤﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ﴾ يوم القيامة ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ ما توعدهم الله به ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب، ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا﴾ من لا ناصر له، ﴿وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ أهم أم المؤمنون أم

الكافرون، حيث يفر منه أبوه وأمه وزوجه وأخوه وابنه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٤ – ٣٧].

١٨٠) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ۝١٥﴾ [الجن: ١٤–١٥].

۝١٤ ﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾ يا معشر الجن ﴿ٱلۡمُسۡلِمُونَ﴾ من دخل في دين الله واستقام عليه، ﴿وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾ الجائرون المتمردون علىٰ شرع الله، ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ﴾ لله عَزَّوَجَلَّ بجوارحه وقلبه وقوله، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ﴾ قصدوا وسلكوا ﴿رَشَدٗا﴾ سبيل الرشد وأخذوا به.

۝١٥ ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾ أي: المائلون عن الحق الذين كفروا بالله ورسله، ﴿فَكَانُواْ﴾ يوم القيامة ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ وقودًا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]..

سورة المزمل

١٨١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المزمل:١١-١٤].

﴿١١﴾﴿وَذَرْنِي﴾ وهذا وعيد عظيم من الله عَزَّوَجَلَّ للكافرين يقول: دعني، ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: الكفار، والمعنىٰ أنا أكفيكهم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ الذين أنعم الله عليهم بالنعم الكثيرة، ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ أخرهم ﴿قَلِيلًا﴾ إلىٰ أن يأتي وعد الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ وقد قتلوا في بدر بعد يسير.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ لتعذيبهم ﴿أَنكَالًا﴾ سلاسل يربط بها الكفار ويعذبون فيها، ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا موقدة.

﴿١٣﴾﴿وَطَعَامًا﴾ يأكلونه ولكنه، ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾ يغص في الحلق فلا يستصيغون أكله ولا بلعه: ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿١٤﴾ويكون هذا العذاب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ تزلزل الأرض الواسعة وتتهاوىٰ الجبال العظيمة، ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رمالا ﴿مَّهِيلًا﴾ سائلاً بعد أن كان متماسكًا وهذا يوم القيامة، فتحول الجبال الشاهقة إلىٰ رمال تتناثر وتتطاير في هذه البسيطة ثم لا يُرىٰ لها أثر فتكون كالرمال المتطاير، كما في هذه الآية.

سورة الإنسان

١٨٢) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان:٤].

ﵞ٤ﵟفلما بين حال الإنسان من حيث القسمة أخبر عن مآلهم: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ أعددنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ في جهنم وفيه دليل علىٰ أن النار موجودة الآن إذ أن الله قد أعدها وجهزها وجعل الملائكة يحشونها، ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ من حديد يقيدون بها، ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ تغل أيديهم وأرجلهم إلىٰ حناجرهم، ﴿وَسَعِيرًا﴾ نار تحيط بهم فتحرقهم أعاذنا الله من ذلك.

سورة المدثر

١٨٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا (١١) وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا (١٢) وَبَنِينَ
شُهُودٗا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا (١٤) ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا (١٦) سَأُرۡهِقُهُۥ
صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
(٢٢) ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ (٢٤) إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ (٢٥) سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ
(٢٦) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ (٢٩) عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ
ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ
أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ (٣١)﴾ [المدثر: ١١-٣١].

(١١) ﴿ذَرۡنِي﴾ اتركني ودعني، ﴿وَمَنۡ﴾ الذي ﴿خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ ليس له معين ولا نصير ولا ظهير ولا مال ولا ولد وإنما هو الله الذي يربيه ويرزقه ويعطيه، قيل هو الوليد بن المغيرة.

(١٢) ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ واسعًا متصلًا فقد أنعم الله عليه بالأموال حتىٰ كثر ماله وكثر عبيده وإماؤه.

(١٣) ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا﴾ وأعطيته أبناء يشهدون مجلسه ويحضرون معه، وكانوا يرسلون عبيدهم للتجارة ونحوها وهم في خير حال.

(١٤) ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ بسطت ﴿لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ بأنواع النعم سواء كانت في لبسه أو أكله وشربه وأثاثه وغير ذلك.

(١٥) ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ الزيادة مع كفره وبغيه وإعراضه وأذيته للنبي ﷺ.

﴿١٦﴾ ﴿كَلَّآۖ﴾ حقًا لا يكون هذا بل سيأتي الله عليه كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود:١٠٢]، وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» متفق عليه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ كان معارضًا مُكابرًا لم يستجب لدعوة رسول الله ﷺ ولم تنفعه آيات الله لشدة كبره وإعراضه.

﴿١٧﴾ ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾ أكلفه ﴿صَعُودًا﴾ هذا في الآخرة أنه يعذب في النار بشدة العذاب وزيادته ونكاله، وقيل: بأنه يصعد في جبل في النار وقيل غير ذلك.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: هذا الرجل، ﴿فَكَّرَ﴾ فيما يقول في النبي ﷺ والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ حيث اجتمعوا وكل يريد أن يذم النبي ﷺ فهذا فكر في عقله.

﴿١٩﴾ ﴿فَقُتِلَ﴾ لُعن ﴿كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ بسب فكره وتقديره.

﴿٢٠﴾ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ زيادة في اللعن والطرد من رحمة الله.

﴿٢١﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: إلىٰ الحاضرين.

﴿٢٢﴾ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ انقبض ما بين عينيه، ﴿وَبَسَرَ﴾ تغير وجهه.

﴿٢٣﴾ ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ جعل يقدم ويتأخر من أجل أن يأتي بمقولة شنعاء يحذر فيها من القرآن والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

﴿٢٤﴾ ﴿فَقَالَ﴾ قولةً مشؤمة، ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ أي: تعلمه محمد ﷺ من الأمم السابقة كما قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾ [الفرقان:٥].

﴿٢٥﴾ ثم استدرك فقال: ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ ليس بكلام الله.

❁ وكذب في هذه الدعوى فإن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله أنزله إلى محمد ﷺ تكلم به ربنا حقيقةً وسمعه منه جبريل وجاء به جبريل إلى النبي ﷺ،

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، فمن زعم أن القرآن قول البشر فقد كفر.

﴿٢٦﴾ وشأنه كما قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ سيعذبه الله عَزَّوَجَلَّ في النار وتحيط به من جميع جوانبها.

﴿٢٧﴾﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لشأنها.

﴿٢٨﴾﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ لا تبقي له لحمًا ولا عصبًا ولا عظمًا ولا شحمًا ولا شيء، بل يؤكل جميع جسمه، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، نعوذ بالله من النار.

﴿٢٩﴾﴿لَوَّاحَةٌ﴾ محرقة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ أي: للجلد حيث تلفح الوجه لفحة فتدعه أسود من الليل، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تحرق جلد الإنسان.

﴿٣٠﴾﴿عَلَيْهَا﴾ من الزبانية والخزان ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: المقدمين من زبانية النار وخزان النار تسعة عشر، وإنما ذكر الله هذا العدد مع أنه لا يعلم جنود الله إلا الله فتنة للكافرين فإنه لما قال: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ **قالوا**: إذًا هؤلاء سنكفاهم عدد يسير وعدد قليل.

﴿٣١﴾**وقال الله ردًا علىٰ الدعوىٰ**: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ﴾ خُزّان ﴿ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ قال تعالىٰ: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦]، فعن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟.... وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ**» أخرجه البخاري، ولا رحمة فيه ولا شفقة، ولذلك يقول أهل النار: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف:٧٧].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ أي: بهذا العدد تسعة عشر، ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ اختباراً ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يُفتنون فيزدادون كفرًا إلىٰ كفرهم وبغيًا إلىٰ بغيهم، و ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ يتيقن ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارىٰ أي: الذين يؤمنون بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ وبالنبي ﷺ، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ لعلمهم أن الله علىٰ كل شيء قدير.

❁ وفي هذه الآية إثبات زيادة الإيمان ونقصانه وهو مذهب أهل الحق أهل السنة، وإنما خالف المبتدعة فزعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص زيادته ونقصانه كفر، ورأس هؤلاء المبتدعة الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والرافضة، والجهمية ومن إليهم، فالإيمان يزيد وينقص تزيده الطاعات وتنقصه المعاصي والسيئات، والأدلة على ذلك متوافرة متكاثرة من الكتاب والسنة والإجماع.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يلحقهم ريب وشك؛ لأنهم يعلمون أنما جاء من عند الله هو الحق الذي لا باطل فيه، والنور الذي لا ظلام فيه، ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أصحاب الشكوك من الكافرين والمنافقين، ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ وأرد بالمثل الحديث نفسه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل هداية من أخذ بهذا المثل ورده ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ أن يضله، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه فيضل من يشاء عدلًا لعلمه أنه ليس أهلًا للهداية ويهدي من يشاء فضلًا لعلمه أنه أهل للهداية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ في كثرتها وأنواعها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ العليم بكل شيء، ﴿وَمَا هِىَ﴾ هذه الآية ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ للناس فما تقدم من الآيات ذكرىٰ يتعظ بها من أراد الله به الخير، ويعرض عنها من أراد الله به الشر والضير.

والملائكة خلق كثير، فقد ذكر النبي ﷺ أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك آخر ما عليهم، متفق عليه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ**» **أخرجه أحمد.**

وذكر أهل العلم أنها من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك ووكل الله عَزَّوَجَلَّ بكل إنسان ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، زد علىٰ ذلك الذين يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله، ولملائكة السيارة التي تتبع حلق الذكر، وهكذا الملائكة التي تتعاقب بالليل والنهار، والملائكة التي تكون علىٰ أبواب المساجد فتكتب الأول فالأول، وفي ليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤﴾ [القدر:٤]، لكثرتهم، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] وهم مخلوقات عظيمة خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ من نور كما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الشياطين من نار وخلق الإنسان من تراب كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخرجه مسلم.

والشاهد: أن الكفار حين أُخبروا بما أُخبروا عن خزنة النار استقلُّوا هذا العدد، وحين ذكر الله لهم شجرة الزقوم قالوا: سنتزقم عليه يعني: نشرب بعض الذي يذهب حرارتها فكان ما أخبر الله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدخان:٤٣-٤٩]، فلا يجوز أن يواجه وعيد الله بالاستهزاء والسخرية والاعراض بل علىٰ العبد أن يكون رجاعًا إلىٰ ربه مستغفرًا من ذنبه.

١٨٤) قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾
عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾
بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ
﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾
[المدثر:٣٨-٥٦]

﴿٣٨﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ من المكلفين سواء من الجن أو الإنس، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿رَهِينَةٌ﴾ مرتهنة في النار ومحاسبة وتجازىٰ عليه يوم القيامة.

﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ المؤمنون فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم بل هم مرحومون ومغفور لهم، بل ويتنعمون ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين عظيمة و ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ وهذا بعد أن يُكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بدخول الجنة ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج:١٠]، ونحوها فهي مواطن تقع مواطن شدة لا يلتفت أحد لأحد، ويقع للمؤمنين بعد دخولهم الجنة والاطمئنان الذي حصل لهم أنهم يتساءلون عمن كانوا يعرفونه من أهل الدنيا ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ممن كان يعارضهم ويؤذيهم ويتنكر لهم.

﴿٤٢﴾ ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم ﴿فِي سَقَرَ﴾ النار وبئس القرار.

﴿٤٣﴾ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وذكر الصلاة قبل غيرها؛ لعظيم شأنها وعلو مرتبتها، وبهذا استدل أهل العلم علىٰ أن تارك الصلاة كافر كفر أكبر مخرج من الملة وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ

يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون:٤-٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم:٥٩].

۝٤٤ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ وذلك بمنع الزكاة والحقوق الواجبة فجمع هذا الكافر بين تضييع حق الله وحق عباده، فإطعام المسكين من المتعينات إن كانت الزكاة المفروضة فتجب، وإن كانت الصدقات المندوبة فقد رغب الله عَزَّوَجَلَّ فيها.

۝٤٥ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ نجادل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ المجادلين المعرضين بالباطل ورد الحق ومنه نشر البدع والشركيات والخرافات وغير ذلك فهذا من أسباب دخول النار، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ [النحل:٢٥].

۝٤٦ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بيوم القيامة يوم الجزاء، فالدين بمعنىٰ: الجزاء، فكانوا يقولون: بأنه لا جنة ولا نارًا ولا بعثًا ولا نشورًا بل حالهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس:٧٨-٧٩].

۝٤٧ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ الموت فعلموا أنما أخبر به النبي ﷺ من البعث والنشور واقع لا محالة.

وهذا يدل علىٰ أن اليقين الموت خلافًا لمن فسر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] بأنها درجة للولي تباح له فيها المحظورات وترفع عنه التكاليف، بل اليقين ما تقدم، زد علىٰ ذلك ما أخرجه البخاري عن أُمِّ العَلَاءِ: أَنَّهُ اقْتُسِمَ المُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ**

اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَالَ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ، مَا يُفْعَلُ بِي**» قَالَتْ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

﴿٤٨﴾ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ﴾ في ذلك اليوم ﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لأنهم ماتوا على الكفر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ **[غافر:١٨]**، فلا تنفعهم شفاعة بتخفيف العذاب عنهم ولا يخرجون من النار: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ **[الحج:٢٢]**.

وإنما ينتفع بالشفاعة المؤمن إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل الشفاعة إلا بثلاثة شروط: إذن الله للشافع رضا الله عن الشاف رضا الله عن المشفوع، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»، أخرجه الترمذي، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ **[البقرة:٢٥٥]**، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ **[الأنبياء:٢٨]**، إلا أن أبا طالب شفع له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف العذاب لا في الخروج من النار، فعن العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» **متفق عليه**.

﴿٤٩﴾ ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: كفار قريش ومن إليهم، ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ الموعظة التي جاء بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن والسنة ﴿مُعْرِضِينَ﴾ مدبرين غير مقبلين.

﴿٥٠﴾ وحالهم في إدبارهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ جمع حمار وهي الوحشية ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ نافرة ومنفرة.

﴿٥١﴾ ﴿فَرَّتْ﴾ هربت ﴿مِن قَسْوَرَةٍ﴾ الأسد إذا رأته، وهذا تشبيه بليغ حيث ومثل الله عَزَّوَجَلَّ الكفار المعرضين عن الحق بالحمر الشاردة الهاربة من عدوها.

﴿٥٢﴾﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ﴾ شخص ﴿مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ﴾ يعطىٰ ﴿صُحُفًا﴾ كتبًا ﴿مُّنَشَّرَةً﴾ منشور فيه أخبار من مضىٰ وأخبار من أتىٰ كما هو حال النبي ﷺ.

وذلك: أن كفار قريش يطلبون أن يكون لكل واحد منهم كتابًا يؤتاه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف:٣١]، وكما قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعام:١٢٤]، وكفروا بما أوتي رسل الله، وكل يريد أن ينزل عليه كتاب وهذا يعارض الحكمة الإلهية كما قال تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران:٣٣].

﴿٥٣﴾﴿كَلَّاۖ﴾ حقا هذا لا يكون ولا يجوز شرعًا ولا عقلًا، ﴿بَل﴾ سبب كفرهم وإعراضهم أنهم ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ لزعمهم أنها لا تكون ولتكذيبهم وكفرهم ولعدم علمهم بحق الله إلىٰ غير ذلك، وهذا هو السبب الذي أودىٰ بهم إلىٰ النار وبئس القرار، فخوف الآخرة ينبغي أن يلازم المسلم حتىٰ يحمله علىٰ فعل الطاعات والقربات.

﴿٥٤﴾ ﴿كَلَّآ﴾ حقًا، ﴿إِنَّهُۥ﴾ هذا القرآن ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ موعظة للمؤمنين يستفيدونها ويستجيبون لها.

﴿٥٥﴾ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ من شاء أن يتذكر تذكر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿٥٦﴾﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ﴾ يتعظون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أهلٌ أن يُتقىٰ فيطاع بالتوحيد وينزه عن الشرك والتنديد، ويطاع بالطاعات ويبتعد عن المعاصي والسيئات، ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ وأهلٌ أن يغفر للمؤمنين المسلمين الموحدين قال الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه:٨٢]، وأخرج الإمام أحمد بسند ضعيف من طريق سهيل القطيعي، وهو ضعيف عن ثابت عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أَنَّ رَسُولَ الله -

ﷺ - قَرَأَ - أَوْ تَلَا - هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر: ٥٦] فَقَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلَا يُجْعَلْ مَعِي إِلَهٌ آخَرُ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا آخَرَ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ».

سورة المرسلات

١٨٥) قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ۝٣٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾ [القارعة: ٢٩-٤٠].

۝٢٩ **ثم قال تعالىٰ**: مبينًا حالهم يوم القيامة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ اذهبوا يا معاشر الكفار: ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ مما بلغته لكم الرسل من وعيد يوم القيامة.

۝٣٠ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أمضوا واذهبوا ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ إلىٰ نار يتصاعد منها لهب عظيم كالظل ولا ظل له، ﴿ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ مجزئ إلىٰ ثلاثة أجزاء، والنار ربما خرج منها العنق الطويل فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنِ ادَّعَى مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالْمُصَوِّرِينَ**» أخرجه الترمذي (٢٥٧٤).

۝٣١ ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ لا هو ظل تستظلون فيه، ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ يدفع عنكم ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ من شدة حر النار شيئًا، فالمعنىٰ أنه لا ظل فيه ولا يغني من الحر بل هو في نفسه عذاب والله المستعان.

۝٣٢ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿تَرۡمِي﴾ تلقي، ﴿بِشَرَرٖ﴾ عظيم، يتطاير منها ﴿كَٱلۡقَصۡرِ﴾ كالقصور العظيمة، **وقيل**: كأجذاع النخل؛ لأنهم كانوا يقسمون جذع النخلة إلىٰ ثلاثة أقسام ثم يرمون بها، وأيًا كان فهو شرر عظيم.

﴿٣٣﴾ ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ في لونه وعظمه ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ جمال سود عظيمة، **وقال بعضهم**: حبال السفن الكبيرة، ﴿صُفْرٌ﴾ **وقيل**: كالنحاس، والمعنىٰ الأول أقرب: أنه مثل الجمال يعني: في شدة صفاره وسواده.

﴿٣٤﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ من هذا العذاب الشديد والخزي العظيم.

﴿٣٥﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ أي: يوم القيامة أشار إليه باسم الإشارة القريب لقربه وتحقق وقوعه ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ لا يستطيعون الكلام ولا الدفاع عن الأنفس والاعتذار حيث يقول الله عَزَّوَجَلَّ لهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٨]، ولهم مواقف، في موقف يتكلمون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون:١٠٧]، ومواقف يأمرهم الله بعدم الكلام فلا يستطيعون كلمة، وربما كان أهل الموقف لا يستطيعون إلا همسًا كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ:٣٨].

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ بالكلام ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ إلىٰ ربهم من كفرهم وسيئاتهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الروم:٥٧]؛ لأن الاستعتاب قد يجعل لك حظا في الاعتذار وأمل في النجاة، لكن حين يبدأُك بالتأديب تعلم أن لا سلامة.

﴿٣٧﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذا اليوم شديد الحر شديد الأهوال.

﴿٣٨﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، يفصل بين العباد فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ فيه يا معاشر الكافرين، ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم السابقة واللاحقة، حيث يجمع الله الناس جميعًا في صعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي.

﴿٣٩﴾ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ﴾ حيله في اتقاء ما نزل بكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ فاتوا بها إن كان لكم مفر ومهرب وخلاص عاجلوا به؛ لكن: هيهات .

﴿٤٠﴾ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بمحمد ﷺ وبما جاء به مع هذه الحجج والدلائل والآيات.

سورة النبأ

١٨٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٢١-٣٠].

﴿٢١﴾ثم قال عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن النار وما فيها من أهول أعاذنا الله منها: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ﴾ النار، ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ مرصدة للكافرين لا سبيل إلىٰ الخلاص منها، وقيل مرصدة في طريق جميع الناس، لا يصل المؤمنون إلىٰ الجنة إلا بالمرور عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

﴿٢٢﴾ ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ للمجاوزين لأمر الله، طغوا وتجاوزوا الأمر فلم يفعلوه، والنهي فارتكبوه، وأعظم ما وقعوا فيه الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿مَـَٔابًا﴾ مسكنًا ومأوىٰ.

﴿٢٣﴾﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ مدةً طويلة، **قيل**: بأن الحقب ثمانون سنة والسنة اثنىٰ عشر شهرًا والشهر ثلاثون يومًا، وكل يوم بألف سنة مما تعدون والله أعلم.

❁ واستدل بعضهم بهذه الآية على فناء النار، حيث زعم أنهم يلبثون أحقابًا ثم يخرجون منها، وهذا غير صحيح؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة ١٦٧].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

وإنما المعنىٰ هنا: أنهم يمكثون مكثًا طويلًا ممتدًا، والعرب قد تأتي بالكلمة التي ظاهرها الانقطاع وتريد بها الاستمرار.

﴿٢٤﴾ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ أي: لا يطعمون أو يجدون في هذه النار ﴿بَرْدًا﴾ برودة ماء وجسم ولا برودة جو، وقيل البرد هنا النوم، علىٰ تفسير لبعض أهل العلم لا يذوقون فيها نومًا ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ أي: لا يجدون ماء صائغًا يذهب عطشهم، أو عصيرًا نافعًا يروي ظمأهم.

﴿٢٥﴾ ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ وهو الذي انتهىٰ حره كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ **[الكهف: ٢٩]**، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ أي: الذي قد انتهىٰ برده، وهو الزمهرير، وكأنه من المقابلة: لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا حارًا وغساقًا باردًا، **وقيل**: الغساق هو ما يسيل من جلود أهل النار، فيشربونه عذابًا أليما والله المستعان.

﴿٢٦﴾ ﴿جَزَآءً﴾ عقابًا ﴿وِفَاقًا﴾ موافقًا لسوء أعمالهم، وكما تدين تدان: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ **[فصلت ٤٦]**، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: السبب الذي أوردهم هذا العذاب وجزوا به، ﴿كَانُواْ لَا يَرْجُونَ﴾ يؤملون ﴿حِسَابًا﴾ محاسبة علىٰ أعمالهم فكانوا لا يؤمنون ببعث ولا نشور، ولا أن الله يبعث العباد ويجازيهم علىٰ أعمالهم.

﴿٢٨﴾ ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الشرعية التي أوحاها إلىٰ أنبيائهم ورسله، وربما الكونية حيث زعموا أن معه معينًا أو ظهيرًا أو نصيرًا، ﴿كِذَّابًا﴾ أي: تكذيبًا يعني أنهم تمادوا في التكذيب والمغالطة والإيهام.

﴿٢٩﴾ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ وهذا عام في كل عمل دق أم جل، صغر أم كبر، قولي أم فعلي، ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ حفظناه، ﴿كِتَابًا﴾ مكتوبًا عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

فالله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما هم عليه، زد علىٰ ذلك أن الملائكة تكتب أعمال العباد، وليس هذا فحسب، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

فيحفظ عمل الإنسان بأمور:

الأول: الله عَزَّوَجَلَّ مطلع علىٰ كل شيء، لا تخفىٰ عليه خافية

الثاني: الملائكة الذي سطروا تلك الأعمال والأقوال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

الثالث: شهادة الجوارح تشهد عليك.

الرابع: إخبار الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾.

الخامس: شهادة الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

﴿٣٠﴾ ﴿فَذُوقُوا﴾ هذا العذاب الشديد، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ لا رحمة لهم، مع أن الله هو الرحمن الرحيم، لكن قد قال عن نفسه: ﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

بل يكتبهم بقوله: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١٠٩]، فنعوذ بالله من حال أهل النار.

ولما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ حال الكافرين في الآخرة ثنَّا بحال المؤمنين جمعًا بين النذارة والبشارة، كما قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء ١٦٥].

والقرآن مليء بهذا، بترغيب وترهيب، فتارة يذكر الله أحوال الكافرين ثم يثنيها بحال المؤمنين، وتارة يذكر الله حال المؤمنين ثم يثنيها بحال الكافرين، وبضدها تتبين الأشياء.

سورة النازعات

١٨٧) قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات:٣٤-٤٦].

٣٤ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ أي: إذا وقعت القيامة التي تطم الناس طمًا، وتغطيهم، ولا أحد يخرج منها، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سميت بذلك لأنها تطم عل كل أمر هائل مفظع، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦﴾ [القمر: ٤٦]، وهي من أسماء القيامة، كالواقعة، والحاقة، والقيامة، والساعة، والقارعة.

٣٥ ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره، كما قال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ [الفجر: ٢٣].

٣٦ ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ قُربت وأُظهرت ﴿ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ لمن يبصرها أي: أن النار سميت بالجحيم لأنه شدة تأجج النار، فقُرِّبت وأظهرت وجُليت، يراها الناس يحطم بعضها بعضًا، وفي الموقف عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»، أخرجه مسلم.

وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾ [الشعراء ٩٠-٩١].

وحين يقول اليهود والنصارىٰ: «**عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ**»، متفق عليه عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٣٧﴾ ﴿فَأَمَّا مَن﴾ كان في هذه الدنيا ﴿طَغَىٰ﴾ متجاوزًا مبارزًا لله بالمعصية، وأعظمها الشرك.

﴿٣٨﴾ ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ قدم الدنيا علىٰ الآخرة، وتقديم الدنيا علىٰ الآخرة سبب للحرمان من أجر الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورىٰ:٢٠].

وعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ بِنِصْفِ النَّهَارِ، قُلْتُ: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِشَيْءٍ يَسْأَلُ عَنْهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»، أخرجه ابن ماجه.**

﴿٣٩﴾ ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ هي المستقر والمثوىٰ، وبئس القرار، فلا يستطيع أن يجاوزها إلىٰ غيرها.

يأكل من ضريعها، ويشرب من زقومها، وثيابه من نار كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحج:١٩-٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ القيام بين يدي ربه من المؤمنين الموحدين الطائعين لرب العالمين حيث خاف الله وراقبه، وعمل بمقتضىٰ ذلك، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]

فالله عَزَّوَجَلَّ يعبد بالخوف والرجاء والمحبة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠]

وعند الموت ينبغي للمسلم أن يقدم الرجاء، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ». **أخرجه مسلم.**

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**». **أخرجه مسلم.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**»، **متفق عليه.**

وأما في الدنيا فقال بعضهم: ينبغي أن يقدم الخوف؛ حتىٰ يكون زاجرًا له من المعاصي والسيئات: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر ٢٨]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ﴾ جاهد النفس وزجرها ومنعها، ﴿عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ المخالف للحق؛ لأن الهوىٰ في الغالب يأتي علىٰ خلاف الحق ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ [الفرقان:٤٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص:٢٦].

وسمي هوىٰ؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار.

۝٤١ ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ الجنة هي داره، وقراره وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: «**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**»، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا**

فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، **أخرجه مسلم.**

(٤٢)﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، أي: الكفار، ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متىٰ هي، ولا يعلم ذلك إلا الله كما قال النبي -ﷺ- حين سأله جبريل: «**مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، أخرجه مسلم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾ **[طه:١٥]**، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **[الأعراف:١٨٧]**، وقال: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ **[الأحزاب: ٦٣]**.

ولو كان للناس مصلحة شرعية أو دنيوية في الإخبار بالساعة لربما أخبرهم الله بها، لكن لا مصلحة لهم بالإخبار عنها، وإنما دلهم الله علىٰ ما فيه لهم من المصالح، وأما وقت الساعة فغيبه حتىٰ عن أنبيائه ورسله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ۝٣٤﴾ **[لقمان:٣٤]**.

(٤٣)﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: ليست في شيء من علمها.

📖 **وفي سبب نزولها**: ما أخرجه ابن جرير في "تفسيره"، وخرجه شيخنا مقبل -رَحِمَهُ اللَّهُ في أسباب النزول: عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لم يَزلِ النبيُّ ﷺ يسألُ عنِ الساعةِ حتىٰ أنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾.

وله شاهد عند ابن جرير أيضًا من طريق طارق ابن شهاب قال: "كان رسولُ اللهِ ﷺ لا يزالُ يذكرُ مِن شأنِ السّاعةِ حتّىٰ نزلَت: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾.

والمعنىٰ العام: ما الذي ينفعك إن أخبرناك بموعدها؟ لا تنتفع بشيء، ولا عليك من ذكرها، وإنما خوفهم بخروجها، ويجب عليهم الإيمان بوقوعها.

٤٤ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: منتهىٰ علماها إلىٰ الله، فهو الذي يعلم متىٰ تكون، ولا يعجزه شيء، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ أي: إنما عليك يا محمد، أن تنذر وتخوف من يخشىٰ قيامها فيستجيب.

٤٦ ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ أي: الكفار المكذبين بها، ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا﴾ أي: الساعة، ويعاينون وقوعها، ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ لم يمكثوا في هذه الحياة الدنيا وفي تلك القبور الخوالي وما فيها من الوحشة، ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ من الظهر إلىٰ المغرب، ﴿أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ من الصبح إلىٰ الظهر.

وهذا هو الواقع فعند قرب الموت يشعر الإنسان بأن السنين الكثيرة التي مكثها في الأرض زالت في لحظة عين، وعند البعث: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ **[المؤمنون ١١٢-١١٥]**، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ **[الروم:٥٦]**.

سورة التكوير

١٨٨) قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣
وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ
٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١
وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير:١-١٤].

١ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ ويكون ذلك يوم القيامة حيث أن هذه الشمس العظيمة الواسعة، تكور يوم القيامة فيضم بعضها إلىٰ بعضًا ثم تلقىٰ في النار، كما يقول: كورت العمامة؛ «**أي جمعت**»، وإلقائها في النار هو تبكيت لعبادها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٣].

٢ ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ﴾ التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ زينة للسماء ورجوما للشياطين ﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾ انطمس ضوئها، وسقطت عن أماكنها قيل في جهنم؛ وما يحصل هو بسبب التغير الذي يحصل في العالم العلوي؛ لأن القيامة يلحقها تغيرات:

١- تغير في العالم العلوي من انفطار السماء وتساقط النجوم وتكوير الشمس.

٢- وتغير في العالم السفلي قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ومن أوائل التغيرات في العالم العلوي: طلوع الشمس من مغربها.

ومن التغيرات في العالم السفلي: ما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَتَحَدَّثُ فِي ظِلِّ غُرْفَةٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا السَّاعَةَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ تَكُونَ - أَوْ لَنْ تَقُومَ - السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالدَّجَّالُ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَالدُّخَانُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ، مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ**»، أخرجه أبو داود.

﴿٣﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ﴾ الثوابت الرواسي، ﴿سُيِّرَتْ﴾ أي: زالت عن أماكنها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ **[النبأ:٢٠]**.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ عشار الإبل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تركت وسيبت، **وقيل**: الأرض المعشرة، والذي يظهر أنها النوق؛ لأن العرب كانوا إذا صارت الإبل عشرا أحبوها وانتظروا ولدها، وهي التي تحمل في الشهر العاشر، فتعطل عن الركوب عليها، وتعطل عن الاهتمام بها، بمعنىٰ أن الإنسان شغل عنها: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ **[عبس:٣٧]**..

﴿٥﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ من أسود، ونمور، وجميع حيوان الغاب ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت يوم القيامة عند بارئها، كما قال النبي ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»، **متفق عليه**.

وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ **[الأنعام:٣٨]**، فيجمعون في ذلك الصعيد العظيم، إلا أن الوحوش والحيوان إذا قضي بينها صارت ترابًا بخلاف الإنسان والجان.

٦ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أوقدت بالنار وجمعها؛ لكثرتها، فمنها البحر المحيط، وهو ما يعبر عنه الآن بالمحيط الهادي، والأطلنطي، والهندي، والمتجمد الشمالي، والمتجمد الجنوبي، وهناك أبحر غير محيطه مثل؛ بحر العرب، وبحر قزوين الذي هو البحر الأحمر، والبحر المتوسط وغير ذلك من البحار الكثيرة، هذه البحار تسجر بالنار فتصير لهبًا عظيمًا ويذهب ماؤها.

٧ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: جمع أن كل صنف مع صنفه ونظيره، قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ **[الجاثية:٢٨]**، فاليهود مع اليهود، والنصارىٰ مع النصارىٰ، وعباد الشمس مع عباد الشمس، كما قال النبي -ﷺ-: «**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا**» متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ **[الواقعة:٧-١٠]**.

فيجتمع الناس ويتمايزون، وإذا جالس بعضهم بعضهم، وزوج بين بعضهم بعضًا، يتمنىٰ المجرم لو يكون بعيدًا عن هذا الشرير، كما في حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ**».

٨ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ والمؤدة؛ هي البنت التي كانت تقتل قبل بلوغها، وللكفار طريقان في قتلها:

١- إما أن يقتلوها حين الولادة.

٢- وإما أن يقتلها في سن التمييز.

حتىٰ ذكر أن بعضهم ذهب يحفر لابنته حفرة، وكان التراب يقع علىٰ لحيته، وكانت ابنته تنفض التراب من لحيته ثم يلقيها في تلك الحفرة، وهذا يدل علىٰ غلظ قلوبهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد أعطىٰ الرحمة في قلوب الحيوان، وهؤلاء يقتلون بناتهم، **وكان قتلهم لبناتهم لسببين**:

الأول: الفقر، فربما قتلوا الولد والبنت؛ خوفًا من الفقر.

والثاني: خشية العار، وقراءة الجمهور: ﴿سُئِلَتۡ﴾ فإذا سئل المظلوم فكيف الظالم، وقرأ غير واحد (تسألت) أي: طالبت بدمها.

وكذلك قاتل الموؤدة يسأل عن سبب قتلها، وقد سئل النبي -ﷺ- عن العزل، فقال: «**ذلك الوأد الخفي**».

والصحيح: أن الموؤدة قبل التكليف في الجنة؛ فعن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي - ﷺ - قال: «**وأولاد المشركين في الجنة**»، **أخرجه البخاري**.

وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَخِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّنَا مُلَيْكَةَ كَانَتْ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ هَلَكَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: «**لَا**» قَالَ: قُلْنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ أُخْتًا لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: «**الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ، فَيَعْفُوَ اللهُ عَنْهَا**».

وقد ذهب ابن القيم: إلىٰ أن هذا الحكم خاص بهذه الموؤدة، وذهب المناوي في "فيض القدير": أن الوائدة القابلة، -الموؤدة : الأم-، والله أعلم.

﴿١٠﴾ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ أي: صحائف الأعمال تنشر يوم القيامة، وفيها ما سطر من خير أو شر، فإن الأنسان لا يعمل عملًا ولا يقول قولًا إلا كتب عليه: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق:١٨]، ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ

يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف:٨٠]، ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران:٣٠].

وحين تنشر هذه الصحف منهم من يأخذها بيمينه، ومنهم من يأخذها بشماله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة:١٩]، ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة:٢٥-٢٦]، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء:٧١].

﴿١١﴾ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ﴾ عالية البنيان، عظمية الأركان ﴿كُشِطَتۡ﴾ قلعت وتزحزحت عن مكانها، وتتهدم أركانها، ويطويها الله عَزَّوَجَلَّ بيده: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧].

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ﴾ سميت الجحيم؛ لبعد قعرها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟**»، قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»، **أخرجه مسلم**.

﴿سُعِّرَتۡ﴾ أوقدت، وأظلمت، وجهزت، قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ أي: قربت، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠]، فقربها الله للمؤمنين؛ ليدخلوها ويتمتعون بالنظر إليها، ويستأنسون بوجودها، إذ أنهم يكرمون حين إتيانها.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾، هذا هو الجواب لما تقدم، وذلك حين تكور الشمس، وتنكدر النجوم، وتسير الجبال، وتعطل العشار، وتحشر الوحوش، وتسجر البحار، وتزوج النفوس، وتسأل الموءودة المقتولة، وتنشر الصحف (الدواوين)، وتكشط السماء وتطوىٰ وتذهب، وتسعر الجحيم، وتقرب الجنة عند ذلك: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ علمته ولا تنسىٰ منه شيئًا، كله مسطر في الكتب، والملائكة يشهدون، والإنسان ينظر إلىٰ عمله يمنة ويسرة كما سيأتي عند قوله ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ [الانفطار:٥] أي: ما فعلته، وما لم تفعله، وهذا العلم يُوجب للإنسان الحسرة في الآخرة: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ [المعارج:١١-١٤].

سورة الانفطار

١٨٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الإنفطار: ١٣-١٩].

(١٣) ثم أخبر بحال الناس في الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ وهم المؤمنون الموحدون الذين لزموا البر في أقوالهم وأفعالهم: ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ يوم القيامة، وهي جنة عدن يتنعمون بأنواع النعم من المآكل، والمشارب، والزوجات قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

(١٤) ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الكفار سمو بذلك لفجورهم بمخالفة أمر الله جل جلاله: ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ في عذاب أليم يوم القيامة.

(١٥) ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ تُحرق أجسادهم، وتُنغص حياتهم كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [الأعراف: ٤١]، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٢٢﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢] أسأل الله السلامة.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ لا يغيبون عنها ولا تغيب عنهم: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ٢٢].

﴿١٧﴾ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعظيم لشأن ذلك اليوم العظيم، يوم القيامة، ما أدراك ما يوم القيامة، ما أدراك ما يوم الجزاء.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ تأكيدًا لهذا التعظيم.

﴿١٩﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يملك الأب للابن، والزوجة للزوج، والصاحب للصاحب نفعًا ولا ضرًا، بل إن نفسك لا تملك لنفسك شيئًا، فلا تستطيع أن تقدم أو تأخر إلا ما كان قد قدمته في الحياة، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، يكرم المؤمنين بالجنة، ويهين الكافرين بالنار ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة والعافية.

سورة الانشقاق

١٩٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ⑭ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ⑮﴾ [الانشقاق:١٠-١٥].

⑩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ الكفار، يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم بشمائلهم، وهو معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ㉕﴾ [الحاقة:٢٥]؛ لما فيه من الأعمال السيئة الدالة علىٰ فساد ظاهره وباطنه.

⑪ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ يدعو علىٰ نفسه بالويل والثبور، والحال كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ⑭﴾ [الفرقان: ١٤] ادعوا علىٰ أنفسكم بالهلاك الكثير، فلن يستجاب لكم، ويخلَّدون في نار جهنم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ﴾ [فاطر:٣٦].

⑫﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يُلقىٰ في النار تحيط به من جميع جوانبه والله المستعان، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النساء:٥٦].

⑬وسبب الخزي الذي هو فيه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ فرحًا فأمن مكر الله عَزَّوَجَلَّ، والله يقول: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ⑨⑨﴾ [الأعراف: ٩٩]، أمن في الدنيا فخاف في الآخرة، والمؤمن خاف في الدنيا فأمن في الآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑥② ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ⑥③﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وعند ابن حبان: عن أبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي ﷺ عَن الله سُبْحَانَهُ أَنه قَالَ: «**وَعِزَّتِي لَا يجْتَمع على عبد خوفان وأمنان: إِذا خافني فِي الدُّنْيَا أمنته يَوْم الْقِيَامَة، وَإِذا أمنني فِي الدُّنْيَا أخفته يَوْم الْقِيَامَة**».

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ﴾ أي تيقن؛ لأن الظن يأتي بمعنىٰ اليقين، ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ أن لن يرجع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، كان مستيقنًا بذلك، بل كان يستبعد الرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [السجدة:١٠].

﴿١٥﴾ ﴿بَلَىٰٓۚ﴾ إنه سيرجع، وزد علىٰ ذلك: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾ كان به عليمًا مطلعًا علىٰ جميع أعماله، زد علىٰ ذلك أن الله قد وكَّل ملائكة يكتبون ما عليه: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف:٨٠].

سورة المطففين

١٩١) قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾

[المطففين:٧-١٧].

۝٧ ﴿كَلَّآ﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ ما يكتب من أعمالهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ وسجين أسفل النار كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين:٥].

وفي حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «..**اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا**». **ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] "»، **أخرجه أحمد**، وسمي سجين؛ لأنه سجن للكفار وبئس القرار.

۝٨ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ تعظيم لهذا الأمر الذي سيقعون فيه

۝٩ ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب في كتاب مرقوم، وليس معناه أن سجين هو الكتاب المرقوم.

۝١٠ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ إخبار بما يلحق الكفار يوم القيامة من الخزي والنكال والعذاب الأليم.

۝١١ ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يكذبون بيوم الجزاء والبعث والنشور؛ وذلك لأنهم يزعمون أن لا حياة بعد الموت.

﴿١٢﴾﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ أي: بيوم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ متعد لشرع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، أثيم في قوله وفعله، من الإثم الذي يتعاطاه وأعظمه الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، والتكذيب بالبعث والنشور وغير ذلك.

﴿١٣﴾﴿إِذَا تُتۡلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ آيات القرآن ووحي الرحمن، ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ هذا كتب مسطورة مكتوب عن الأمم السابقة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان:٥]، وقالوا ذلك مكابرة، وإلا فإنهم يعلمون بعد رسول الله ﷺ عن ذلك.

﴿١٤﴾﴿كَلَّاۖ﴾ حقًّا، أو أنها للزجر والردع، ﴿بَلۡۜ﴾ السبب الذي أوصلهم إلىٰ ذلك: ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ حصل الران علىٰ قلوبهم، وهو ما يغطي القلوب ويغلفها ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ بسبب الذنوب والمعاصي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ:** ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾» **أخرجه الترمذي.**

فتغطىٰ قلوبهم بالسواد حتىٰ لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا إلا ما أشرب من هواها.

وتأمل هذا فيمن حولك، إذا كان الإنسان من المبادرين إلىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ إذا وقعت منه المعصية يجد ثقلها ويجد حسرتها، ويبادر إلىٰ الاستغفار منها؛ ليستريح، وإذا كان العكس تقع منه المعصية ويفرح، ويستبشر بها، والله المستعان.

وفيه: دليل علىٰ أن صلاح البدن عائد إلىٰ صلاح القلوب، كما قال النبي -ﷺ-: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

وفيه: دليل علىٰ أن الأعمال تؤثر علىٰ الإيمان، فإن هؤلاء ضعف إيمانهم وقل نصيبهم؛ بسبب ما يكسبونه من الأعمال السيئة، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾ [آل عمران: ١٨٢].

١٥ ﴿كَلَّآ﴾ حقًا ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ إن المكذبين الذين تقدم ذكر أوصافهم يوم القيامة عن ربهم لمحجوبون، لا يرونه.

❁ وبهذه الآية استدل الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على أن المؤمنين يرون ربهم، فقد أخرج اللالكائي، عن الربيع بن سليمان قال: "حضرت محمد بن إدريس الشافعي، جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾، قال الشافعي: "فلما حجبوا هؤلاء في السخط، كان هذا دليلا على أنه يرونه في الرضا. قال الربيع: قلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم به أدين الله".

❁ وبهذا احتج من احتج من أهل السنة أن الحجب لا يكون إلا بعد رؤية، وذهبوا إلى أن كل من في الموقف يرى الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يحتجب عن الكفار.

ودليل ذلك: حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَىٰ الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا

وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ

مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا »، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

وعموم أدلة اللُّقِيِّ فإن اللُّقِيّ لا يكون إلا مع الرؤية.

١٦ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: بعد المحشر وما يلحقهم فيه من الخزي، واللعن، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود:١٨]، يدخلون الحميم، فيصلون الجحيم ويعذبون فيها.

﴿١٧﴾﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ علىٰ سبيل التبكيت والتحقير والإهانة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الآية الأخرىٰ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان:٤٩-٥٠]، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: أن هذا العذاب والخزي الذي أنتم فيه ما كنتم تكذبون به في الدنيا وتستبعدون وقوعه.

سورة البروج

١٩٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج: ١٠].

١٠ **ثم قال** عَزَّوَجَلَّ **متوعدًا أهل الإجرام**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ عذبوا ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بالتحريق والرد عن دينهم، ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ من هذا الأمر العظيم، **قال الحسن**: " ما أحلم الله؛ يقتلون أولياءه ثم يدعوهم إلىٰ التوبة ".

وفي هذا دلالة علىٰ عظم التوبة؛ لأنها مكفرة للذنوب والمعاصي والسيئات، فإن من تاب إلىٰ الله تاب الله عليه وأبدل سيئاته حسنات، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقد أحرقوا المؤمنين وعذبوهم ونكلوا بهم، فأخبر أنهم لو تابوا تاب عليهم وارتفعت عنهم المطالبة والمؤاخذة.

﴿فَلَهُمۡ﴾ أي: من مات علىٰ كفره وعناده وظلمه يوم القيامة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان، ولا سواء؛ فإنهم أحرقوا المؤمنين بنار ضعيفة ويحرقون بنار قوية تزيد عليها بتسعة وستين جزءًا، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»** قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»**، **أخرجه مسلم**.

سورة الأعلى

١٩٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى: ١٢-١٣].

۝١١﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ يتركها ولا ينتفع بها ﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾ الشقي بكفره فيشقي في الدنيا بقسوة القلب وفساد العيش وغير ذلك من المصائب التي تلحقه، ويلحقه الشقاء في القبر وعذابه فيه والشقاء في الآخرة.

۝١٢﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ أي: يوم القيامة **وقيل**: بأن النار الصغرى نار الدنيا، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ - قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ، قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِيَسِيرٍ، فَوَقَفَ عَلَىٰ مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي، فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ، وَالْجَنَّةَ، وَالنَّارَ، فَقَالَ: ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ، أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فُلَانُ، تَرَىٰ هَذَا كَائِنًا، أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَىٰ دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ، وَنَارٌ، يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَوَدَّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا يُحَمُّونَهُ، ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ، فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ، وَالْيَمَنِ، قَالُوا: وَمَتَىٰ تُرَاهُ ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ ؛ يُدْرِكْهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللهِ، مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ يَا فُلَانُ، أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَيْسَ بِهِ "، **أخرجه أحمد**.

فهي نارٌ كبيرةٌ عظيمة، قعرها بعيد وحرها شديد، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**»، قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**». **أخرجه مسلم**.

﴿١٣﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ لا يتنعم بحياة ولا يرتاح بموت: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ **[الزخرف ٧٧]**.

وقال الله في حق المؤمن: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ **[الدخان ٥٤-٥٧]**، وفي المقابل قال في حق الكافر: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ **[فاطر:٣٧-٣٦]**

❁ وهذا من الأدلة على أبدية النار وخلودها أعاذنا الله منها، وهذا في حق الكافر، وأما من دخلها من أهل الإسلام فإنه يخرج منها.

فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، **أخرجه مسلم**.

سورة الغاشية

١٩٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾ [الغاشية:١-٧].

(١) يقول الله عَزَّوَجَلَّ لمحمد -ﷺ-: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ ذهب جمع من المفسرين إلىٰ أن المعنىٰ: قد أتاك حديث الغاشية، أي خبر الغاشية، وهو من أسماء يوم القيامة علىٰ قول لأهل العلم، كما أن الله عَزَّوَجَلَّ سماها القارعة، والحاقة، والواقعة.

وسميت غاشية؛ لأنها تغشىٰ الناس، وقيل بأنها إسم للنار وبئس القرار، سميت بالغاشية؛ لأنها تغشىٰ الكفار بحرها وما فيها من الخزي والبوار، نعوذ بالله من شرها، قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ [الأعراف:٤١].

(٢) ﴿وُجُوهٞ﴾ ذكر الله الوجوه؛ لأنها أكرم ما في الإنسان، فالإنسان في هذه الدنيا يحرص علىٰ وجهه أن يشوبه شيءٌ من الأذىٰ، وفي ذلك اليوم يعذب الكافر ابتداءً بوجه ﴿يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة حقيرة من حيائهم من ربهم إذ لم يمتثلوا شرعه ودينه، ومن خزيهم بين العالمين، ومما يقدمون عليه من العذاب المهين، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: تخشع، ولا ينفعها عملها.

(٣) ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ **قال بعض أهل العلم**: الآية في شأن الكفار الذين يعبدون الأصنام والأوثان، فيعملون في الدنيا وينصبون ويتعبون، ومع ذلك يعذبون في الآخرة، وقال بعضهم بأنها في اليهود والنصارىٰ، وروي عن عمر ولا يثبت: أنه مر علىٰ راهب في صومعة فناداه، فلما خرج بكىٰ عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه ممن علمت، فقال: إنما ذكرت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣﴾ [الغاشية:٢-٣]، عاملة في الدنيا وتنصب ومع ذلك تعذب في الآخرة.

وقيل أن المعنىٰ: بأن أهل النار يعملون في النار، فيعالجون السلاسل التي يربطون بها، والحميم، وما هم فيه من العذاب الأليم، فيعملون وينصبون ويتعبون.

وقيل بأنها في حق من يعصي الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا، عاملة في الدنيا بالمعاصي والسيئات والكفريات والشركيات، وناصبة في الآخرة يلحقها النصب والعذاب الأليم في النار وبئس القرار.

﴿٤﴾ ﴿تَصۡلَىٰ﴾ تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةٗ﴾ أي: نار شديدة الحر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥﴾ [النبأ:٢١-٢٥].

فهذه النار يصلاها الكفار تغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جميع جوانبهم، أكلهم النار ولبسهم النار وشرابهم النار، نعوذ بالله من حرها وسمومها.

﴿٥﴾ ﴿تُسۡقَىٰ﴾ تشرب ﴿مِنۡ عَيۡنٍ﴾ ماءٍ ﴿ءَانِيَةٖ﴾ أي: انتهىٰ حرها وغليانها فبلغت بالحر منتهاه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ﴾ [الكهف:٢٩]. لكن بماذا؟ ﴿بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف:٢٩].

﴿٦﴾ ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾ الزقوم، ولما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ شرابهم، وأنه الحميم، أخبر عن طعامهم وأنه الزقوم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٨]، والضريع شجرة في الحجاز يسميها أهل مكة الشبرق، كانت تأكلها الإبل اذا كانت طرية، أما إذا صارت ضريعًا لا يأكلها شيءٌ من الدواب ولا ينتفع بها أحد من الناس؛ لأنها كثيرة الشوك والأذىٰ.

وقيل: سمي ضريع؛ لأنهم إذا أكلوه تضرعوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في رفعه عنهم، والمعنىٰ الأول عليه جماهير العلماء: أنهم يأكلون طعامًا سيء في منظره، سيء في أكله، سيء في حاله.

⑦ ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ يعني: لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور، فلا تسمن منه أجسامهم، ولا يذهب به جوعهم، بل يعذبون بالجوع والعطش مع ما هم فيه من العذاب الأليم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة والعافية.

١٩٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية:٢١- ٢٦].

㉒ثم قال لمحمد ﷺ، وهو أمر لكل داعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ بخطبتك، ودعوتك، الناس بما لهم عند الله، وخوفهم ورغبهم، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ مبلغ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢﴾[النحل:٨٢]، وليس عليك الهداية، وليس منك التوفيق، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص:٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [فاطر:٨].

وهذه تسلية لمحمد -ﷺ-، لأنه كان يذكر الكفار، وربما شق عليه حين يجد إعراضهم، رموه بالحجارة، وطردوه، وهموا بقتله.

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية:٢١-٢٢]. " أخرجه مسلم.

فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي له الأمر أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وأما الداعي والمدعو فحاله كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢﴾ [الأعلى:٩-١٢].

﴿٢٢﴾ ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: لست عليهم بجبار، وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم على الإيمان، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ: «**كُلُّ أُمّتي يَدْخُلُونَ الجنَّةَ إلا مَنْ أَبَى**» قَالُوا: يَا رَسولُ الله! وَمَنْ يَأبى؟ قَالَ: «**مَنْ أطَاعَني دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى**». **أخرجه البخاري**.

﴿٢٣﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الذكر ﴿وَكَفَرَ﴾ بالله، وحارب الله ورسوله ﷺ.

﴿٢٤﴾ ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة، ﴿ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ في نار وقودها النار والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يُرحم من دخلها للخلود يُكسون، ويلبسون من النار، ويفرشون من النار، ويضربون بالنار، ويشربون النار، ويأكلون النار نعوذ بالله منها.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ مرجعهم، فالجميع، من المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار رجوعهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة:٢٨١].

﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ أي: يحاسبهم الله عَزَّوَجَلَّ على أعمالهم ولو كانت مثاقيل الذر في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويجازون عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

سورة الفجر

١٩٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر:٢٢- ٢٣].

﴿٢٢﴾﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء بين العباد.

وفيه: إثبات صفة المجيء لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ [الأنعام:١٨٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان:٢٥-٢٦].

﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ أي وجاء معه الأملاك، ﴿صَفّٗا صَفّٗا﴾ صفوفًا كثيرة، يحيطون بالمخلوقات المحشورة.

﴿٢٣﴾﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ بالنار تجر وتقرب من أهلها، فعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**». **أخرجه مسلم**، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء:٩٠-٩١].

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ كل الأعمال التي عملها، من تفريطه في الطاعة، ومن ارتكابه للمعصية، وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكر الإنسان كل أعماله من خير وشر ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ لا تنفعه الذكرىٰ عندئذ كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

﴿٢٤﴾ ﴿يَقُولُ﴾ الإنسان الظالم لنفسه متحسرًا: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الأعمال الصالحة التوحيد والصلاة والصيام، وجميع أنواع الطاعات والقربات ﴿لِحَيَاتِي﴾ الحياة الأبدية حياة الآخرة، فيقول: يا ليتني قدمت لها ما يكون سببًا في حصولها على الوجه الأكمل ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ **[العنكبوت:٦٥]**.

وعن عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ،وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**». **أخرجه البخاري**.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ذَبَحُوا شَاةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَقِيَ إِلَّا كَتِفُهَا؟ قَالَ: «**كُلُّهَا قَدْ بَقِيَ إِلَّا كَتِفَهَا**»، **متفق عليه**.

سورة البلد

١٩٧) قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [البلد: ١٨-٢٠].

١٨﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من تقدم ذكرهم ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أصحاب الجنة الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾ [الواقعة:٢٧-٣٨]. ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١]، سموا بأصحاب اليمين؛ لأنهم يأخذون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة، وفي الدنيا يقدمون اليمين في كثير من شؤونهم.

«وكان ﷺ يعجبه التيمن في كل شيء»، متفق عليه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فصفة اليمين صفة لأهل الإسلام، وصفة الشمال صفة لأهل الإجرام.

١٩﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الذين جحدوا الآيات وكذبوا بها وردوها وأبوها وأعرضوا عنها: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ فهم أصحاب الشمال في دنياهم وأخراهم، حتى في قيامتهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ [الحاقة:٢٥-٢٧].

٢٠﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ﴾ شديدٌ حرها بعيدٌ قعرها ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ مغلقة قد أغلقت وأطبقت عليهم أبوابها، زد علىٰ ذلك أنهم في عمد ممددة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۢ ٩﴾ [الهمزة: ٨- ٩].

سورة الليل

١٩٨) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [الليل: ٨-١٨].

۝٨ وبعد أن ذكر صنف أهل الإيمان ثناه بأهل الإجرام فقال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ بخل بما أوجب الله عليه، فبخل بالزكاة المفروضة، وبالنفقات الواجبة، وبخل علىٰ نفسه بالطاعات فلم يأتِ بالصلاة والصيام، وقبل ذلك التوحيد وغير ذلك مما أوجب الله عليه، واستغنىٰ عن الله، وإن كان لا يستطيع أن يستغني عن الله في الواقع، لأن ما من مُخلوق إلا وهو فقير إلىٰ الله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر:١٥]، ولكنه يتكبر ويتجبر، ويظهر أنه مستغني عن الله، والله هو الغني الحميد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا يضره أعراض المعرضين ولا تكبر المتكبرين.

فما عساك أيها الإنسان إن أعرضت، فإذا نظرت إلىٰ من حولك أنت فرد في أسرة، في مجتمع، في دولة، أنت لا تستطيع أن تعيش إلا بمن يعينك علىٰ هذه الحياة، تحتاج إلىٰ زوجة وولد ودكان وحمام وغرفة نوم وسيارة وغير ذلك، أنت فقير، فلا تستطيع أن تستغني عن الله، لكن إذا استغنىٰ ورأىٰ نفسه متكبر جازاه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ سوء فعله.

۝٩ ۝١٠ ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: كذب بالتوحيد، أو كذب بالوعد، أو كذب بالجنة، علىٰ المعاني السابقة: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ يجعله الله عَزَّوَجَلَّ في عسر في جميع شأنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه:١٢٤]، وبعد مماته ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤]، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١]

وكذلك تعسر عليه أعماله، فالدين يُسر والبدعة عُسر، والتوحيد يُسر والشرك عُسر، والطاعة يُسر والمعصية عُسر، لكن كثيرًا من الناس لا يفقهون، يتتبعون شهواتهم وأهواءهم.

فإذن أمور الدين الموافقة لشرع رب العالمين مبنية علىٰ اليسرية، ومُخالفة الإسلام، والسنة مبنيًا علىٰ العسرية.

ومعنىٰ الآية: أن الله يخذله عن طاعته، وليس معنىٰ ذلك: أن الله عَزَّوَجَلَّ يُعينه ويوفقه ويسدد، لا، المشرك لا يوفق ولا يسدد، والعاصي لا يوفق علىٰ معصيته ولا يسدد، بل يُخذل، ويسلط الله عليه شيطانه وهواه ونفسه، فيقع فيما وقع فيه من الضلال البعيد، بينما المؤمن يُعان من الله؛ ولذلك كان من دعاء النبي -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ**»، **أخرجه النسائي عن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» **أخرجه أحمد عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وفي هذه الآيات: الإيمان بالقدر.

ففي "الصحيحين": عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٦]، إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ١٠]».

⑪ثم يقول تعالىٰ مبينا ضعف المتكبرين: ﴿وَمَا يُغْنِي﴾ يدفع ﴿عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ من خدم وأبناء وأنعام ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ إذا هلك ولقي ربه وألقي في النار، وإنما الذي ينتفع به العبد يوم القيامه العمل الصالح إذا قبله الله عَزَّوَجَلَّ.

١) وقبول العمل مبني على شرطين:

١- الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- والمتابعة لرسول الله -ﷺ-.

فانظر لنفسك أيها المسلم قبل أن تتردىٰ، ولا تجد من يُعينك في ذلك الأمر الذي وقعت فيه، قال النبي -ﷺ-: «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**»، **أخرجه الشيخان عن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

⑫﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ يقول الله عَزَّوَجَلَّ الذي علينا: أن نهدي الناس، ونبين لهم طريق الخير من طريق الشر والضير.

۞ والهداية أنواع:

١- هداية التوفيق وهذه خاصة بالله **عَزَّوَجَلَّ**، ويعطيها الله **عَزَّوَجَلَّ** للمؤمنين الموحدين الطائعين.

٢- وهداية الدلالة والإرشاد، وهي عامة فإن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ لهداية الناس، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢]، ومعنى الآية: بيان طرق الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء:١٥].

⑬﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ﴾ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: وإن لنا الآخرة، فنجازي المؤمنين بإحسانهم، ونجازي الكافرين بإجرامهم، فيخلد المؤمنون في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، ويخلد الكافرين في نار أُعدت للكافرين، ﴿وَٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا.

وفيها معنىٰ عجيب: إذا كانت الآخرة لله والأولىٰ لله، فلماذا تكون علىٰ غير مراد الله؟!

﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ﴾ خوفتكم ﴿نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ نارًا ملتهبة مُحرقه، نسأل الله أن يجنبنا وإياكم من حرها وسمومها.، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة:٧٢]، مسكنه النار: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء:٥٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾ [النبأ:٢٤-٢٦].

والنبي -ﷺ- كان يقول «**أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ**»، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ رَجُلٌ كَانَ فِي أَقْصَىٰ السُّوقِ، سَمِعَهُ، وَسَمِعَ أَهْلُ السُّوقِ صَوْتَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، **أخرجه أحمد عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فهي نارٌ مُحرقة حرها شديد، وقعرها بعيد، ومن استغاث فيها أُغيث، لكن بماءً كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مُرتفقا، ماذا تقول في وصفها أبلغ من ما وصفها الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر:٣٦-٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦].

﴿١٥﴾﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ﴾ لا يدخلها فيخلد فيها ﴿إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ الكافر، وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾ [الأعلى:١٠-١٣]، وأما المسلم إذا دخلها لذنب اقترفه أو بسبب تفريطه، فإنه يخرج منها بعد ذلك، وفي حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَقِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**». أخرجه مسلم.

﴿١٦﴾وهذا الأشقى هو ﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ﴾ بآيات الله الشرعية، وربما وقع منه التكذيب أيضًا بالآيات الكونية، لكن أغلب الناس يُؤْمِن أن الله هو الخالق الرزاق المالك المدبر لهذا العالم ولكنه يكفر ويكذب بآيات الله الشرعية، التي هي القرآن والسنة.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الكتاب والسنة علمًا وعملًا، وكل متولي له حظه من الآية، فبعضهم يتولى توليًا كليًا كالكافرين، وبعضهم يتولى توليًا جزائيًا كعصاة المسلمين، فينبغي للمسلم أن يحتاط لنفسه.

﴿١٧﴾ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يسلم من النار التي تلظى، وينجو منها ﴿ٱلۡأَتۡقَى﴾ الذي يفعل المأمور ويترك المحظور.

٢) فالتقوى لها حدان:

الحد الأول: فعل المأمور.

والثاني: ترك المحظور.

قال النبي -ﷺ-: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» **متفق عليه عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإذا اجتمعت مع البر: فالبر الطاعة، والتقوىٰ ترك المعصية.

⑱والأتقىٰ هو: ﴿ٱلَّذِي يُؤْتِي﴾ يعطي ﴿مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ ينفق في سبيل الله، ليزكي نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

فمن معاني الزكاة أنها تزكي المال، وتنميه وتصفيه، وكذلك تزكي الأنفس عن البخل والشح والطمع وغير ذلك.

وذكر الله المال في هذه الآيات قبل الصلاة مع أن الصلاة أوكد في الفرض؛ لأن المجتمع المسلم في بداية إسلامه كان فقيرًا، يحتاج إلىٰ الإعانة والتكاتف والتعاون، ولأن الكفار كان قد انتشر عندهم الرباء والبخل وغير ذلك، فأراد الله تمييز المسلمين في سعة الإنفاق والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

سورة التين

١٩٩) قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥].

۝﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ﴾ أرجعناه ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ **الصحيح**: أنها النار فرد الله الكافر إليها، وبئس القرار، ولم يسلم من العودة إلا خلص المؤمنين؛ ففي حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة الفاجر والكافر: «**فَيَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا**»، فبعد أن كان معظمًا في الدنيا مبجلًا محترمًا صار في أسفل سافلين، عن عبدالله بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ؛ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ**». أخرجه أحمد وسنده حسن: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ [النساء ١٤٥]، أي: معينًا وظهيرًا.

وقيل: إلىٰ أرذل العمر، لكن هذا القول لا يستقيم؛ لأن كثيرًا من المؤمنين يصابون بأرذل العمر، وربما وقع لهم الهرم وعادوا إلىٰ ضعف الحال، ويرميهم الأطفال بالبعر، ويضحك عليهم النساء والولدان.

سورة العلق

٤٠٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العلق: ١٨].

۝١٨ ﴿سَنَدْعُ﴾ سنأمر بإهلاكه ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ أي: خزنة النار؛ لتأديبهم ومنعهم من باطلهم، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه شيء لكنه يربط الأسباب بمسبباتها، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

وهذا الوعيد لو أنه وقع من أبي جهل لسلط الله عليه الزبانية ولكنه رجع بعد أن رأىٰ هولًا وخندقًا وأجنحة، فقال النبي -ﷺ-: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**».

سورة البينة

(٢٠١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

﴿٦﴾ثم قال عَزَّوَجَلَّ مخبرًا بحال الناس مع هذا الدين: من أنهم انقسموا إلىٰ قسمين لا ثالث لهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي سيكون مآل من اليهود والنصارىٰ، ومن إليهم من عباد الأوثان والأصنام ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ خلود لا خروج بعده، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف:٧٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [آل عمران:١٩٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النساء:٥٦].

وقد جاء مبينًا في غير هذا الموطن: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ وما جاء أن النار تفنىٰ فقول ضعيف، فالنار لا تفنىٰ ولا تبيد، والجنة لا تفنىٰ ولا تبيد، خلقهما الله عَزَّوَجَلَّ للبقاء لا للفناء، وهذا هو معتقد أهل السنة قاطبة من أن الجنة والنار موجودتان الآن وأنهما لا يفنيان ولا يبيدان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ ومن إليهم من المشركين ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أشر من القرود، والخنازير، والكلاب، ومن كل شر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

فلا تغتر أخي المسلم بيهودي، أو نصراني، أو مجوسي، أو عابد وثن أو صنم مهما علت رفعته، مهما كثرة أمواله، مهما تنوعت صناعاته: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم:٧].

وليكن فرحك بالمسلم وإن قل ماله، وحصل منه ما حصل، فإن الإسلام دين العزة، والمكنة، والرفعة، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا ؟**»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا ؟**». فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»، **أخرجه البخاري**.

سورة القارعة

٤٠٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٨-١١].

۝٨ ۝٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ لكثرة المعاصي والسيئات، ومن أشدها الشرك، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ **لها معنيان:**

المعنىٰ الأول: أنه يسقط علىٰ رأسه في النار، وهذه مصيبة عظيمة، أن الإنسان يهوي علىٰ رأسه في النار، ومعلوم أن النبي -ﷺ- سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»، أخرجه مسلم.

والمعنىٰ الثاني: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ أي: صارت له النار كالأم إذ لا مأوىٰ له غيرها.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ**»، أخرجه النسائي.

۝١٠ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ أي: الهاوية، وهذا لتعظيم شأنها.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ ⑪ نار شديدة الحرارة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. قَالَ: «**فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»، **أخرجه البخاري**.

وانظروا إلىٰ شده حرارتها وعظيم خطرها، ولو عذب الناس بها لكفتهم وأحرقتهم، وأوجعتهم، ولكن مع ذلك هذه النار ليست بشيء أمام تلك النار، شديدة الحرارة، مظلمة الحال، وكل ما فيها حار: كالزقوم والحميم وغير ذلك مما يقع فيه الناس.

ففي هذه السور من الوعد والوعيد ما يكون دافعًا للإنسان إلى التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغفار مما بدر منه، وملازمة الطاعة حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ.

سورة التكاثر

٤٠٣) قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾ [التكاثر:٦-٨].

① ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ شغلكم ﴿التَّكَاثُرُ﴾ بجميع شؤون الدنيا عن الآخرة التي هي دار البقاء والقرار، والسعادة فيها لا تكون إلا بعمارة الدنيا بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وطاعته، وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾.

وكم من إنسان أفسده التكاثر، هذا يفسد عن طريق الحق؛ بسبب مالٍ، وآخر بسبب ولد، وثالث بسبب زوجةٍ، وآخر بسبب أصحابه، فما لم يكن مبلغًا لك إلىٰ سعادة الدارين فكن زاهدًا فيه.

② ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: زيارة الموت لا الزيارة المعهودة من الذهاب إلىٰ المقبرة والنظر إليها، فكم من إنسان يأتي المقبرة وهو غافل، ولاهٍ عن حالها، مع أن زيارة القبور سبب لتذكر الموت.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**». **أخرجه مسلم.**

ومما يدل علىٰ ما ذكرت: حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**». فَقَالَ لَهُ: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**». قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ – أَوْ تَثُورُ – عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَنَعَمْ إِذَنْ**»، **أخرجه البخاري.**

والشاهد: قوله: «**تُزِيرُهُ الْقُبُور**» فالزيارة التي يعرف الإنسان أنه كان مفرطًا قبلها هي زيارة الموت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون:١٠].

فأنت الآن في فسحة تستطيع العمل، فلا تمهل حتىٰ إذا بلغت الحلقوم تمنيت الرجوع، بل إن المؤمن إذا بلغت الحلقوم تعجل المضي فيما هو فيه، فإن النبي -ﷺ- حين كان في سكرات الموت جعل يرفع إصبعه ويقول: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**»، **متفق عليه**.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله- ﷺ-: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «**لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» **أخرجه مسلم**.

وسبب محبة المسلم للقاء الله؛ أنه يبشر بروح وريحان، ورب راض غير غضبان، وسبب كراهية الكافر للموت عند ذلك؛ أنه يبشر بسخط من الله وغضب.

والمقابر: جمع مقبرة وهي ما يوارىٰ فيها الناس عند موتهم.

۞ واستدل بهذه الآية على عذاب القبر.

وفيها حديث: قال الترمذي (٣٣٥٥)- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ الرَّازِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ الحَجَّاجِ، عَنْ المِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: " مَا زِلْنَا نَشُكُّ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَتَّىٰ نَزَلَت: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ "، قَالَ

أَبُو كُرَيْبٍ، مَرَّةً عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنِ المِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، : «**هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ**».

❁ والأدلة على إثبات عذاب القبر متواترة: منها: ما في القرآن والسنة الصحيحة، فمن القرآن: قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ ...﴾: وهو الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ

❁ قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٩٩): قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر.

❁ وقال غيره: وقع ذكر عذاب القبر في هذه الآية مفسرًا؛ لكنه حجة على من أنكر عذاب القبر. اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ۝٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٧﴾ **[الطور: ٤٥-٤٧]**.

❁ **قال في شرح الطحاوية**: وهذا يحتمل أن يراد به القتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثير منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو أن المراد أعم من ذلك. اهـ

وقد بوب البخاري في صحيحة: (باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

❁ **قال الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الآية الأولىٰ (٣/ ٢٩٩)**: وهذا وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة، يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله. وفي تفسير الآية الأخرى قال: روي عن الحسن من طريق محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

❁ **وقال الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الطبراني بعد أن ذكر اختلافًا**: والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع، أو السبي، أو الإذلال أو غير ذلك. اهـ

وقول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال الإمام البخاري رحمه (٤٦٩٩): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧] نزلت في عذاب القبر.

وقال ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ كما في «أهوال القبور» (٥٨): وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١]، وأقول: عذاب القبر يدل عليه في هذه الآية أيضًا: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤]. واستدل كذلك ابن القيم في كتابه «الروح» بهذه الآية علىٰ النعيم والعذاب في القبر.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابة «الروح» ومنها: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة:٢١].

وقد أحتج بهذه الآية جماعة منهم: عبد الله بن عباس علىٰ عذاب القبر. اهـ

وقال ومنها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٢٩].

۞ قال: وقد أختلف السلف متى يقال لها ذلك فقال طائفة: يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي تجردت عن البدن، وخرجت منه، وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره: «**فيقال لها: أخرجي راضية مرضيًا عنك**»، ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩﴾ [الفجر:٢٩] مطابق لقوله: «**اللهم الرفيق الأعلى**». اهـ

وقد استدل بعضهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١-٢]، لكن من باب الفائدة الحديث الذي أخرجه الترمذي برقم(٣٣٥٢) من طريق حجاج بن أرطأة، عن المنهال، عن زر بن حبيش، عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتىٰ نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١-٢]، ضعيف.

حجاج ابن أرطأة الراجح: ضعفه. والمنهال بن عمرو: لم يسمع من زر كما في «**التهذيب**».

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه:١٢٤]، استدل بها على عذاب القبر، والدلالة ما سيأتي في حديث أبي هريرة عند الحاكم، وابن حبان، وابن جرير وغيرهم، وسيأتي بطوله في باب استطراد في ذكر عذاب القبر.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون:١٠٠]، **قال ابن كثير** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد ذكر الآية**: **تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ**. اهـ من كتابي "تنبيه أولي الأبصار".

٣ ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ إذا زرتم المقابر زيارة الموت أنكم كنتم في غفلة عن طاعة الله.

٤ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تأكيد لعلمهم للحال الواقع، ولكنه علم لا يستفيدون منه؛ علم جاءهم في الوقت الذي لا يستطيعون الرجوع فيه.

وأما أهل الإيمان فهذا عندهم، مذكور في كتاب ربهم وفي سنة نبيهم -ﷺ-، وأجمع عليه السلف، فهم يؤمنون بالقبر وما فيه من النعيم والعذاب، ويؤمنون بالبعث والنشور؛ ولذلك يبادرون بالطاعات والقربات، ويمتثلون شرع الله، وتوحيده، بخلاف الكافر، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم:٧٧-٨٦].

﴿٥﴾ ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ علمًا يقينيًا لا شك فيه.

﴿٦﴾ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ أي: يقع لكم علم اليقين حين رؤية الجحيم، لكن هذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ **[الأعراف:٥٣]**.

وسميت جحيم؛ لأنها توقد بالجمر، نسأل الله السلامة.

﴿٧﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ النار ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ وهذه هي أكبر أنواع الرؤى، أن الكافر يرى النار رؤية عين يقين، فيتيقن وجودها، ويتيقن عذابه فيها.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وهذه آية عامة في حق المؤمن والكافر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا، وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»، **أخرجه مسلم**.

وفيها: معنىٰ حديث أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»، **أخرجه الترمذي**.

سورة الهمزة

٢٠٤) قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١-٩].

(١) ﴿وَيۡلٞ﴾ عذاب موجع، وقيل وادي في جهنم، ولا يثبت في ذلك شيء، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ الهمز يكون بالفعال: كغمزة العين، وإشارة اليد، ونحو ذلك.

واللمز يكون باللسان: كالتنقص، والتنابز بالألقاب، والشتم، ونحو ذلك.

وقد ذكر بعضهم عند هذه الآية: أن الله عَزَّوَجَلَّ توعد صنفين مما يتعلق بتعامل الإنسان مع غيره فقد حرم الله أكل مال الناس بالباطل، كما حرم الهمز، واللمز، والاحتقار للغير؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ [المطففين:١-٢]

(٢) ﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ جمع مالًا كثيرًا وعدده، لكن هذا المال لم يغن عنه شيئًا؛ لأنه جمعه من غير حله، واستخدمه في غير حله، والمال كثرته وبال إن كان قد أخذ من الحرام، فإن الإنسان يسأل عنه، ويحاسب عليه، وقد قال بعضهم: "حلاله حساب وحرامه عقاب".

وفي هذا: دليل أن كثيرًا من الناس يبطرون إذا رزقهم الله مالًا، وولدًا، وإذا افتقر ربما تواضع، فإذا أعطاك الله مالًا فهو مِنَّة منه وفضل، فاشكره عليه وأد حق الله تعالىٰ فيه.

(٣) وهذا الهماز اللماز جماع الأموال ﴿يَحۡسَبُ﴾ يظن ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ أي: سبب في خلوده، وما هو إلا وبال عليه.

﴿٤﴾ ﴿كَلَّا﴾ أي: حقًا ليس ماله بمخلد له ولا بنافع له و﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ يلقىٰ ويطرح ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ النار، وسميت حطمة؛ لأنها تحطم من يلقىٰ فيها؛ لشدة حرارتها، وحالها.

﴿٥﴾﴿٦﴾ثم قال معظمًا لشأنها: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ أي: ما تدري ما هذه النار التي تسمىٰ بالحطمة إنها: ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ أضافها إلىٰ نفسه إضافة ملك وتصرف، ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ التي تتقد ولا تنطفئ ولا تخمد.

﴿٧﴾ومن صفاتها أنها هي: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تكشف ﴿عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ القلوب وهذا وصف يبين شدة هذه النار، حيث تصل إلىٰ أفئدتهم، وتحرق الأفئدة والأجسام حية، فيتألم الإنسان ظاهرًا وباطنًا، بخلاف نار الدنيا، فإنها لاتصل إلىٰ الفؤاد إلا وقد أحرقت البدن، وربما لحقه الهلاك.

وبهذا تعلم: أن شأن نار الآخرة غير شأن نار الدنيا، فنار الدنيا من أحرق فيها مات، ونار الدنيا تبدأ بأحراق الظاهر قبل الباطن، بينما نار الآخرة من دخلها لا يموت فيها فيستريح ولا يحيىٰ حياة المنعمين، وهذا في حق المخلدين فيها.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّهَا﴾ هذه النار ﴿عَلَيۡهِم﴾ علىٰ الكافرين ﴿مُّؤۡصَدَةٌ﴾ مغلقة علىٰ أصحابها زيادة في عذابهم، مع أنهم لو تركوا ما فروا:

أين المفر والإله الطالب ... والأشرم المغلوب ليس الغالبُ

﴿٩﴾ ﴿فِي عَمَدٖ﴾ **قيل**: في سلاسل، **وقيل**: في أبواب تغلق عليهم، **وقيل**: بأنهم يوضعون في مثل الصهاريج وتكون ﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾ ملقاة ومطروحة علىٰ الأرض، فهذا وصف عظيم لذلك العذاب، فلو كان في النار يجري جريًا لكان عذابه شديدٌ، فكيف وهو مع ذلك مقيد، ومصفد، ومضيق عليه، نسأل الله السلامة والعافية من هذه النار.

سورة المسد

٢٠٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد: ١-٤].

سبب نزولها: **أخرج البخاري ومسلم**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**»، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ، وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾، وفي قراءة الأعمش: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وقد تَبَّ﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: هلكت ولحقها الخسارة، وفي قراءة الأعمش: (وَقد تَبَّ) أي: تحقق له هذا الهلاك في الدنيا والآخرة.

وأبو لهب هو عبد العزىٰ بن عبدالمطلب، عم النبي ﷺ.

سمي أبو لهب؛ لجمال وجهه وصباحته وكان يؤذي النبي -ﷺ، فعن طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهُ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَىٰ كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّىٰ أَبُو لَهَبٍ، أخرجه الدارقطني.

ولشدة عداوته للنبي -ﷺ- لم ينتفع بقرابة ولم يدخل في دين، بل كان مناصرًا للكفار من غير عشيرته علىٰ النبي -ﷺ-، فأخبر الله أنه هالك وخاسر.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ ما دفع ﴿عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾ شيئًا مما يلحقه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ من الجاه ونحوه أو من التجارة، كلها لم تغن عنه شيئًا، فإذا كان الإنسان علىٰ غير الإسلام، ولا ينتفع بشيء من عمله، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ليست بجاه ولا بمال، إلا إذا كان الجاه والمال في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا﴾ أي: تحيط به نار: ﴿ذَاتَ لَهَبٖ﴾ يخرج منها اللهب.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ وهي أم جميل أَرْوَىٰ بنت حَرْبِ بْنِ أُمَيَّة، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ **قيل**: بأنها كانت تحمل الحطب فتضعه علىٰ باب النبي -ﷺ-، فكان عذابها في النار.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ في عنقها، قال الثَّوْرِيِّ: هُوَ قِلَادَةٌ مِنْ نَارٍ، طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ من ليف، وهو محروق، فتُعذب بهذا الحبل وبالنار.

❁ واحتج العلماء بهذه السورة على جواز جرح أهل البدع والريب، واحتجوا بها على أن النسب لا يفيد صاحبه شيئًا إن لم يكن موحدًا مؤمنًا، والنبي -ﷺ- يقول: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**» متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول -ﷺ-: «**وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» **أخرجه مسلم**.

وفي "الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، وَإِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ**»، يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ وِلَايَتَهُ لَا تُنَالُ بِالنَّسَبِ وَإِنْ قَرُبَ، وَإِنَّمَا تُنَالُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَعَمَلًا، فَهُوَ أَعْظَمُ وِلَايَةً لَهُ، سَوَاءٌ كَانَ لَهُ مِنْهُ نَسَبٌ قَرِيبٌ، أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَىٰ يَقُولُ بَعْضُهُمْ:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَىٰ اتِّكَالًا عَلَىٰ النَّسَبِ
لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبِ

وقد مات أبو لهب علىٰ الكفر، وهذا من دلائل نبوة النبي -ﷺ- إذ أخبر الناس بهذه السورة، ثم كان مآل أبي لهب إلىٰ ما فيها، والله المستعان.

وكان بعض أبنائه زوجًا لابنة النبي -ﷺ-، فطلقها حين بُعث النبي -ﷺ- بالرسالة، وقد أسلم بعضهم وحسنَ إسلامه.

الفهرس

المقدمة ٥
أقسام من يدخل النار ٧
وجود الجنة والنار الآن ١٠
الجنة والنار لا تفنيان ١٦
أشهر أسماء النار في القرآن ٢١
دركات النار ٢٥
فصل ما جاء بذكر العذاب ٢٦
ملخص أوصاف النار والعياذ بالله منها ٢٨
الآيات التي ورد فيها ذِكر النار في القرآن الكريم ٣٩
سورة البقرة ٣٩
[البقرة:٢٣-٢٤] ٣٩
[البقرة:٣٩] ٤٠
[البقرة:٨٠-٨١] ٤٠
[البقرة:١١٩] ٤٢
[البقرة:١٢٦] ٤٢
[البقرة:١٦٦-١٦٧] ٤٣
[البقرة:١٧٤-١٧٦] ٤٤
[البقرة:٢٠١] ٤٧
[البقرة: ٢٠٦] ٤٩
[البقرة:٢١٧] ٥٠
[البقرة:٢٢١] ٥٢
[البقرة:٢٥٧] ٥٤
[البقرة:٢٧٥] ٥٥
سورة آل عمران ٥٩
[آل عمران:١٠-١٢] ٥٩
[آل عمران:١٦] ٦٠
[آل عمران:٢٣-٢٥] ٦٢

[آل عمران:١٠٢-١٠٣].. ٦٣
[آل عمران:١١٦-١١٧].. ٦٥
[آل عمران:١٣٠-١٣٢].. ٦٦
[آل عمران:١٤٦-١٤٨].. ٦٧
[آل عمران: ١٦٢].. ٦٨
[آل عمران:١٨١-١٨٢].. ٦٩
[آل عمران:١٨٥].. ٧٠
[آل عمران:١٩١-١٩٢].. ٧١
[آل عمران:١٩٦-١٩٧].. ٧٣
سورة النساء.. ٧٤
[النساء:١٠].. ٧٤
[النساء:١٣-١٤].. ٧٤
[النساء:٢٩-٣١].. ٧٦
[النساء:٥٤-٥٦].. ٧٩
[النساء: ٩٣].. ٨١
[النساء: ٩٧].. ٨٣
[النساء: ١١٥].. ٨٣
[النساء: ١١٦-١٢١].. ٨٤
[النساء:١٦٨- ١٦٩].. ٨٨
[النساء:١٤٤-١٤٧].. ٨٩
[النساء:١٦٨- ١٦٩].. ٩١
سورة المائدة.. ٩٢
[المائدة:١٠].. ٩٢
[المائدة:٢٨-٢٩].. ٩٢
[المائدة:٣٧].. ٩٣
[المائدة:٧٢].. ٩٤
[المائدة:٨٦].. ٩٤
سورة الأنعام.. ٩٥

[الأنعام:٢٧-٢٨]..٩٥
[الأنعام:٧٠]..٩٦
[الأنعام:١٢٨]..٩٧
سورة الأعراف..٩٨
[الأعراف: ١٨]..٩٨
[الأعراف: ٤١]..٩٨
[الأعراف:٣٦]..٩٨
[الأعراف:٣٨]..٩٩
[الأعراف:٤٤-٥١]..١٠٠
[الأعراف: ١٧٩]..١٠٣
سورة الأنفال..١٠٦
[الأنفال:١٣-١٦]..١٠٦
[الأنفال:٣٦-٣٧]..١٠٨
[الأنفال:٥٠-٥١]..١٠٩
سورة التوبة..١١١
[التوبة:١٧]..١١١
[التوبة:٣٤-٣٥]..١١١
[التوبة: ٤٩]..١١٤
[التوبة:٦٣]..١١٤
[التوبة:٦٨]..١١٤
[التوبة: ٧٣]..١١٥
[التوبة: ٨١-٨٢]..١١٥
[التوبة: ٩٥]..١١٦
[التوبة:١٠٩]..١١٦
[التوبة:١١٣]..١١٧
سورة يونس..١١٨
[يونس:٤]..١١٨
[يونس:٨]..١١٩

[يونس:٢٧].. ١١٩
سورة هود.. ١٢١
[هود:١٥-١٦].. ١٢١
[هود:٩٦-٩٩].. ١٢٢
[هود:١٠٦-١٠٧].. ١٢٣
[هود:١١٣].. ١٢٥
[هود:١١٨- ١١٩].. ١٢٥
سورة الرعد.. ١٢٧
[الرعد:٥].. ١٢٧
[الرعد: ١٨].. ١٢٨
[الرعد:٢٥].. ١٢٨
[الرعد:٣٤-٣٥].. ١٢٩
سورة إبراهيم.. ١٣١
[إبراهيم: ١٥-١٧].. ١٣١
[إبراهيم:٢٨-٣٠].. ١٣٢
[إبراهيم:٤٩-٥٠].. ١٣٣
الحجر.. ١٣٤
[الحجر: ٤٣-٤٤].. ١٣٤
سورة النحل.. ١٣٥
[النحل:٢٨- ٢٩].. ١٣٥
[النحل:٦٢].. ١٣٥
الإسراء.. ١٣٧
[الإسراء: ٨].. ١٣٧
[الإسراء: ١٨].. ١٣٧
[الإسراء: ٣٩].. ١٣٨
[الإسراء: ٦٣].. ١٣٨
[الإسراء:٩٧-٩٨].. ١٣٩
سورة الكهف.. ١٤١
[الكهف:٢٩].. ١٤١

[الكهف:٥٣].. ١٤١
[الكهف: ١٠٠-١٠٦].. ١٤٢
سورة مريم.. ١٤٥
[مريم: ٦٦-٧٢].. ١٤٥
[مريم: ٨٦-٨٧].. ١٤٨
سورة طه.. ١٥٠
[طه: ٧٤].. ١٥٠
سورة الأنبياء.. ١٥١
[الأنبياء: ٢٩].. ١٥١
[الأنبياء:٣٩-٤٠].. ١٥١
[الأنبياء: ٩٨-١٠٠].. ١٥٢
سورة الحج.. ١٥٣
[الحج:٣-٤].. ١٥٣
[الحج:٩-١٠].. ١٥٣
[الحج:١٩-٢٢].. ١٥٤
[الحج:٥١].. ١٥٥
[الحج:٧٢].. ١٥٥
سورة المؤمنون.. ١٥٦
[المؤمنون:١٠٣-١٠٨].. ١٥٦
سورة النور.. ١٥٧
[النور:٥٧].. ١٥٧
سورة الفرقان.. ١٥٨
[الفرقان:١١-١٦].. ١٥٨
[الفرقان: ٣٤].. ١٥٩
[الفرقان: ٦٥].. ١٦٠
سورة الشعراء.. ١٦١
[الشعراء:٩١-١٠٤].. ١٦١
سورة النمل.. ١٦٤
[النمل:٩٠].. ١٦٤

سورة القصص.. ١٦٥
[القصص: ٤١].. ١٦٥
سورة العنكبوت.. ١٦٦
[العنكبوت: ٢٥].. ١٦٦
[العنكبوت: ٥٣-٥٥].. ١٦٦
[العنكبوت: ٦٨].. ١٦٧
سورة لقمان.. ١٦٨
[لقمان:٢١].. ١٦٨
سورة السجدة.. ١٦٩
[السجدة: ٢٠].. ١٦٩
[السجدة: ١٢-١٤].. ١٦٩
سورة الأحزاب.. ١٧١
[الأحزاب: ٦٦].. ١٧١
سورة سبأ.. ١٧٢
[سبأ:١٢].. ١٧٢
[سبأ:٣٣].. ١٧٢
[سبأ: ٤٢].. ١٧٣
سورة فاطر.. ١٧٤
[فاطر:٥-٧].. ١٧٤
[فاطر: ٣٦-٣٧].. ١٧٤
سورة يس.. ١٧٦
[يس: ٦٣-٦٤].. ١٧٦
سورة الصافات.. ١٧٩
[الصافات:٢٣-٣٩].. ١٧٩
[الصافات:٥٠-٧٤].. ١٨٢
[الصافات:١٦٣].. ١٨٦
سورة ص.. ١٨٨
[ص: ٢٧].. ١٨٨
[ص: ٥٥-٦٤].. ١٨٨

[ص:٨٤- ٨٥].. ١٩٠
سورة الزمر.. ١٩٢
[الزمر: ٨].. ١٩٢
[الزمر: ١٥-١٦].. ١٩٣
[الزمر: ١٩].. ١٩٣
[الزمر: ٢٤-٢٦].. ١٩٤
[الزمر: ٣٢].. ١٩٤
[الزمر: ٦٠-٦١].. ١٩٥
[الزمر: ٧١].. ١٩٦
سورة غافر.. ١٩٨
[غافر: ٦-٩].. ١٩٨
[غافر: ٤١-٥٢].. ٢٠١
[غافر: ٦٠].. ٢٠٥
[غافر: ٧٠-٧٦].. ٢٠٥
سورة فصلت.. ٢٠٧
[فصلت: ١٩-٢٩].. ٢٠٧
[فصلت: ٤٠].. ٢١٠
سورة الشورى.. ٢١٢
[الشورى:٧].. ٢١٢
سورة الزخرف.. ٢١٤
[الزخرف: ٧٤-٧٨].. ٢١٤
[الدخان:٤٧].. ٢١٥
[الدخان:٥٦].. ٢١٦
سورة الدخان.. ٢١٧
[الدخان:٤٣-٥٠].. ٢١٧
[الدخان:٥٦].. ٢١٧
سورة الجاثية.. ٢١٨
[الجاثية: ٧-١١].. ٢١٨
[الجاثية: ٣٤].. ٢١٩

سورة الأحقاف ٢٢١
[الأحقاف: ٢٠]. ٢٢١
[الأحقاف: ٣٤] ٢٢٢
سورة محمد ٢٢٣
[محمد: ١٢-١٥] ٢٢٣
سورة الفتح ٢٢٥
[الفتح: ٦] ٢٢٥
[الفتح: ١٣-١٤] ٢٢٦
سورة ق ٢٢٧
[ق: ٢٣-٣٠]. ٢٢٧
سورة الذاريات ٢٣١
[الذاريات: ١٢-١٤] ٢٣١
سورة الطور ٢٣٢
[الطور: ١٣-١٦]. ٢٣٢
[الطور: ١٧-١٨] ٢٣٣
سورة القمر ٢٣٤
[القمر: ٤٨]. ٢٣٤
سورة الرحمن ٢٣٥
[الرحمن: ٤٢-٤٤] ٢٣٥
سورة الواقعة ٢٣٦
[الواقعة: ٤١-٥٦] ٢٣٦
[الواقعة: ٨٨-٩٦] ٢٣٨
سورة الحديد ٢٤٠
[الحديد: ١٥]. ٢٤٠
[الحديد: ١٩] ٢٤٠
سورة المجادلة ٢٤٢
[المجادلة: ٨] ٢٤٢
[المجادلة: ١٤-١٧]. ٢٤٣
سورة الحشر ٢٤٤

[الحشر: ٣-٤]. ٢٤٤
[الحشر: ١٧]. ٢٤٤
[الحشر: ٢٠]. ٢٤٥
سورة التغابن ٢٤٦
[التغابن: ١٠]. ٢٤٦
سورة الطلاق ٢٤٧
[الطلاق: ٨-١٠] ٢٤٧
سورة التحريم ٢٤٩
[التحريم: ٦]. ٢٤٩
[التحريم: ٩]. ٢٤٩
[التحريم: ١٠]. ٢٥٠
سورة الملك ٢٥١
[الملك: ٥-٩]. ٢٥١
سورة القلم ٢٥٤
[القلم:٣٣]. ٢٥٤
سورة الحاقة ٢٥٥
[الحاقة:٢٥-٣٧]. ٢٥٥
سورة المعارج ٢٥٧
[المعارج:١١-١٨] ٢٥٧
سورة نوح ٢٥٩
[نوح: ٢٤-٢٥] ٢٥٩
سورة الجن ٢٦٠
[الجن: ٢٢-٢٣] ٢٦٠
[الجن: ١٤-١٥]. ٢٦١
سورة المزمل ٢٦٢
[المزمل:١١-١٤]. ٢٦٢
سورة الإنسان ٢٦٣
[الإنسان:٤]. ٢٦٣
سورة المدثر ٢٦٤

[المدثر: ١١-٣١]. ... ٢٦٤
[المدثر:٣٨-٥٦] ... ٢٦٩
سورة المرسلات ... ٢٧٤
[القارعة: ٢٩-٤٠]. ... ٢٧٤
سورة النبأ ... ٢٧٧
[النبأ: ٢١-٣٠] ... ٢٧٧
سورة النازعات ... ٢٨١
[النازعات:٣٤-٤٦] ... ٢٨١
سورة التكوير ... ٢٨٦
[التكوير:١-١٤] ... ٢٨٦
سورة الانفطار ... ٢٩٢
[الإنفطار:١٣-١٩] ... ٢٩٢
سورة الانشقاق ... ٢٩٤
[الانشقاق:١٠-١٥] ... ٢٩٤
سورة المطففين ... ٢٩٦
[المطففين:٧-١٧] ... ٢٩٦
سورة البروج ... ٣٠٢
[البروج: ١٠] ... ٣٠٢
سورة الأعلى ... ٣٠٣
[الأعلى: ١٢-١٣] ... ٣٠٣
سورة الغاشية ... ٣٠٥
[الغاشية:١-٧] ... ٣٠٥
[الفجر:٢١- ٢٦] ... ٣٠٧
سورة الفجر ... ٣٠٩
[الفجر:٢٢- ٢٣] ... ٣٠٩
سورة البلد ... ٣١١
[البلد: ١٨-٢٠] ... ٣١١
سورة الليل ... ٣١٢
[الليل: ٨-١٨] ... ٣١٢
سورة التين ... ٣١٨

[التين: ٥].. ٣١٨
سورة العلق ٣١٩
[العلق: ١٨].. ٣١٩
سورة البينة ٣٢٠
[البينة: ٦].. ٣٢٠
سورة القارعة ٣٢٢
[القارعة: ٨-١١].. ٣٢٢
سورة التكاثر ٣٢٤
[التكاثر: ٦-٨].. ٣٢٤
سورة الهمزة ٣٣٢
[الهمزة: ١-٩].. ٣٣٢
سورة المسد ٣٣٤
[المسد: ١-٤].. ٣٣٤
الفهرس ٣٣٧